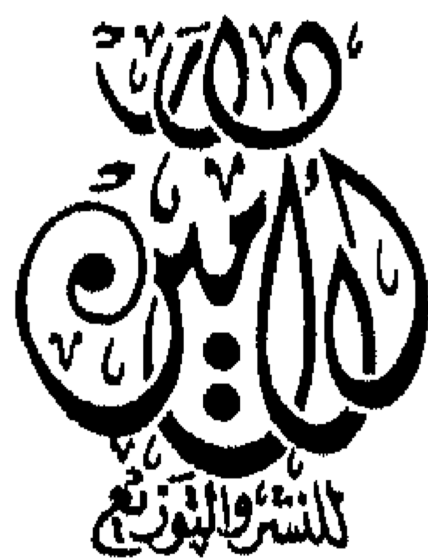
د . كامل سعفان

الساعة الخامسة والعشرون

- المسيخ الدجال
- يأجوج ومأجوج
- المهدى المنتظر

١٩٩٥



بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وقال الشيطان لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فـلا تلومونى ولوموا أنفسكم ﴾ .

(يا يهود ..

هذا تراث افتقد صاحبه ، فعيثوا فيه) .

وكان أن لبس اليهود ثوب المسيحيين والمسلمين ، وصاروا ينفثون سموما فى أوعية مطلية بألوان زائفة خادعة .. حتى جاء من يقول :

(أنا كلمـات الله الأزليـات ، وأسماؤه التامات ، وأنواره الشعشعانيات ، وأعلامه النيرات ، ومصابيحـه البينات ، وبدائعـه المنشـآت ، وآياته البـاهرات ، وأقـداره النـافذات ، لا يخرج منا أمـر ، ولا يخلو منا عصر ، وأنا لكما قال الله سبحانه وتعالى : **﴿ ما يكـون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينمـا كـانوا ثم ينبئهـم بما عمـلوا يـوم القيامة)** .

من رسالة المعز لدين الله إلى الحسن الأعصم القرمطى

ينبغي ملاحظة :

أولا : أن بعض ما فى هذه الدراسة كتب لحساب جريدة يومية عربية ، ومن ثم غلب عليه أسلوب المقال (الميسر) ، وإن جرت بعض التعديلات والإضافات .

ثانياً : فى الحديث عن (الإمامة) - كيسانية أو عباسية أو فاطمية - حـدث تغاضٍ عن إيجابيـات كثيرة ، لأن الهـدف من الوقوف عند السلبيات هو بيان أن دعاوى القوم عن (امتيازاتهم) الدينية بعيدة من الواقع ومن التصديق .

المسيخ الدجال

آفــــة تراثيــــة

خــــطأ المنــهج

غفلة الدارسين

(١)

من عيوب التراث الإسلامي : أنه يفسر النصوص الإسلامية بنصوص غير إسلامية ، مع تأكيد النصوص الإسلامية أن (الكتابيين) بدلوا وحرفوا ، ومع اعتراف بعض علماء (الكتابيين) أن عملية التدوين تمت من الذاكرة ، بعد مئات السنين من مصادر النصوص ، وأن المقارنة بين النصوص المدونة يشكك فى قيمتها ، لأنها مطبوعة بطابع الأزمات النفسية والتاريخية التى مرت (بالشعب) ، خلال مسيرة طويلة ، جامحة جائحة ، وكان على القادة الحاخامات أن يرمموا النفوس المتداعية بدعاوى كاذبة ، وبقصص هى صنيعة الأحلام والأوهام والآلام .

سبيكة نفسية شديدة التعقيد ، عميقة المسارب ، ظلت تحرك أقلام القادة الحاخامات ، لتبنى تابوتا ومذبحا ، وتجمع ذهبا وفضة ، وتسوق (الشعب) القطيع إلى حيث تريد .. ولأنه (شعب صلب الرقبة) ، أحكموا مقاده ، وملئوا أذنيه بالنبوءات ، وملأوا عينيه بالألوان القاتمة ، لتظل القلوب مليئة بالأحقاد ، ضد الإنسانية جمعاء ، فيسهل زرع نبضها فى مزارع (الجيتو) ، حيث يخصب الظلام ، وتتكاثر أسباب الانتقام !! .

تاريخ أسود طويل ، سبق الدعوة الإسلامية بمئات السنين ، ولف أذرعه الشديدة اللزوجة حول أعناق (الدعاة) ، وواكب الدعوة الإسلامية مئات السنين ، ومع هذا يصر كثير من المفسرين والمحدثين والفقهاء والمؤرخين على الأخذ بما ينكرون صحته ، ويبالغون فى النهى عن الاستعانة به ، حتى المفسرون والمؤرخون الكبار كالطبرى وابن كثير والسيوطى والخازن والألوسى على درجات مختلفة – يستعينون بالنصوص الإسرائيلية ، ويبرءون من النصوص الإسرائيلية ، وهم فى كلتا الحالتين مروجون للنصوص الإسرائيلية !! .

أرأيت إلى السياسة الحكيمة اليوم ، وهى سياسة (لا أحبك ، ولا أقدر على بعدك) الأرض بالسلام ، والسلام بالأرض ، و (على الأرض السلام) ؟ .

ولا أدرى متى يكون الفطام !! .

شاب مجتهد ، يكتب عن (المسيح الدجال) أكثر من ثلاثمائة صفحة ، يستنهض (كل إنسان يهمه مستقبل البشرية) ، ويعتمد ١١٥ مرجعا ، قوامها (نصوص كتابية) ليقول : إن (المسيح الدجال) حقيقة لا ريب فيها ، وإن البشرية فى خطر من ظهوره .. فإذا كانت (النصوص الكتابية) لها هذه القوة على الانتصار للحقيقة (الكونية) التى عاشت مع التاريخ الإنسانى كله ، بدليل ما نسب إلى الرسول الأعظم : (إن الله لم يبعث نبيا

إلا حذر أمته من الدجال ، وأنا آخر الأنبياءِ ، وأنتم آخر الأمم ، وهو خارج فيكم لا محالة) — ففيم إذاً التهوين من أمر (النصوص الكتابية) ، ورميها بالكذب والافتـراء ؟! .

صحيح أن فيها أثارة من وحى السماء ، لكن بقية ما فى الإناء يملأ الدنيا ضلالا .

وإذا كان لابد من قـراءة (النصوص الكتابية) فمن خلال عرضها على ما جاء فى القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، لامن خلال عرض الكتاب والسنة عليها !! .

والمثير حقاً أن يهودياً ضحك على العالم كله بما سمى (نبوءات استرادامـوس) — صياغة عامة تستطيع أن تضعها فوق كل رأس وتحت كل قدم — روّجت لها وسائل الإعلام اليهودية والعربية ، إبان أحداث العراق والكويت ، وليس من يستحى !! .

إن التاريخ مليء بالنبوءات ، ولعل أشهرها ما جاء فى (سفر الرؤيا) ، وما كتب حوله من تفسيرات ، هى فى جملتها نبوءات أيضا ، تترجم عن أحلام أو أوهام كاتبيها ، التى هى بدورها صدى التراكمات الانفعالية بالأحداث الجارية ، وصدى الشعور الجسيم بالإحباط ، والرغبة الدفينة فى (التعويض) بما يحتمل فى مخاض الزمن .

(٢)

ينقل صاحب (المسيح الدجال) ما جاء فى (سفر زكريا) من نبوءة تقول :

(ابتهجـى جـدا ، ، يا ابنـة صهيـون ، اهتفى يا بنت أورشليم ، هـوذا ملكك يأتى إليك ، وهو عادل ، ومنصور ، وديع ، وراكب حمار .. وعلى جحش ابن أتان) .

ويقول : (فهذا نبوءة تتحدث عن قيادة ، ونصر ، وقدس ، تتحدث عن « مسيح » يخلص اليهود من العبودية) .

ثم ينقل قول (العرّافة) جين داكسون — عن مجلة آخر ساعة — (إن الشخص السابق على مجيء المسيح — ابن مريم عليه السلام — هو رجل سيلقب بأمير السلام ، ويسميه البعض المسيخ الدجال) .

وتفسير المسيح بأنه (ابن مريم عليه السلام) من عمل المؤلف ، أى أنه توجيه ، ربما لم يقع فى حساب العرافة ، وهو — من الناحية العلمية — تجاوز ، أو تدليس ، كما يقول علماء الحديث .

والمنقذ ، المخلص ، الماشيح ، المسيّا ، هو نتاج الظروف التى مربها (الشعب المختار) فى أسر بابل ، ومن الظروف السيئة التى حلت باليهود فى عهود تيتوس ومن جاء بعده من القياصرة ، وفى الوقت نفسه هو صناعة بابلية ، إذ كان البابليون يعتقدون بعودة (مردخ) إله بابل ، حينا بعد حين ، لنشر الخير ، وتطهير الأرض من الفساد ، وسماه اليهود مسيحا ، لأنه يمسح بالزيت المقدس .

كما أن (المهدى) هو نتاج الظروف التى مر بها (الشيعة) فى زمان الأمويين والعباسيين ، بالإضافة إلى أخلاط (يهودية) .

والحديث عن (ملك صهيون) فى سفر زكريا بصفات (العدل والنصر والوداعة وركوب الحمار) ينطبق على السيد المسيح ، عليه السلام ، لا على المسيخ الدجال ، كما يزعم المؤلف فى قوله : (إن منتظر اليهود هو المسيح الدجال) .

وإذا كان (المسيح الدجال - آخرَ الزمان - فتنة ، يقود الجيوش ، ويسفك الدماء ، ويحتل الأرض - كما فى المصادر الإسلامية - من البحر إلى البحر ، ومن النهر إلى النهر إلى أقاصى الأرض) - فإن ما جاء فى سفر زكريا من العدل والوداعة وركوب الحمار الذى هو رمز السلام - كما يقول المؤلف - يختلف كل الاختلاف عما هدف إليه .

ولقد نسب يهود الأسر إلى (قورش) - الملك الفارسى - صفة المسيح المخلّص ، حين خلصهم من الأسر ، ورد إليهم ما سلبه نبوخذ نصّر من أورشليم ، وأعانهم على إعادة بناء الهيكل .

من هذا يتبين أن المؤلف (المجتهد جدا) خانه التوفيق فى استغلال مقروءاته الكثيرة ، لأنه وضع العربة أمام الحصان ، كما يقولون ، فالمفترض فى الدارس أن النصوص هى التى تقوده ، لا أنه يقود النصوص ، ويحمّلها ما لاتحتمل .

إن الدارس لا يبدأ بالنتيجة التى يريدها ، ثم يظل يتصيد لها الأدلة ، ويلوى أعناقها .

حين يدخل العالِم المختبَر وفى رأسه فكرة ما ، فعليه أن يكون على استعداد للتخلى عن هذه الفكرة إذا أدت تركيبات العناصر التى يستخدمها إلى غير ما أراد .

وأعلام (التراث) اهتموا فى (أدب البحث والمناظرة) بأن يكون المناظر على استعداد للرجوع إلى الحق ، من أجل هذا أهدر الكاتب (المجتهد) كثيرا من طاقاته ، واستغلّ أسلوبه الخطابى الثائر فى غير مجاله .

وزعم أنه أحْدث تجديدا فى العرض ، حين جمع بين انفعالاته (الشعرية) او بين الأسلوب العلمى ، وسماه (الأسلوب المتميز) ، مع أن مجالى الشعر والعلم مختلفان ، صورة وموضوعا ، أسبابا ونتائج ، وكان على المؤلف – قبل أن يقول شعرا – أن يجيد لغته (كثيرة الأخطاء) ، فقد يبرّر الخطأ اللغوى فى الأسلوب العلمى ، أما فى الأسلوب الأدبى فلا .

(٣)

ينقل صاحب (المسيح الدجال) عن سفر الرؤيا أن القيادات التى ستخرج من أورشليم (يحرسها اثنا عشر ملاكا ، ويقوم سور المدينة على اثنى عشر – كذا – دعامة ، كتبت عليها أسماء رسل الحمْل الاثنى عشر) .

والنص ، كما جاء فى (الكتاب المقدس) ، نفس السفر والإصحاح والآيات التى نقلها (١٤/٢١ و ١٣/٢٦) .

(وأرانى المدينة العظيمة أورشليم المقدسة ، نازلة من السماء ، من عند الله ، لها مجد الله ، ولمعانها شبْه أكرم حجر يشَب بلّورى ، وكان لها سور عظيم وعال ، وكان لها اثنا عشر بابا ، وعلى الأبواب اثنا عشر ملاكا ، وأسماء مكتوبة ، هى أسماء أسباط بنى إسرائيل الاثنى عشر) .

وهو نفس النص الذى أورده تفسير العهد الجديد لوليم باركلى .

فالرائى لم يأت بجديد فيما رأى ، فمن قبله سفرا خروج وحزقيال ، وإذا كان لفظ اثنى عشر تكرر مع الأبواب والملائكة فلصلة الرقم بعدد الأسباط الذين فجّر الله لهم اثنتى عشرة عينا ، حتى ﴿ **علم كل أناس مشربهم** ﴾ .

أما أن يربط هذا الرقم بالمعتقد الإسلامى فهذا تجاوز لا مبرر له ، إلا أن يكون السيد (الباحث) قد وقع فى إسار المعتقد الشيعى الذى هو من غلبة (الإسرائيليات) ، حتى زعموا بحلول النور الإلهى فى الإمام على ، وفى أحد عشر إماما من سلالة فاطمة الزهراء ، من دون بقية الأبناء والحفدة ، وهو ما لا دليل عليه ، إلا أنها سموم بثّها أعداء الإسلام ، ليخرجوا بالدين عن محجته البيضاء ، عن بشريته الخالصة ، التى استمدت توجيهاتها (كاملة) من الله سبحانه ، عن طريق خاتم الرسل والأنبياء ، ومن ثم فلا وحى بعده ، ولا علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالله ، أما وقد تم التبليغ ، فقد أصبحت الإمامة (المقدسة) عملا عدوانياً على طبيعة الإسلام وعلى معتقداته .

ومن عجب أن يعتمد السيد (الباحث) على جذور يهودية للفكر الإسلامى ، ثم يزعم أن الإسلام مستهدف من اليهود ومن المسيحيين الذين ورثهم اليهود – عن طريق بولس – واصطنعوهم ، وجعلوهم مخلبا ونابا ، وينقل عن لورانس براون قوله : (كان قادتنا يخوفوننا بشعوب مختلفة ، كانوا يخوفوننا باليهود واليابان والخطر البلشفى ، لكنه تبين لنا أن اليهود أصدقاء ، والبلاشفة الشيوعيون – كذا – حلفاء ، أما اليابانيون فإن هناك دولا ديمقراطية كثيرة تتكفل بمقاومتهم ، لكنا وجدنا الخطر الحقيقى علينا موجودا فى الإسلام) .

فلماذا لم يضع (تسريب السموم) هذه فى اعتباره ؟! .

إنه على (يقين) من أن اليهود هم الذين قاموا (بتمويل كارل ماركس وإنجلز ، وفى الوقت الذى كان كارل ماركس يكتب البيان الشيوعى أمام مجموعة من اليهود كان البروفسور كارل ريتر – من جامعة فرانكفورت – يعد النظرية المعادية للشيوعية ، تحت إشراف جماعة يهودية أخرى) .

وقد أكد له هذا قول سيد قطب : (لقد كان وراء النزعة المادية الإلحادية يهودى ، ووراء النزعة الحيوانية يهودى ، ووراء هدم الأسرة وتفكك الروابط يهودى ، ووراء نزعة أدب الانحلال والضياع يهودى ، وهؤلاء بالترتيب هم : ماركس ، فرويد ، دركايم ، جان بول سارتر)[1] .

وهذا أمر لا خلاف عليه ، فلماذا لم يستعن بالمراجع الكثيرة التى بين يديه فى اختيار الطريق الصحيحة للوصول إلى أن (المسيح الدجال) هو ملك اليهود ، أو هو صناعة يهودية ، وبهذا يبطل السحر والساحر ؟! .

(٤)

(أبو رِجْل مسلوخة) كان يسكن حجرة قديمة تستند إلى سور حديقة بيتنا التى تحولت إلى أرض فضاء ، لا نبات فيها ولاماء ، وكان يطلق على هذه الحجرة (المدرسة) ، مع أنى على ثقة من أن المدرسة لم تدخل قريتنا إلا بعد أن انتهى جيلنا من الدراسة الثانوية ، لكن يبدو أن تطورات (ديمغرافية) أصابت القرية ، فيما قبل التاريخ .

و (أبو رِجْل مسلوخة) هذا لم يسبق أن رآه أحد ، ولم يحدث أن عرف أحد حقيقة أمره .. ما الذى أسكنه المدرسة المهجورة ؟ من أين يأكل ويشرب ؟ هل يخرج فى الليل مثلا

(١) وانظر ما كتبه الأستاذ العقاد فى جريدة (الأساس) ٢١ أبريل ١٩٥٠ .

ويتزود بحاجتـه ؟ من أى البلاد هو ؟ من الذى سلخ رجله ؟ ولماذا ؟ وهل ستظل رجله مسلوخـة ؟! .

أكثر من عام و (أبو رجل مسلوخة) فى المدرسة ، وباب المدرسة نصف مفتوح ، والنوافذ مخلوعة ، ولا أحد من الأطفال يجرؤ على أن يختلس أخبار هذا (البعبع) المثير ، ولا أحد من الكبار يريد أن يكشف الستار عن (سر الأسرار) !! .

تذكرت هذه (الأغروبة) وأنا أقرأ خبر (تميم الدارى) الذى كان فى سفينة مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام ، فجنحت بهم إلى جزيرة ، فالتقوا بدابّة غزيرة الشعر ، قالت لهم : أنا الجسّاسة ، ودلتهم على رجل فى دير ، (فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خَلقا ، وأشده وثاقًا ، مجموعة يداه إلى عنقـه ما بين ركبتين إلى الكعبين بحـديد) ، يسـأل عن (نخل بيسان) ، وعن (بحيـرة طبرية) ، وعن (عين زغر) ، إحـدى قـرى الشـام ، كأنه خبيـر بهذه الأماكن ، وذكر أن مكة والمـدينة المنورة محرمتان عليه ، أى أن غيرهمـا حلال له أن يعيث فيـه ، وسـأل عن (نبى الأمّيّين ما فعـل) ، وقـال عن نفسـه : (إنى مخبـركم عنى إنى أنا المسيح ، وأنّى أوشك أن يؤذن لى بالخروج ، فأخرج فأسير فى الأرض ، فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة ، غير مكة وطيبة ، فهما محرمتان علىّ كلتاهما) .

تميم الدارى نصرانى أسلم ، وحسن إسلامه ، استغله الإخباريون ، فألّفوا على لسانه (أغروبة) ، يخوفون بها (أطفال) المسلمين الذين – وهم فى عصر القرية العالمية الكبيرة – لا يسـألون أين تلك الجـزيـرة ، التى لم ترصدهـا أقمار التجسس ، ولا قرون استشعار (الأواكـس) ، ولا الأسـاطيل التى ذرعت وتـذرع كل شـبر فى بحـار الدنيـا السـبعـة أو السبعين ، وإذا كان ثلاثون رجلا من لخم وجـذام تجارا يجوبون بحر عمـان ، أو خليج عدن ، أو المحيط ، التقوا بهذا (الأعجوبة) المقيد بسـلاسل الحديد ، أما فكروا فى حمله معهم ، والاتجار فيه ؟ أما كان لهم أن يسألوه كما سألهم ؟ من أين جاء ؟ لم أقام فى هذه الجزيرة ؟ من الذى قيده ؟ كيف يعيش ؟ ما علاقته بالجساسة ؟ وإذا كان هو المسيح أو المسيخ الذى سيظهر آخر الزمان ، فما سرّ وجوده من الآن ؟ وما علاقته بالأماكن التى ذكرها من أرض الشام ؟ ألأنه سيظهر بها ؟ وإذا كان هو الدجال – كما تقول الرواية – فمن أخبره بمسيرة ستحدث بعد عام أو مائة أو ألف أو عشرات الألوف ؟ .

إن راوى هذه (الموضوعة) لم يشك لحظة فى صدقها ، وجعل يؤيدها بمفتريات كثيرة يناقض بعضها بعضا ، ويستمر فى إضافاته التى تتهالك ولا تتماسك ، وكان أولى به – وهو

التقى الورع – أن ينأى برسول الله أن يكون طرفا فى القضية ، حتى ليجْمعُ صحابته ، ويقص عليهم ما روى (تميم) ، ثم يتهلل وجهه ، ويقول : (أعجبنى حديث تميم) !! .

أما تطوع بعض المجاهدين بالذهاب إلى هذه الجزيرة لتخليص الإنسانية من شرور هذا المقيد بالسلاسل والأغلال ؟ .

وأين روايات أبناء لخم وجذام ؟ أيكون قد أدركهم الصباح فسكتوا عن الكلام المباح ؟ .

(٥)

هنا الذى تحدث عنه (تميم الدارى) مقيد بالحديد فى جزيرة (مجهولة) بالمياه (العربية) ، أو القريبة من أرض العرب – روت أحاديث أخرى أنه (يخرج من مرو ، من يهوديتها) – رواه نعيم بن حماد – وأنه (يخرج من أرض يقال لها : خراسان) – رواه الترمذى وأحمد – وأنه (يخرج من يهودية أصبهان) ـ رواه أحمد وأبو يعلى – وأنه (خارج خلة بين الشام والعراق) – رواه مسلم – وأنه (يقاتل بقيتكم الدجال على نهر الأردن ، أنتم شرقيه وهم غربيه) ، وفى رواية (أنتم غربى الأردن ، وهم شرقيه)[(١)] – رواه الطبرانى والبغوى وابن سعد .

فكيف حدّث الرسول – ﷺ – بهذا كله ؟! .

صحيح أن (الدارى) لم يقل شيئا من هذا ، وأنه (من وحى السماء) ، كما زعم أحد علماء الحديث الذى حصل على درجة (الدكتوراه) = العالمية ، فنصّب نفسه (للدفاع عن السنة) ، مفندا (شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين) . لكن ، ألا يحدث اختلاف الروايات وهْنًا فى الدفاع ؟ .

قد يأتيك من يقول : إن كل هذه الأماكن ستكون ميدانا لنشاط الدجال ، و (أيّاما كانت أحاديث الدجال فلا يجوز لمسلم أن ينكرها ، ولا مجال للتشكيك بها ، وكون النبى كان يخبر أنه من المحتمل ظهوره فى عصره ، ثم إخباره بأن ظهوره فى آخر الزمان ،

---

(١) ينبغى الرجوع إلى سفر (رؤيا يوحنا) صح ٢٠ ، وإلى تعليق باركلى فى تفسير هذا السفر ، إذ يقول : (وكان المفكرون اليهود يعتقدون باجتماع الأمم للحرب حول أورشليم فى الأيام الأخيرة ، وتجد هذا فى دانيال ١١ وزكريا ١٤ ، ولكن الله يبدد اجتماعهم هذا) ص ٤٢٣ .

لايكفى فى الطعن فى الروايات ، وتكذيبها ، لجواز أن يكون أوحى إليه بخبره وشأنه من غير تعيين لزمانه ، ففهم النبى جواز أن يكون فى عصره ، ثم بعد ذلك أعلمه الله – سبحانه – أن ذلك سيكون فى آخر الزمان ، قبيل الساعة) – دفاع عن السنة ص ٣٣٠ .

الأمر ـ إذاً ـ شديد الأهمية ، لدرجة أن الوحى ينزل مرتين ، يصحح (معتقدا) ، لو لم يصح لفسدت الأرض !! (وما دامت هذه الأمور الغيبية ممكنة ، وأخبر بها الصادق الصدوق – وجب الإيمان بها والتصديق ، وليس لنا تحكيم العقل فيها ، لأنها من الغيوب التى هى فوق إدراك العقول) – المصدر السابق ص ٣٣١ .

كيف تكون (غيبية وممكنة) ؟ وإذا كانت (ممكنة) فكيف تكون (فوق إدراك العقول) ؟وما دام الدجال (بعد النسخ) سيظهر فى آخر الزمان ، فلم ننْكر (الحديث) عن عمر الدنيا (ص ٣٣٢) وننسبه إلى الإسرائيليات ؟! .

ألا تدخل (روايات الدجال) فى إطار (الإسرائيليات الباطلة التى حملها هؤلاء – الصحابة والتابعون – عن مسلمة أهل الكتاب ، بحسن نية) ؟! .

ولم يصلُ (حسنُ النية) برجال (خير القرون) الذين هم (كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم) ، مع أن الدّجال والجساسة وعمر الأرض وبقية الغيبيات اختص الله – سبحانه بعلمها ، إذ عبر القرآن الكريم بأسلوب القصر أن **﴿ عنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ﴾** ؟! – الأنعام ٥٩ .

أما عن الساعة وأشراطها فقد قال المولى سبحانه : **﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل إنما علمها عند ربى لا يجلّيها لوقتها إلا هو ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حَفِيٌّ عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾** . الأعراف : ١٨٧ **﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، فيم أنت من ذكراها ؟ إلى ربك منتهاها ، إنما أنت منذر من يخشاها ﴾** – النازعات ٤٢/٤٥ .

الآيات صريحة فى أن دور الرسول بعيد عن هذا المجال ، فلم الإصرار على الكذب عليه والدفع فى وجوه من ينتصر للحق ؟! .

وما معنى أنها (لا تأتى إلا بغتة) ، أى بدون هذه المقدمات (الأشراط) التى تشغل أنفسنا بها عما يصلح دنيانا وآخرتنا ؟ ! .

الحديث الصحيح المتواتر الذى سئل فيه الرسول الأمين : (متى الساعة) ، فأجاب (ليس المسئول عنها بأعلم من السائل) ، وقيل : إن السائل كان جبريل عليه السلام جاء يعلمنا أمور ديننا – أليس هذا الحديث كافيا لقطع دابر هذه المعاناة بغير الحق ؟! .

☐ روى البراء بن عازب (إنها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات : الدخان ودابة الأرض ، وخسفا بالمشرق ، وخسفا بالمغرب ، وخسفا بجزيرة العرب ، والدجال ، وطلوع الشمس من مغربها ، ويأجوج ومأجوج ، ونزل عيسى ، ونار تخرج من عدن) ـ عن الفخر الرازى ١٤ / ٨ .

وما رواه البراء بن عازب أضاف إليه آخرون ، مثل (شق القمر ، وأن تلد الأمة ربّتها ، وأن يتطاول رعاة البهم فى البنيان) ، وأشياء أخرى لا يسهل تحديد معالمها فى دنيا كثيرة المتغيرات عظيمة الأحداث ، بحيث يمكن تكرار ما نجرؤ على أن نقول إن هذا هو أحد الأشراط ، وما هو به حتى (طلوع الشمس من مغربها) يمكن أن يقال فيه : إنها حيث تغرب عنا تطلع على قوم آخرين ، إذا (صحّ) أن الأرض كرة !! .

وبهذا تدخل هذه (الأشراط) فى باب الحوادث اليومية !! .

لقد أورد القرطبى – ٢٥٨٣/٤ ط الشعب – حديث البراء بن عازب من طريق أبى حذيفة ، مختلف العبارة ، مختلف ترتيب الآيات العشر ، وأضاف (قلت : وهذا حديث متقن فى ترتيب العلامات ، وقد وقع بعضها ، وهى الخسوفات ، على ما ذكره أبو الفرج الجوزى ، من وقوعها بعراق العجم والمغرب ، وهلك بسببها خلق كثير) .

وبهذا فتح الباب واسعا أمام تخرُّصات وتأويلات حول ما يحدث من كوارث ونكبات .

ولو أن هؤلاء المفسرين رأوا ما حدث فى الحربين العالميتين ، وبخاصة فى هيروشيما ونجازاكى ، وما حدث فى تشيرنوبل ، ثم تفجر الشيوعية بدولها ، ثم حرائق آبار الكويت ، وشهدوا الفيضانات والأعاصير التى تهصر شرق آسيا .. ولوجاءهم علم بالصواريخ عابرة القارات ، والقنابل الكيميائية والهيدروجينية والنيوترونية والبيولوجية ، واستخدامات أشعة الليزر والأشعة فوق البنفسجية والأشعة تحت الحمراء .. ولو سمعوا بنكبات التصحّر والجفاف وأزمة المياه والوقود – لأدركوا أن دور الدجال وغيره من (الأشراط) سيكون على (هامش) الحياة ، ولرأوا الدجال والدابة أو الجساسة أقل حجما من استالين وهتلر وصدام حسين وشاوشيسكو .

وبهذا يكون الخوارج والمعتزلة – فيما ذكر الرازى والقرطبى – أسدّ رأيا ، وأوسع أفقا ، حين أنكروا هذه التخرصات .

لقد طعن صاحب المنار فى أحاديث أشراط الساعة بقوله : (والمشكلات فى الأحاديث الواردة فى أشراط الساعة كثيرة ، أهم أسبابها – فيما صحت أسانيده ، واضطربت المتون ، وتعارضت ، أو أشكلت من وجوه أخرى – أن هذه الأحاديث رُويت بالمعنى ، ولم يكن كل الرواة يفهم المراد منها ، لأنها أمور غيبية ، فاختلف التعبير باختلاف الأفهام) .

ولم يقف صاحب المنار – فى عرضه – عند المسيخ الدجال ، وأضاف (هذا ، وإن أبا هريرة – رضى الله عنه – لم يصرح فى هذه الأحاديث بالسماع من النبى – ﷺ – فيخشى أن يكون قد روى بعضها عن كعب الأحبار وأمثاله ، فتكون مرسلة) .

وهذا لا يكفى من (المنار حـ ٨ ص ٢٠٩ / ٢١١) الذى تخلى عن منهجه إبّان مشاركة الأستاذ الإمام فى التفسير ، لأن نقد (المتن) فى هذه الأحاديث (الموضوعة) أهم من نقد السند ، إذ إن (المتن) يحمل دلالة وضعه ، ما دام يعرض لما اختص الله سبحانه بعلمه ، أما عن (السند) فيمكنه (نقل) السند الصحيح (المرفوع) ووضعه فى مقدمة الحديث (الموضوع) ، ومن ثم يكون الفيصل فى نقد (المتن) أولا .

(٦)

يستعين صاحب (المسيح الدجال) بقول العرافة جين داكسون عن المهدى المنتظر (الأمين الصادق) ، هذا الذى ستكون عاصمة نشاطه القدس وما حولها ، وسوف يأتى إليه الشبان والناس من كل مكان ليعملوا تحت لوائه ، وسوف يُدخِل الغَربَ فى دين الشرق – كأن اليهودية والمسيحية ليستا من الشرق – وأنه سيمتلك قوة دَعائية جبارة ، وأن الولايات المتحدة الأمريكية لن تستطيع أن تفعل له شيئا ، وأن المهدى هذا سيملك من العلم والتكنولوجيا الشيء الكثير ، بل أكثر من الكثير ، والمعجزات التى سيصنعها ليست معجزات سماوية ، ولكنها معجزات علمية متقدمة جدا ، تذهل الناس وتسرهم ، فى نفس الوقت ، وسوف يعمل الشباب فى العالم معه ، من أجل أن يضعوا العالم فى الصورة التى يراها !! .

طبعا ، حتى يترك للسيد المسيح دورا يؤديه !! .

وهذا الوصف الذى يمثل قوة حضارية بالغة التقدم والتماسك والسعة ، كيف يكون مقدمة لظهور الدجال الذى سيكون ظهوره مرتبطا بأن الأمم (ستكون منهوكة القوى ، نتيجة لحالة الحرب المستمرة ، باردة وساخنة ، وكذلك انحلال المحالفات الدولية ، وعدم ثبوت

قراراتها ، وفى حالة مثل هذه سترحب الدولة بظهور أى شخصية ينتظر منها أن تحل المشاكل الاقتصادية ، وتخلص البشرية من الموت جوعا) ك . هـ . ستيفنس .

من أين للمهدى (الشرقى) هذه القوة العلمية (المتفوقة جدا) ؟ وكيف صارت هذه القدرة (منهوكة القوى) ؟ وأين ذهب شباب العالم الذين كانوا يعملون تحت لوائه ، من أجل الأهداف العليا ؟ وإذا كان الغرب سيدخل فى دين الشرق ، وسيفتح المهدى (المدينة العظيمة روما ، بعد أن كسر شوكة الذين كانوا يستكبرون) ، فماذا بقى للدجال ؟! .

أيكون الغرض من ظهور الدجال إغلاق باب التوبة ، تفسيرا لقوله تعالى : ﴿ **قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ، ولاهم ينظرون** ﴾ ؟! .

إذًا فما هو دورُ السيد المسيح فى نشر الهداية ؟! .

وإذا كان (إغلاق باب التوبة) إشعارا بأن الله – سبحانه – قد يسّر للتائبين ، لأنه ﴿ **يحب التوابين ويحب المتطهرين** ﴾ ، وأعان الخطاة بالمهدى على النهج القويم – فلم يُمدّ (الدجال) بقوى لم ينلها المهدى ؟! .

(يقول – الدجال – أنا رب العالمين ، وهذه الشمس تجرى بإذنى ، أفتريدون أن أحبسها ؟ . فيقولون : نعم ، فيحبس الشمس ، حتى يجعل اليوم كالشهر ، والجمعة كالسنة ، ويقول : أتريدون أن أسيّرها ؟ فيقولون : نعم ، فيجعل اليوم كالسنة) – رواه نعيم بن حماد والحاكم .

(يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى ، ويقول للناس : أنا ربكم) – رواه أحمد والطبرانى .

(يسير معه جَبلان ، أحدهما فيه أشجار وثمار وماء ، وأحدهما فيه دخان ونار ، ويقول : هذه الجنة ، وهذه النار) – رواه الحاكم وابن عساكر .

هذا مع أن البخارى – فى صحيحه – روى فى (كتاب الفتن) عن المغيرة بن شعبة أنه قال : ما سأل أحد النبى – ﷺ – عن الدجال ما سألته ، وإنه قال لى : ما يضرك منه ؟ قلت : لأنهم يقولون : إن معه جَبل خبز ونهر ماء ، قال : (هو أهون على الله من ذلك) .

أهون على الله من أن يمده بجبل خبز ونهر ماء ، فمن أين جنته وناره ؟ وكيف له أن يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى ؟ .

أليس في رواة الأحاديث رجل رشيد يجمع بين هذا الكمّ الوافر من المرويات ، ويسلكها في خيط واحد ، لتتبين له صور التناقض المريبة التي تؤكد افتراءها على رسول الله ، وعلى هذا المدعو المسيخ الدجال ؟ .

ولم لا نقف عند قـول المغيرة : (يقولون) ؟ ألا يعني هذا أنها (شائعات) روّجها ذوو نفوس خبيثة ؟! .

لقد روت كتب الأحاديث عن دجالين في كل زمان ، ومع كل الأنبياء ، وفي صحيح البخـاري عن أبي هـريرة : (يبعث دجـالون كذابون قريب من ثلاثيـن ، كلهم يزعم أنه رسول الله) - فلم لاينصرف مفهوم الدجـال إلى كل مثير الفتن ، ظاهر البغي ، في أي وقت ، وفي أي مكان ؟ .

إن ما جاء في صحيح البخاري تحذير من (شر قد اقترب) ، ومن فتح (ردم يأجوج ومأجوج) ، ومن (كثرة الهرج) ، فتن يكون (القاعد فيها خيراً من القائم ، والقائم فيها خيراً من الماشي ، والماشي فيهـا خـيراً من الساعي) ، فتن (يرفع فيها العِلْم ، وينزل فيها الجهل) ، فتن معها (ينقص العمل ، ويلقى الشحّ) .

وهذا كله لا يدخـل في الغيبيات ، إنما هي نُذُر وتوقّعـات ، لما تفيض به النفـوس البشرية ، وقد غلّتها النوازع الفردية ، والطموحات غير المشروعة .

ولهذا ، (لاتقوم السـاعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ، فيقول : ياليتني مكانه) - رواه البخـاري عن أبي هريرة - أي أن كثرة الفتن ، وانتشار الفساد ، والأمراض الإنسانية الخبيثـة ، ستبغّض الحيـاة إلى الصالح من النـاس ، أو المستضعف ، بحيث يتمنى الموت ، حتى لا يعاني فوق طاقته .

أما أن الساعة لا تقوم (حتى يخرج رجل من قحطان ، يسوق الناس بعصاه) - رواه البخاري عن أبي هريرة - و (لاتقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببُصرى) - رواه البخاري عن أبي هريرة - وغير هذا كثير ، فما أحسبها إلا توقعات من أبي هريرة ، بسبب من الأحداث الجسام التي عاصرها ، وقد طال عمره ، حتى شهد تغيرات خطيرة في بنيان المجتمع والدولة الإسلامية .

ويلاحظ أن المهدى والدجال يؤديان دورين متعاديين ، دون أن يلتقيا ، فلم لمْ يهتم أحد بمن سيتولى القيادة فى (الفترة) الفاصلة ، مع أن الرجلين يخرجان من بيئة واحدة هى (الفرس) فارس ، الدجال من مرو ، أو من أصبهان ، أو من خراسان ، وكذلك المهدى ؟! .

وكيف يمكن التوفيق بين ما ينسبون إلى الرسول (من أسلم من فارس فهو من قريش ، هم إخوتنا وعصبتنا) – رواه الديلمى – (أهل فارس هم ولد إسحق) – الحاكم – (والذى نفسى بيده ، لو كان الإيمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس) – الترمذى – وبين ما هو من ظهور الدجال فى فارس ؟! .

أليس الأحرى أن نقول : إن هذه دعاوى سياسية ، مناصرة لأبى مسلم الخراسانى الذى أقام دولة العباسيين ، أو معادية له ؟! .

(٧)

يقول ابن كثير (الفتن والملاحم ١٦٧/١) :

(ما الحكمة من أن الدجال – مع كثرة شرّه وضرره ، وانتشار أمره ، ودعواه الربوبية ، وهو فى ذلك ظاهر الكذب والافتراء ، وحذّر منه جميع الأنبياء – لم يذكر فى القرآن ، ويحذر منه ، ويصرح باسمه ، وينوه بكذبه وعناده ؟) .

ثم يقول : (الجواب من وجوه : **أحدها** : أنه قد أشير إلى ذكره فى قوله تعالى : **﴿ يوم يأتى بعض آيات ربك ، لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا ﴾** – الأنعام ١٥٨ – وهذه الآيات – كذا – فسرتها السنة الشريفة ، فقال النبى ، ﷺ : « ثلاث إذا خرجن لاينفع نفسا إيمانها ، لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت فى إيمانها خيرا : الدجال ، والدابة ، وطلوع الشمس من المغرب ، أو من مغربها » – رواه الترمذى – وأنه لم يذكر بصريح اسمه فى القرآن احتقارا له) إلخ .

ويلاحظ أن الحديث الذى اعتمد عليه ابن كثير من تخريج الترمذى الذى قال فيه الإمام الذهبى صاحب (سير أعلام النبلاء) : (فى الجامع علم نافع ، وفوائد غزيرة ورءوس المسائل ، وهو أحد أصول الإسلام ، لولا ماكدره بأحاديث واهية ، بعضها موضوع ، وكثير منها فى الفضائل) ، أى كثير من هذا الموضوع قصد به النصح والإرشاد والتخويف من الآخرة .

ولو أننا أضفنا ما رواه نعيم بن حماد والحاكم وأحمد والطبرانى وأبو داود وابن عساكر من معجزات فاقت ما جرى على أيدى جميع الرسل والأنبياء - (المسيح الدجال ص ٢٦٠/٢٦٦) - ولا ندرى لجريانه على يديه علّة - لأدركنا أن هؤلاء الرواة وقعوا فى مصيدة (التبعية) الفكرية ، دون أدنى مراجعة .

ويلاحظ أن الآية التى دارت حولها هذه الدعاوى تتناول عناد الكافرين ، وصدهم عن سبيل الله ، فتقول : ﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا ، قل انتظروا ، إنا منتظرون ﴾ - الأنعام ١٥٨ .

الأمر إذاً مرهون بالتحدى : ﴿ وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذّب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا ﴾ - الإسراء ٥٩ - ﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا * أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتى بالله والملائكة قبيلا * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزّل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا ﴾ - الإسراء ٩٠/٩٣ .

آيات الإسراء واضحة فى أنهم طلبوا (الآيات) التى جاءت فى سورة الأنعام - والسورتان مكيتان - وقد فصلت سورة الإسراء ما أجملته سورة الأنعام التى نزلت بعدها .

أمّا ما هو من (التوبة) فقد بينه جل شأنه فى سورة (النساء ١٧/١٨) ، وهى مدنية فقال : ﴿ إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ﴾ ، ﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إنى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار ﴾ ، أى أن التوبة غير المقبولة هى توبة الاحتضار ، توبة فرعون حين أدركه الغرق .

يقول أبو هريرة - فيما ذكره البخارى - عن الرسول ، ﷺ ، من أشراط الساعة ، (وحتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس - يعنى آمنوا جميعا[1] - فذلك حين لاينفع نفسا إيمانها ، لن تكن آمنت من قبل ، أو كسبت فى إيمانها خيرا) ، أى أن عدم قبول التوبة مقصور على بغتة الموت ، أو الاحتضار .

---

(١) يبدو أن هذا تفسير البخارى أو أبى هريرة .

كيف بنا نمسك رحمة الله ، وهو القائل : ﴿ **قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم * وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له ، من قبل أن يأتيكم العذاب ، ثم لا تنصرون * واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون** ﴾ – الزمر ٥٣/٥٥ .

الآيات صريحة فى إطلاق باب الرحمة ، وفى التحذير من العذاب (المباغت) ، فلا يملك المرء لنفسه فرصة أن (ينتصر) لنفسه بالتوبة ، لأنه يدخل فى دائرة (اللاشعور) والذهول ، فلا تملك نفسٌ الإيمانَ ، ولا ﴿ **ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا** ﴾ .

□ وأما أن القرآن لم يذكر اسم الدجال احتقارا ، أو لوضوح شأنه ، فإن القرآن لم يذكر اسم أحد غير بعض الرسل والأنبياء وبعض الملائكة .

ففيم إذًا دخول السوق ببضاعة مزجاة أو مدخولة ؟! .

(٨)

الذين يتعبدون (النصوص) يجب أن يعلموا أن حديث رسول الله لا يخرج عن كونه تبيانا لكتاب الله ، أى أنه كتاب الله مفصلا ، فما ناقض كتاب الله فهو (ردّ) ، حتى ولو كان (مرفوعا) ، قال تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزّل إليهم** ﴾ ، ﴿ **وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه** ﴾ – النحل ٤٤ و ٦٤ – ﴿ **قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه** ﴾ – الزخرف ٦٣ .

والسلف الصالح وعَى هذه الحقيقة ، حتى كان من الصحابة مَنْ يتحرج فى الرواية عن رسول الله ، ولما حضرت الرسول الوفاةُ ، وأراد أن يكتب شيئا ، خشى عمر أن يشق على رسول الله ، فقال – ما معناه – (حسبنا ما فى كتاب الله) .

وهذا شيخ المحدثين البخارى جمع مائتى ألف حديث منسوبة إلى رسول الله ، وجعل يراجعها ، حتى استصفى ما (لا تزيد على ألفين وستمائة حديث وحديثين ، حيث إنه يفرّق الحديث الواحد على عدة أبواب ، ويذكر فى كل باب ما يناسبه) ، كما قال ابن حجر فى (هدى السارى ص ٤٧٨) ، فأين ذهب الباقى ؟ أو من أين جاء ؟! .

يقول فضيلة الشيخ الذهبى فى كتابه (الإسرائيليات فى التفسير والحديث) : (كان مبدأ ظهور الوضع فى الحديث سنة ٤١ هـ ، حين وقعت الفتنة بين المسلمين ، وانقسم الناس إلى شيعة وخوارج وجمهور أهل السنة ، ولكن فُشوّ الوضع وتفاقم خطره كان فى عصر التابعين) - ص ٣٣ .

(ثم خَلَفَ من بعد هؤلاء خَلْفٌ تساهلوا فى الرواية والمروى ، فإذا رووا حذفوا الأسانيد -كما فعل صاحب « المسيح الدجال »[1] - وإذا تحملوا مرويًا لا يسألون عن سنده ، وكانت تلك طامة كبرى على المأثور من التفسير والحديث ، حيث عمّى ذلك على النـاس وَجْهَ الحق ، فلم يمكنهم أن يميزوا الصدق من الكذب ، ولا الحق من الباطل) - ص ٣٤ .

(ووجد فى هذا العهد جماعة من المفسرين أرادوا أن يسدّوا ما يرونه من ثغرات قائمة فى التفسير ، بما وصل إليهم من الإسرائيليات ، فجاء ما روى عنهم فى التفسير مليئا بقصص كله سخف ونَكارة ، كالذى نراه فى كتب التفسير منسوبا إلى قتادة ومجاهد) - ص ٣٩ .

(وكلما تقدم الزمن بالناس كلما - كذا - تهاون بعض من تصدوا لكتابة التفسير والحديث ، حتى وجدنا من بينهم من أُغرم بالقصص الإسرائيلى ، حتى لا يكاد يدع من ذلك شاردة ولا واردة ، ومن هؤلاء أبو إسحق الثعلبى) - ص ٤١ .

(وأبرز من تعرض من الصحابة الذين أسلموا من أهل الكتاب لتهمة ترويج الإسرائيليات ، ودسّها على عقائد المسلمين ومعارفهم - عبد الله بن سلام ، وتميم الدارى) - ص ٩٨ .

ويلاحظ أن تميم الدارى هذا (فى المرويات) هو أصل رواية الجساسة والدجال !! .

وقد أورد الشيخ الذهبى أقوالا تجرح محمد بن السائب الكلبى ، ومن تتلمذ على يديه - ص ١٤٧ - وفى (الأحاديث التى كان يرسلها ابن جريج أحاديث موضوعة) - ص ١٥٠ - و (مقاتل بن سليمان راوية خرافات ، ومروّج إسرائيليات) - ص ١٥٦ - والطبرى (يروى كثيرا من الأخبار والقصص الإسرائيلى مسندًا إلى كعب الأحبار ، ووهب ابن منبه ، وابن جريج ، وغيرهم من مسلمة أهل الكتاب) - ص ١٦٣ .

(١) الجملة المعترضة من عندى .

وذكر صاحب (الفكر المنهجى عند المحدثين) أن أبا داود قال : (ما كان فى كتابى من حديث فيه وهَن شديد فقد بينته ، ومنه ما لايصح سنده) .

وقال ابن حجر فى سنن ابن ماجه : (فيه أحاديث ضعيفة جداً) .

وقال الإمام الذهبى : (وإنما غضّ من سننه ما فى الكتاب من المناكير ، وأما الأحاديث التى لا تقوم بها حجة فكثيرة) – ص ١٦٩ .

ومع هذا ، فإن أكثر هؤلاء (النقاد) لم يجرءوا على إنكار حديث الجساسة والدجال لماذا ؟! .

(٩)

كانوا يقولون : المفروض أن يكون التلميذ أعلم من الأستاذ ، لأنه = الأستاذ + الزمن .

لكن علماء الحديث المحدّثين يكذبون هذه المقولة ، ويفترضون فى التلميذ الكسل والغفلة وضيق الأفق .

طعن الأستاذ محمود أبو رية فى كعب الأحبار ووهب بن منبه ، وأضرابهما من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا – (أضواء على السنة المحمدية – ص ١٠٨) – فتصدى له فضيلة الشيخ أبو شهبة فى (دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين) ، إذ يقول : (كعب الأحبار من التابعين ، وعلماء الجرح والتعديل – وهم الذين لا تخفى عليهم حقيقة أى راوٍ مهما تَستّر – لم يتهموه بالوضع والاختلاق ، والجمهور على توثيقه) – ص ١٢٢ – (وأما وهب بن منبه فهو من خيار التابعين وثقاتهم ، ولم نعلم أحدا طعن فيه بأنه وضّاع ودسّاس إلا المؤلف) – ص ١٢٤ – يقصد أبا ريّة .

هذا ، وقد روى القرطبى (جـ ١٥ ص ٢٩٤ / ٢٩٥ ط دار الكتب المصرية) عن كعب الأحبار : (لما خلق الله تعالى العرش ، قال : لن يخلق الله خلقا أعظم منى ، فاهتز ، فطوقه الله بحية ، للحية سبعون ألف جناح ، فى الجناح سبعون ألف ريشة ، فى كل ريشة سبعون ألف وجه ، فى كل وجه سبعون ألف فم ، فى كل فم سبعون ألف لسان ، يخرج من أفواهها فى كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر ، وعدد الشجر والورق ، فالعرش إلى نصف الحية ، وهى ملتوية عليه) ، فأين نصنّف هذا القول ؟! .

نقل الشيخ الذهبى فى (الإسـرائيليـات فى التفسـير والحديث – ص ٥٧) رواية كعب وقدم لها بقوله : (إنها تصور الإسلام فى صورة دين خرافى ، يعنى بترهات وأباطيل لا أصل لها ، وكلها نسيج عقول ضالّة ، وخيالات جماعات مضللة) – ص ٥٦ .

ومع هذا روّج لها القرطبى المعْنِىّ بأحكام القرآن ، أى بالعقائد والعبادات ! .

والشيخ الذهبى هذا الثائر على (الترهات والأباطيل) يقف أمام حديث (الجساسة) ، الذى نسب إلى تميم الدارى ، ويقـول : (حديث الجساسـة – وإن كان مشتمـلا على عجـائب وغرائب – لا يمنع من قبوله وتصديقه ، مع ما فيـه من ذلك ، ما دام قد روى من طريق صحيحة ، لا مطعن فيهـا ولا مغمز ، ومـا دام العقـل لا يُحيله ، والدين لا يعارضـه) ص ١٢٤ .

هذا ، مع أن الشيخ يعلم أن (الطريق الصحيحة) التى هى (السند) كان الوضاعون ينقلونها كاملة ، ويضعونها فى صدر ما (وضعوا) وافتروا ، ومع أنه يعلم أن العقل يُحيل اليوم وجود جزيرة لم تصل إليها الأساطيل وأقمار وطائرات التجسس ، ومع أنه يعلم أن تميم الدارى متهم فى روايته ، بدليل قوله : (وأبرز من تعرض من الصحابة الذين أسلموا من أهل الكتاب لتهمة ترويج الإسرائيليات ، ودسها على عقائد المسلمين ومعارفهم : عبد الله بن سلاّم وتميم الدارى) – ص ٩٨ – ثم أى دين لا يعارض هذه (العجائب والغرائب) التى هى نسيج (عقول ضالة) ، (تصور الإسلام فى صورة دين خرافى) ؟! .

أمن المعقول أن يوجد (كائن) وحشى مقيد بالحديد فى جزيرة مهجورة ، منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام ، وسيظل كذلك – دون طعام أو شراب – حتى آخر الزمان ، فيظهر فى خراسان ، أو فى الشام ، وقد أمره الله بالمعجزات التى لم تجر على يد نبى أو رسول ، حتى إن (جبلين) – لا جملين – يسيران معه حيث سار ، أحدهما يمثل الجنة ، وآخر يمثل النـار ، ويظل منتصرا أيمـا انتصار ، مزوّدا بتقـدم علمى كبيـر ، حتى يـأتى عيسـى – عليه السلام فيقتـله ؟! .

ويأتى نعيم بن حمـاد شيخ البخـارى يقـول : (إن الدجـال ليس إنسـانا ، بل هو شيطان ، تتبعه قبائل من الجن ، ويخرجون له خزائن الأرض) !! يروى هذا ابن حجر فى (فتح البارى) ، ولم يعترض عليه – عن المسيح الدجال ص ٢٧٤ .

أظن أن نعيم بن حماد أصابته (المرويات) بالدهشة والحيرة ، فالتمس مخرجـا من (الشياطين) ، وقلب المائدة على رءوس الجميع !! .

أما وهب بن منبه فحسبه أنه صاحب (كتاب التيجان فى ملوك حمير) !! .

(١٠)

فضيلة الشيخ أبو شهبة يؤكد وجود الجزيرة التى فيها الدجال ، بأن (كثيرا من أقطار البر والبحر لا تزال بكرا إلى الآن ، لم تطرقها قدم مستكشف ، بل فى القارات المعروفة أماكن ما زالت مجهولة ، إلى اليوم ، وأظن أنه لا يعزُب عنك مجاهيل أفريقيا وغير أفريقيا ، بل فى بعض الجهات المرتادة مغارات وكهوف لاتزال غير معروفة ، فإذا كان هذا فى البر فما بالك بالبحر ، وثلاثة أرباع هذه الأرض التى يسكنها النوع الإنسانى بحار ، وعلى تسليم أنها كانت فى جزيرة من الجزر المعروفة للناس اليوم ، فهل يلزم من إطْلاع الله سبحانه تميماً وصحبه على الدابة والدجال إطلاع غيرهم عليها ؟ ألا يجوز بعد ما رآها تميم وصحبه أن تكون اختفت عن الأنظار ، وذهبت إلى حيث علم الله سبحانه ؟) - دفاع عن السنة ص١٤٩ .

نعم يجوز ، ولكن ألم يتم اختفاؤها بأحد العوامل الكونية ، زلازل وبراكين مثلاً ، وبهذا يكون الله قد أراحنا من الجساسة والدجال معا ؟ أم أن الأمر كاختفاء الغواصة والحيوانات البحرية ؟ .

ولماذا خص الله - سبحانه - تميما وبنى لخم وجذام بهذا الشرف ؟ ولَمَ أنطق تميما ولم ينطق الآخرين ؟ ولم لَمْ يسأل أحدٌ عن مكان الجزيرة ، وأهل اليمن تجار مغامرون يضربون فى المحيط إلى أفريقيا وشرق آسيا ؟ ثم ما الهدف من التمسك بهذه (العجيبة) ؟ .

ألا تذكرنا طريقة فضيلة الشيخ (الاحتمالية) بالجدل الذى يدور بين الأطفال عن قدرة الله أن يسخط فلانا أو يخسف به الأرض ، وأن (يضع سره فى أضعف خلقه) ، ويسخّر له ما سخر لسليمان من الجن والريح ، ويجعله يبرئ الأكمه والأبرص ويحيى الموتى ، كما فعل مع عيسى - عليه السلام ؟ .

أليس هذا من قبيل جدل الكلاميين حول قدرة الله على خلق المتضادين فى وقت واحد ، وفى مكان واحد ، كالنور والظلمة ، والحركة والسكون ، والصمت والكلام ، والصحة والمرض ؟

ومع أن هاجسا يهجس فى النفوس تجاه هذه (الافتراضات) ، فإن التسليم واجب ؛ لأن الله قادر على كل شئ (!!) وما أيسر أن يتّهم من يدفع إصبعا بالإلحاد والزندقة ، ويضرب بنعال المسجد !! .

ولا أدرى أى جدوى تعود على الإنسانية ، أو على الدين ، بمصادرة العقول ، باسم الإرادة الإلهية القادرة على صنع (المستحيلات) ، مع أن الجدال كان الوسيلة الأساسية لإقامة الحجة على الكافرين ، وقد أعظم القرآن من شأن العقل والفكر واللب والنظر والعلم والذكر ، وسفّه أحلام المقلدين الذين لا يعقلون ، الصم البكم العمى الذين لا يفقهون ، الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم ، وما كانوا مهتدين ، وكانوا كالذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء !! .

☐ رجعت إلى (مروج الذهب) للمسعودى ، وكنت أعلم أنه من مصادر الأدب الشعبى ، أو الأساطير التى تروج فى مجالس العامة ، وغاب عنى أنه من مصادر علماء الجساسة والدجال .. فماذا وجدت ؟! حكَى فى (الجزء الثانى ص ٢٢٩/٢٢٢) ما يتحدث به الناس ، وإن أخذ صورة (الحديث) عن رسول الله - ﷺ - أو ما وصل إليه من أخبار الناس عن النسناس والعنقاء وقِردْ بنى إسرائيل ، وخلَق الخيل ، ثم الجساسة والدجال .. مجرد راوية لما يصل إليه ، لا يمحص ، ولا ينقُد ، ولا يقول : إنه حق أو باطل .

إنه هذا المنهج الذى سبقه إليه أمثال وهب بن منبه وعبيد بن شرية ، فيما كانوا يروون من أخبار السابقين ، فى مجالس معاوية بن أبى سفيان ، وفى المساجد ، وما جمع من رواية وهب وابن شرية فى (كتاب التيجان) مما يستحيل أن يكون مصدرا تاريخيا يعتمد عليه .

والمثير حقا أن أخبار السابقين ، من قبل أن يخلق الله آدم ، ومن بعده ، إنما هى مفتريات إسرائيلية ، والمؤرخون على علم بهذا ، ويروونها ، سواء وثقوا بصحتها أو لم يثقوا ، لكن عُبّاد الحرف المكتوب يلتزمون بصحتها ، كما يحدث اليوم من تمجيد أو إدانة ما تورد الصُّحف ، من غير تحليل أو تدقيق أو غربلة .

ومعروف أننا لو تتبعنا بيانات وإحصاءات ووعود أى حاكم ، وقارناها بالمنجزات ، لكان بونًا شاسعًا ، يجعل من المهدى أكبر دجال ، فكيف إذا أخذنا بأقوال المعارضة فى الحكومة ، وكله مكتوب ، وموقع عليه ، وله سجلات وأضابير !! .

روى المسعودى عن الحسن بن إبراهيم الشعبى القاضى ، قال : حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله المروزى ، قال : حدثنا الحارث بن سعيد بن كثير بن عفير ، عن أبيه ،

عن جـده كثير : عن جـد أبيه عفير ، قال : قال عكرمة ، أخبرنى مـولاى ابن عبـاس قال، قال رسول الله ﷺ : (إن الله لما أراد أن يخلق الخيل أوحى إلى الريح الجنوبى ، إنى خالق منك خلقـا ، فاجتمعى ، فاجتمعت ، فأمـر جبريل فأخذ منها قبضة ، ثم قال الله : هذه قبضتى ، قال : ثم خلق الله منها فرسـا كمْيتًا ، ثم قـال الله : خلقتك فرسـا ، وجعلتك عربيـا) إلخ .

والخبر الذى يتلو هذا (التخريف) هو خبر الجساسة والدجال ، أى أن السياق واحد .

ومعـذرة إذا قلت: (التخـريف) ، لأنه يخـالف أدنى مفـهوم عن طبيعة التكوين الحيوانى ، وإن كنـا سنجـد من يرفـع رايـة (التكفير) ، ويقـول : إنه حـديث صحيح (مرفـوع) ، وإن المدلول مجازى قصد به سرعة الخيل ، لكن هذه السرعة لا علاقة لها بصفة (الكميت) ، ولا بصفة (العربى) ، ولا بما يوحيه وصف (العربى) من أن للخيول الأخرى مصادر أخرى !! .

ويلاحظ أن هذا الفن (الصناعى) للأخبار راج على ألسنة الصوفية ، وتصدرها خبر الخِضر والخرقة ، الذى (يسوّد) مئات الصفحات ، هذا فضلا عن التطور الذى نقله الصوفية عن ملائكة الله فى أفلاكه ، التى تدير الكون ، من طريق (إخوان الصفاء) ، أو من فيثاغورس وإقليدس وبطليموس ، فصنعوا الأقطاب الاثنى عشر ، الذين عليهم مدار العالم ، (وقد وكلهم الله بظهور ما يكون فى الدارين من الكون والفساد ، المعتاد وغير المعتاد) ، وتبعتـهم ذرية صالحة من الأئمة والأوتاد والأبدال والنقباء والنجباء والحواريين والرجَبيين ، إلخ ، إلخ ، مما يباعد بيننا وبين البارئ المهيمن سبحانه .

و (القطب الغوث الفرد فى زماننا محيى الدين بن عربى) ألف الفتوحات المكية (أكثر من ألفى صفحة من القطع الكبير) من واقع (ما فتح الله به علىَّ عند طوافى ببيته المكرم أو قعودى مراقبا له بحرمه الشريف العظيم) .. أما كتابه (فصوص الحكم) ، فقد قدمه رسول الله – ﷺ – بيده الشريفة ، وقال : (هذا كتاب « فصوص الحكم » ، خذه ، واخرج به إلى الناس ينتفعون به) !! .

أليس عجيبـا أن تكون لنا القـدرة على تسيير الأفلاك والأندلس تجثو على أقدام القشـتاليين ؟! .

(١١)

قال الخطيب البغدادى : (ورواية حديث رسول الله - ﷺ - وحديث غيره على المعنى جائز عندنا ، إذا كان الراوى عالما بمعنى الكلام وموضوعه ، بصيرا بلغات العرب ووجوه خطابها ، عارفا بالفقه واختلاف الأحكام ، مميزا لما يُحيل المعنى وما لا يُحيله ، وكان المعنى أيضا ظاهرا معلوما ، وأما إذا كان غامضا محتملا فإنه لا يجوز رواية الحديث على المعنى ، ويلزم إيراد اللفظ بعينه ، وسياقه على وجهه ، وقد كان فى الصحابة - رضوان الله عليهم - من يتبع روايته الحديث عن النبى - ﷺ - بأن يقول : « أو نحوه » أو « شكله » ، أو « كما قال رسول الله ﷺ » ، والصحابة أرباب اللسان ، وأعلم الخلق بمعانى الكلام ، ولم يكونوا يقولون ذلك إلا خوفا من الزلل ، لمعرفتهم بما فى الرواية على المعنى من الخطر) .

هكذا يضع المؤرخ الدينى الكبير شروط رواية الحديث بالمعنى ، ويقول : إن الصحابة لم يكونوا يجرءون إلا مع التحوّط والتورع ، مع أنهم (أعلم الخلق بمعانى الكلام) ، لعروبتهم الأصيلة ، ولحفظهم الكثير من الآداب العربية ، ولقربهم من الرسول الأعظم ، ولمسئوليتهم الكبرى عن نشر الدين وعن حماية الدعوة .

أما وقد فسد الزمان ، وتقدم لحمل الأمانة غلمان من الغلمان ، وهجموا على النصوص الدينية - دون وعى بالعربية ، ودون فقه للأصول والفروع ، ودون خوف من المساءلة عن الزلل والهوى- يفسرون ويفتون ، ويرفعون أسلحة مشوهة فى وجه من ينكرون ، فقل : يا رحمن ، يا رحيم ، اللهم لا نسألك ردّ القضاء ، ولكن نسألك اللطف فيه .

إن من كبار الصحابة من وقف على المنبر ، عند قوله تعالى : ﴿ وفاكهة وأبّا ﴾ ، وقال : (ما الأبّ ؟!) ثم راجع نفسه ، وقال : (ثكلتك أمك) ، وماذا يجديك أن تقف الآن عندما تجهل ؟! .

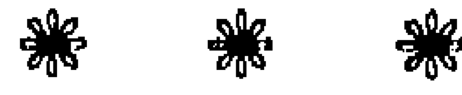
كان الإمام على يقول : (القرآن حمّال أوجه) ، أى لا يسهل على المرء أن يقطع بصحة ما يقولُ فيه ، فلا بد لمن يقول فى القرآن قولا أن يعلم أنه يشهد على الله أنه أراد كذا ، وما أعظمها شهادة كاذبة ، إذا هى لم توافق صحة الدلالة .

وأنّى للمرء فى هذا الزمان أن يصل إلى صدق الدلالة ، وهو غير (بصير بلغات العرب ، ووجوه خطابها ، واختلاف الأحكام ، وغير مميز لما يُحيل المعنى وما لا يُحيله) ؟! .

إن أكثر أدبائنا وكتابنا وعلمائنا وكتبة الرسائل الجامعية يلجئون إلى من يصحح لهم أخطاءهم اللغوية ، والأسلوبية .

فكيف لهـؤلاء أن يجـرءوا على القـرآن والحـديث بما لا يدخل فى دائرة الرسـالة المحمدية ، ويحمّلوا لفظ القرآن والحديث ما هو من همـوم مجتمعاتهم ، ومن مختلقات أوهـامهم ؟! .

أليس الأجدى – بدلا من النظر فى أشراط الساعة (الخامسة والعشرين) أن نكون على رضوان من الله ، فيما منح من زمن نعيشـه ، ونكابد من عيشه ، فنعمل على تخفيف المكابدة ، ونتعاون على البر والتقوى ، ونتبادل العلم والمعرفة وثمرات الإنتاج ؟! [1].



(١) من المؤسف حقا أن نتوسع فيما أجملته المصادر التى نقلنا عنها ، إذ يكتفى إنجيل مرقس ومتى بالحديث عما يسبق عودة السيد المسيح بأنه (يكون فى تلك الأيام ضيق لم يكن مثله منذ ابتداء الخليقة التي خلقهـا الله إلى الآن ولن يكون) ، ويقول سفـر رؤيا يوحنا : (هـؤلاء هم الذين أتوا من الطبقـة العظيمة ، وقد غسّلوا ثيابهم ، وبيّضوا ثيابهم فى دم الخروف) – يقصد السيد المسيح ، وتكتفى الكتب الدينية بالحديث عن (جُند المسيح) دون تفصيل .

يأجوج ومأجوج

القبيلة الثالثة عشرة

الماسونية

الماسونية فى بروتوكلات حكماء صهيون

الماسونية والخلافة العثمانية

الماسونية على الأرض العربية

القبيلة الثالثة عشرة

يقول صاحب نهاية الأرب جـ ١٤ ص ٢٧٨ :

(صحّ عن رسول الله - ﷺ - أنه قال : إن يأجوج ومأجوج ليحفرون السد كل يوم ، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس ، قال الذين عليهم : ارجعوا ، فستحفرون غدا ، فيعيده الله - عز وجل - أشد ما كان ، حتى إذا بلغت مدتهم ، وأراد الله أن يبعثهم إلى الناس ، حفروا ، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال : ارجعوا ، فستحفرونه غدا ، إن شاء الله ، واستثنوا ، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه ، فيحفرونه ، ويخرجون علي الأرض ، فينشفون المياه ، ويتحصّن الناس منهم فى حصونهم ... فيبعث الله عليهم نغفا - دودا - فى أقفائهم ، فيقتلهم بها .. قال ﷺ : والذى نفسى بيده ، إن دواب الأرض لتسمن وتشكر شكرا من لحومهم ودمائهم) .

وهذا الذى (صح) بعيد من المعقول (المادى) ، ولكن يمكن أن يكون صورة (رمزية) للشرور التى يمكن أن يخص الله بها جماعة من الناس تعوزهم الوسائل فى فترة من الزمان ، ولكن ما يزالون يلحّون فى طلب الأسباب ، حتى إذا تمكنوا منها فرضوا سلطانهم بالقوة المادية والمعنوية ، وعاثوا فسادا .

ولعل رواية البخارى عن زينب ابنة جحش قريب من هذا المعنى ، إذ تقول : (ويل العرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج ، مثل هذه ، وحلّق إصبعه الإبهام والتى تليها) ، أى أشار الرسول - ﷺ - إلى زمن قريب ، فى حدود (تسعين أو مائة) ، كما جاء فى رواية أخرى ، ولا يختلف هذا عن أحاديث أخرى تحذر من مستقبل سيئ ، فيه تتداعى الأمم على المسلمين ، كما تتداعى الأكلة على قصعتها ، لا من قلة ، ولكن من كثرة ، هى غثاء كغثاء السيل .

ولو أننا أخذنا برأى الذى يقول : إنهم (اليهود) لوجدنا أكثر من دليل على (اختيار) هذا الاتجاه .

وقد كان صاحب (المسيح الدجال) مقاربا لهذا الرأى ، لولا أنه قصر دور اليهود على مناصرة الدجال ، دون إشارة إلى أنهم يأجوج ومأجوج ، واتخذ من النصوص التوراتية عبارات استغلها (خطابيا) ، ولم يوفق إلى منهج علمى .

ولعل أول الخيوط العلمية يتمثل فى كتاب (ويسألونك عن ذى القرنين) ، لمولانا أبى الكلام آزاد الذى قدمه إلى العربية الشيخ أحمد حسن الباقورى ، رحمهما الله .

وقبل أن نقدم شيئا من (اجتهاد) أبى الكلام آزاد ، نشير إلى أن القرآن فى حديثه عن ذى القرنين ، لم يزد على أنه الرجل الذى آتاه الله من كل شئ سببا **﴿ ثم أتبع سببا * حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا ﴾** ، **﴿ حتى إذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا * قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا * قال ما مكنّى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما ﴾** - سورة الكهف .

ذو القرنين الذى (مكّن الله له فى الأرض ، وآتاه من كل شيء سببا) رجل حامد شاكر لربه .

و (يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض ، لا يكادون يفقهون قولا) ، لا يحسنون التفاهم مع الآخرين ، ولا يعترفون بحقوق الآخرين ، ويرون أنهم الأحق بكل خيرات الدنيا ، وأن الآخرين ما خلقوا إلا ليكونوا فى خدمتهم ، كبقية الحيوانات المسخرة .

وهذا كله لا يبعد عن صفات اليهود .

أما عن مطلع الشمس (الشرق) ، فيمكن الأخذ به من خلال يهود (الخزر) الذين قامت دراسة أبى الكلام آزاد عنهم ، من خلال بحثه عن (السد) الذى أقامه قورش (ذو القرنين) .

يقول أبو الكلام : (والمقصود بسدين ، مضيق فى جبال القوقاز ، وإنك تجد على يمين القوقاز بحر الخزر الذى يسد طريق الحافة الشرقية منها ، وعلى اليسار البحر الأسود الذى يسد طريق الحافة الغربية ، وترى فى الوسط سلسلة جبالها الشاهقة التى صارت جدارا طبيعيا ، فلم يكن هناك منفذ للمهاجمين من الشمال إلا مضيق وسطى فى هذه الجبال ، يجتازه المهاجمون ، ويشنون الغارات على البلاد الواقعة وراءه ، فبنى غورش فى هذا المضيق سدّا حديديا ، أخذ به الطريق على المغيرين) .

والتاريخ القديم والحديث يشيد بقورش الذى كان (شخصيته فذة ، غير عادية فى عصره ، فإنه أحدث فى قلوب الشعوب المعاصرة له أثراً يحيّر الألباب) .

(إنه لم يكن فاتحا عظيما ، بل حاكما كبيرا كذلك) .

(كانت رعيته تهابه ، ولكن لا تخشى قسوته ، إذ حكومته لم تعرف عقاب القتل والسلب والنهب ، لم يكن المذنبون يجلدون ، ولا تصدر الأوامر بالمذابح العامة ، ولا تخاف الشعوب الجلاء من الأوطان ، بل كان الأمن والسلام يشمل الجميع ، وترفرف الطمأنينة والرفاهية على الكل ، قد محيت آثار مظالم الملوك الآشوريين والبابليين ، ورجعت الشعوب المنفية إلى أوطانها ، وأعيدت إليها آلهتها ومعابدها) .

ومن هنا كان انتدابه لهذه المهمة الإنسانية .

وإذا كانت كلمتا يأجوج ومأجوج عبريتين [١] ، فإنهما تنطقان فى اليونانية غاغ (Gog) وماغاغ (Magog) والأصفهانى فى (غريب القرآن) أدخلهما فى القاموس العربى فقال : (ويأجوج ومأجوج منه) أى من أجيج النار ، لأنهم (شبهوا بالنار المضطرمة والمياه المتموجة لكثرة اضطرابهم) ، وفصّل (لسان العرب) القول ، فقال : إنهما (قبيلتان من خلق الله) ، (وهما اسمان أعجميان ، واشتقاق مثلهما من كلام العرب يخرج من أجّت النار) ، وزاد أنه جاء فى الحديث : (الخلق عشرة أجزاء ، تسعة منها يأجوج ومأجوج) فكأنه راعى الاشتقاق اللغوى ، بمعنى انتشار الفساد فى البر والبحر ، وأن الصالحين فى المجتمع الإنسانى قلّة ، وبهذا أخرج الموضوع من (الغيب) إلى (الواقع) ، فأراح واستراح .

ولعل حال قبائل الخزر لا يبعد عن الاشتقاق اللغوى فى المعاجم العربية ، إذ (تضافرت الشواهد التاريخية على أنهم لم يكونوا إلا قبائل همجية بدوية من السهول الشمالية الشرقية ، تدفقت سيولها من قبل العصر التاريخى إلى القرن التاسع الميلادى ، نحو البلاد الغربية والجنوبية ، وقد سميت هى أسماء مختلفة فى عصور مختلفة) .

أما عن مكان السد : فيسمى فى أيامنا هذه بمضيق داريال (حيث يوجد إلى الآن جدار حديدى من قديم الزمان ، ولا ريب أن هذا هو الجدار الذى بناه غوروش ، إذ تنطبق عليه الأوصاف التى وصف بها القرآن سدّ ذى القرنين ، قائلا : إنه استخدمت فى بنائه زبر الحديد ، وأفرغ عليه النحاس ، بعد أن أذابوه ، لتتصل مفاصله) .

---

(١) ورد لفظا مأجوج واشكناز فى سفر تكوين صح ١٠ وفى سفر أخبار الأيام الأول صح ١ بين أبناء نوح وأحفاده ، ويزعم يوسف ملك الخزر أن اشكناز هذا جدهم الأعلى ، ويهود شرق أوربا يسمون الاشكنازم لأن أصولهم خزرية .

و (قد سمى هذا السد ، أو الجدار الحديدى – فى اللغة الأرمنية من الدهور السابقة – بـ « بهاك غورائى » و « كابان غورائى » ، ومعنى الكلمتين : « مضيق غورروش » ، أو « ممر غورروش » .

و (سمى هذا المضيق باللغة الجورجية – من الدهور الغابرة – « الباب الحديدى » ، وترجمه الأتراك إلى لغتهم « دامركبو » ، وهو مشهور إلى الآن عندهم) .

(وقد ذكر الاصطخرى والمسعودى والمقدسى وياقوت الحموى والقزوينى وغيرهم من المؤرخين والجغرافيين هذا المكان باسم « دربند » ، قائلين : إنه كان يعد أهم مكان فى العصر الساسانى ، لأن المغيرين ما كانوا يستطيعون مهاجمة إيران الشمالية إلا من هذا الطريق ، فكان المكان مفتوحا للمملكة الإيرانية ، يملكها من يملكه) .

(لكن جدار « دار بند » بنى من الحجر ... ثم إن هذا الجدار لا يسد ممرا جبليا ، بل يصعد من ساحل بحر الخزر إلى مرتفعات الجبل) .

(ولكن لما وجد جدار مضيق داريال أو سدّه ، وجدار « دار بند » فى بقعة واحدة من الأرض ، لا يفصل بينهما إلا مسافة قليلة – اختلط الأمر على الناس [1] ، أى أن ثمة جدارين ، أحدهما « دار بند » الذى تحدث عنه المؤرخون العرب ، وقيل إن الذى بناه أنو شروان ، أو الإسكندر المقدونى ، أو أحد قادة الإسكندر ؛ والثانى « داريال » الذى بناه قورش ، وتنطبق عليه الأوصاف القرآنية ، وتجاهله المؤرخون العرب ، أو جهلوه ، لأنه لم يكن ذا صلة وثيقة بالأحداث العربية .

☐ ويؤيد ما ذهب إليه أبو الكلام آزاد ذلك البحث الجيد الذى قام به أرثر كويستلر وسماه القبيلة الثالثة عشرة ، وقام بعرضه إبراهيم زكى خورشيد فى (كتاب أكتوبر) دار المعارف ١٩٧٩ ، وترجمه كاملا الأستاذ أحمد نجيب هاشم – الهيئة العامة للكتاب ١٩٩١ كما أن ثمة كتابا آخر بعنوان (تاريخ الشعب اليهودى) لماكس مارجليوس وألكسندر ماركس طبعته جمعية النشر اليهودية فى أمريكا ١٩٢٧ ، وقام بعرض جانب منه الأستاذ عبد الرحمن شاكر فى مجلة الهلال ديسمبر ١٩٩١ .

وكتاب (**القبيلة الثالثة عشرة**) يقول : إن الخزر كانوا قبيلة تركية من قبائل الفيافى ، استطاعت أن تتعامل مع موجة إثر موجة من الغزاة الترك والعرب ، فقد قاومت

---

(١) النصوص السابقة من (ويسألونك عن ذى القرنين) – طبعة الشعب ص ١٣٣ – ١٧٦ .

وأخضعت البلغـار والبـرطاس والبشنـاق والغـز وغيرهم ، ومن قبل كانـوا يستخـدمون ممر (دربند) على ساحل بحر قزوين ، وكان يسمى باب الأبواب ، ويغيرون هم والقبائل النهّابة – منذ عهد سحيق – على البلاد التى فى الجنوب ، ثم يرتدون بالغنائم إلى ديارهم ، وقد أخذ العرب فى سطوتهم يستخـدمون هذا الممر ، ويدخلون بلاد الخـزر ، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يمكّنوا لأنفسهم فيها ، إذ كان عهدهم فى تلك الأيام منصرفـا إلى حصار القسطنطينية ، إذ بفتحها يمكن وصل ما بين المشرق والمغرب ، ويصبح البحر الأبيض ساحة عربية .

وكان الروس يسمون هذه (القبيلة) بولوفستى ، ويسميهم البـيزنطيـون القومـان ، ويسميهم الهنغاريون القُون ، ويسميهم الأتراك القفجاق ، وكانوا يحكمون الفيـافى حتى هنغاريا ، من القـرن الحـادى عشـر الميلادى ، حتى القرن الثالث عشر ، حين غشيهم بدورهم الغزو المغولى .. على أن الخزر استطاعوا – قبل الفتح المغولى الجائح وبعده – أن يرسلوا شُعبا كثيرة منهم إلى الأراضى الصقلبية غير المفتوحـة ، وأقاموا فى النهاية المراكز اليهودية الكبرى فى أوربا الشرقية .

وقـد دخلت اليـهـودية إلى بلاد الخـزر قبـل سنة ٨٦٤م ، إذ كـتب القس ستـفـالى كريستيان دروتمار فى هذا التاريخ – وكان مبعوثا مسيحيا مشهورا ، أرسله الامبراطور البيزنطى ليهدى الخزر إلى المسيحية – يقول : (يعيش قوم تحت قبة السماء ، فى أقطار لا يوجد فيها مسيحيون ، واسم هؤلاء القوم يأجوج ومأجوج ، وهم من الهون ، ومن بينهم واحد يقال له الخزرى ، وهو مختتن ، ويتبع اليهودية بجميع ما فيها) .

ويختتم الرحالة العربى ابن فضلان رسالته بقوله : (والخزر وملكهم كلهم يهود ، وكان الصقالبة وكل من يجاورهم فى طاعته ، ويخاطبهم بالعبودية ، ويدينون له بالطاعة ، وقد ذهب بعضهم إلى أن يأجوج ومأجوج هم الخزر) .

ويرى الأستاذ بولياك أن بلاد الخزر المجاورة للشعب الروسى فى عهدها الأخير إنما كانت هى (الدولة اليهودية) وأن جيشها كان جيشا من اليهود .

والتاريخ العربى يحدّث عن دخـول اليهودية إلى هذه البلاد ، فيما يشبه (المُلْحة) ، إذ إن (الخاقان) ملك الخزر رأى أن أعداءه من حوله يدينون بالإسلام أو بالمسيحية أو باليهودية ، ورأى أن هذه الأديان ربما كانت من أسرار قوتهم ، ولما كان الخزر وثنيين فقد رأى أن يختار لقومه أحد الأديان الثلاثة ، فجمع شيخا وقسّا وحاخاما ، وسأل كلا منهم سؤالا واحدا : لو لم تكن على دينك ما ذا كنت تختار من الأديان الأخرى ، وحَدثَ أن اختار الشيخ

اليهودية ، لأنها أصل المسيحية ـ ، وكذلك فعل القس ، فرأى الخاقان أن اليهودية هى الأفضل ، فاختارها له ولقومه ، وثمة روايات أخرى فى هذا الشأن ، لكن يبدو أن الخاقان رغب عن الإسلام والمسيحية ، لأن لكل منهما دولة عظمى ، ووقع فى وهمه أن اعتناق المسيحية يخضعه لسلطان الامبراطور الرومانى ، وأن اعتناق الإسلام يخضعه لسلطان خليفة بغداد ، ولما كان طموحه أن يكون الدولة العظمى الثالثة فقد آثر اليهودية ، ليقف على طرف ثالث (مساوٍ) ، وبخاصة أن الأطراف الثلاثة لم تكن على وفاق .

وممّا يشكك فى هذه الرواية جملةً ما رواه رولاند بنيتون أستاذ تاريخ الكنيسة بجامعة ييل الأمريكية فى كتابه (مواقف من تاريخ الكنيسة – ص ٥٨) عن قصة دخول المسيحية فى روسيا أن رسل الأديان الثلاثة جاءوا إلى قصر فلاديمير الأول سنة ٩٨٨ ، ليشرح كل منهم اعتقاده ، وأعلن المسلمون عن أفراح الجنة ، وقد فرح فلاديمير بذلك ، لكنه رفض الإسلام عندما علم أنه سيحرمه من شرب الخمر ، وقال : (الإسلام لا يصلح لنا ، لأن الشراب بهجة الشعب الروسى) ، ثم جاء اليهود وتحدثوا عن دينهم ، لكن فلاديمير رفض أن يعتنق دين قوم لا وطن لهم ، ورفض فلاديمير الكاثوليك ، لأن جدته لم تأخذ عقيدتها عنهم ، ثم صور الأرثوذوكس عقاب الجحيم الذى يصيب كل من لا يؤمن بعقيدتهم ، فقرر فلاديمير أن يفكر فى اعتناق الأرثوذوكسية ، وأرسل رجاله لزيارة القسطنطينية ، وهناك رأوا كنيسة أيا صوفيا ، فدهشوا لجمال البناء ، وروعة الترنيم ، وطيب رائحة البخور ، وعظمة النظام ، وترتيب الشمامسة الذين يحملون الشموع ، وقدم الرجال تقريرا عظيما لفلاديمير ، فلم يملك إلا أن قال : (إذن يمكن أن نعتمد على الإيمان الأرثوذوكسى) .

وتكررت هذه القصة فى كتاب (الامبراطورية البيزنطية والدولة الإسلامية) للدكتور إبراهيم العدوى – ص ١٣٢ .

وباليهودية صارت للخزر توجهات عدوانية (دينية) ، وصارت لهم اتصالات بيهود أسبانيا ، إبّان محنة سقوط الأندلس ، ووقوع البلاد تحت سلطان محاكم التفتيش الرهيبة .. وقبْلها .

فإذا كانت دولة السلاجقة – كما يقول ابن العبرى وابن العديم – تنسب إلى قائد فى جيش الخاقان الخزرى ، وأن سلجوق نفسه نشأ فى بلاط الخاقان – يمكن القول : إن السلاجقة لعبوا دورا فى تاريخ الإسلام واليهودية معا .

ومعروف أن اليهودية اتخذت سلاح (التقية) المعروف فى الإسلام عند الرافضة والباطنية ، ولكن بشكل خاص ، إذ إن اليهود كانوا يلبسون ثياب الإسلام والمسيحية ، ليعملوا من داخلها ضد الإسلام والمسيحية ، وليبسروا (الغزو اليهودى) لمواطن النفوذ فى بلاد (الجوييم) من المسلمين والمسيحيين ، ومن ثم يسيطرون على الاقتصاد ، ويتحكمون فى مطابخ التوجيه السياسى والتحلّل الاجتماعى .

ويبدو أن صلات الخزر بالدولة العباسية أبعد من تاريخ السلاجقة ، إذ إن ثمة عادة اشترك فيها العباسيون الأوائل مع الخزر ، فقد كان خاقان الخزر - إذا مات - يرسم أن تبنى له دار كبيرة ، فيها عشرون بيتا ، ويحفر له فى كل بيت منها قبر ، وتكسر الحجارة حتى تصير مثل الكحل وتفرش فيه ، وتطرح النورة فوق ذلك ، ويجرى تحت الدار نهر كبير تتدفق مياهه بسرعة ، ويحولون ماء النهر الكبير ليجرى فوقه ، ويجعلون ذلك القبر بينهما ، ويقولون : حتى لا يصل إليه شيطان ولا إنسان ولا دود ، وإذا دفن ضربت أعناق الذين دفنوه ، حتى لا يدرى أين قبره من تلك البيوت .

لكن هذه الملاحظة التى قامت على إخفاء قبور الخلفاء العباسيين بين حفائر كثيرة منذ أبى جعفر ، خوفا من الأعداء ، إذ كان العباسيون ينبشون قبور الأمويين ، ويمثلون بجثثها - لا تعد دليلا ، إذ إن فكرة إخفاء القبور تخضع لظروف تفرضها دواع قائمة ، وقد كان المصريون القدماء يفعلون نوعا من الإخفاء خوفا من اللصوص ، ووسائل الإعلام اليوم مشغولة بالكنوز التى دفنها چينكيز خان فى مقبرته التى أخفاها رجاله .

❑ وقد ساعد الغزو المغولى على انتشار يهود الخزر فى وسط أوربا ، إذ عمد جنكيز خان إلى ذبح سكان مدن بأسرها ، حتى ينذر من تسوّل له نفسه مقاومة الغزو ، واتخذ الأسرى دريئة تحمى مقدمة جيشه ، ودمر شبكة الريّ فى دلتا الفولجا ، فحرم الخزر عماد معاشهم ، وأحال الفيافى الخصبة أرضا قاحلة .

وجاء الموت الأسود فيما بين ١٣٤٨ - ١٣٥٠ م فزاد من خراب قلب الخزر ، ما بين القوقاز والدون والفولجا ، حتى أقفر من ناسه .

ولهذا أصبحت الهجرة فى معظم الفيافى الأوربية هى المنفذ الوحيد أمام السكان الذين يريدون تأمين حياتهم ومعاشهم ، وكان خروج الخزر من مواطنهم جزءا من هذه الصورة العامة .

وقد سبق هذا إقامة مستوطنات ومحلات خزرية فى أماكن شتى ، فى أوكرانيا وجنوبى روسيا ، وكان فى (كييف) جماعة يهودية زاهرة ، قبل انتزاع الروس هذه المدينة من الخزر وبعده .

ولهذا يجمع المؤرخون البولنديون على أن (الفريق الأكبر من اليهود فى العصور الأولى أصله من بلاد الخزر) .

ومن ثم فإن نصيب الخزر فى التكوين السلالى لليهود كان عنصرا أساسيا ، بل كان فى جميع الاحتمالات هو العنصر السائد .

وما يزال الرداء التقليدى ليهود بولندا لا تخطئ العين أصله الشرقى ، ولا ننسى أن طعام البولنديين الأثير هو السمك ، وثمة مثل شائع يقول : (إذا غاب السمك فلا قيام ليوم السبت) ، ولا شك فى أن هذا يرجع إلى الذكريات البعيدة للحياة على بحر الخزر ، حيث كان السمك غذاء ثابتا .

وهذا التكوين العجيب الذى نشأ عن الخُلق اليهودى التوراتى الموروث – من خلال وهم (شعب الله المختار) ، ومحن الشتات والأسر البابلى ، والإذلال القيصرى ، ومزجه بالخلق البدوى الهمجى الخزرى – أعان على ارتكاب أشنع الجرائم ضد (الجوييم) الأمميين غير اليهود .

وتمثلت هذه الجرائم بداية فى السيطرة الاقتصادية ، وخنق الشعوب الأخرى بأنشوطة الفقر ، وجرها تحت نير عبودية الحاجة .

يقول سيسل روث الكاتب المشهور : (إن تجارة أوربا الغربية فى العصور المظلمة كان أغلبها فى يد اليهود ، ولا نستثنى من ذلك تجارة الرقيق ، وكانت كلمة يهودى فى مواثيق الملوك الكارلوفنجيين صنواً لكلمة تاجر) .

وتولد عن هذا التسلط كراهية شديدة لليهود فى أوربا ، ورغبة قوية فى الخلاص منهم ، بل فى الانتقام منهم ، حتى إن اليهود فى بلاد الراين كان يلقى بهم فى معاصر النبيذ ، حتى الموت ، لدرجة أن اليهود كانوا يقتلون أبناءهم وزوجاتهم ثم ينتحرون خوفا من أن يكون مصيرهم إلى المعاصر ، وآثر كثيرون التعميد والدخول فى النصرانية .

ولما كان فيليب لوبل (الجميل) ملك فرنسا يعانى من أزمة اقتصادية وقلق اجتماعى شديد ، فقد لجأ إلى قرار سرى أصدره فى ٢١ يونية ١٣٠٦م بالقبض على جميع اليهود ، ومصادرة أملاكهم وطردهم من البلاد .

وإبان نكبة الموت الأسود الذى اغتال ثلث سكان أوربا بين سنتى ١٣٤٨/ ١٣٥٠م اتهم اليهود بتسميم الآبار وذبح أطفال المسيحيين ، عملا بمقتضى شعائرهم ، مما أثار الأوربيين حتى اضطر اليهود إلى الانتحار ، خوفا من إحراقهم أحياء .

وتكرر هذا الانتقام الجماعى فى أسبانيا وإيطاليا وروسيا القيصرية ، مع أن اليهود لعبوا دورا خطيرا أثناء الحروب الصليبية ضد الدول الإسلامية .

ثم كان الانتقام الألمانى فى عهد النازية .

وهذه الكراهية الشديدة لليهود ، والمحاولات المتكررة للانتقام الجماعى ، هى – فى الدرجة الأولى – وراء وضع اليهود فى قلب البلاد الإسلامية ، كقنبلة عنقودية يتبع تفجرها ألوان من التشويه والتمزيق والإحراق .

ولا ريب فى أن (الإسلام) – فى تصور الحكام غير المسلمين – أشد خطورة على كياناتهم السياسية والدينية ، بما يحمل من مقومات وإيجابيات ، تستطيع على المدى القريب أن تقتل ما يزعمونه خلايا حية فيهم ، وعلى المدى البعيد يستعيد قدراته الخلاقة ، فتكون له المغامرة ، وتكون له المبادرة .

إن الحلف (الخبيث) الذى يجمع بين العدوين (التقليديّين) ، اليهود والصليبيين ، على حساب المسلمين ، هو الذى أعان على تلك النكبات المستمرة التى تنزل بالمسلمين ، أفرادا ودولا ، فكراً وفقرا ، تزييفا ، وتصنيفا ، تهويلا وتخذيلا ، مسخا ونسخا وتنكيلا !! .

ولابد أن يكون معلوما أن وجود إسرائيل ليس إلا مرحلة من مراحل التوسع والاستحواذ ، وأن التحالف (الخبيث) بين الصهيونية والصليبية ليس إلا وسيلة مؤقتة ، وأن العالم كله هو مطمع حكماء صهيون ، وأن (بروتوكلات) هؤلاء (الحكماء) ترسم الخطوط العريضة التى يمكن أن تمثل الخطر الحقيقى الناشئ عن خروج يأجوج ومأجوج من خلف السد ، إذ إن أكثر هؤلاء الحكماء ، بل أكثر الاشكنازيم[1] الذين يحكمون إسرائيل هم من الخزر الذين كانوا من خلف السد ، ثم انتشروا كالوباء ، يحملون على ظهورهم أوزار التوراة والتلمود فى صورة بروتوكلات وتوصيات .

---

(١) فى سنة ١٩٦٠ قدّر عدد السفرديم فى العالم بخمسمائة ألف ، على حين قدر عدد الاشكنازيم بحوالى أحد عشر مليونا .

☐ والعبـارة القـرآنية ﴿ **حتى إذا فتحت يأجـوج ومأجـوج وهم من كل حدب ينسلون** ﴾ تكاد تصور اليهودية العالمية ، وتخطيطها (العنصرى) لسيادة (الشعب المختار) ، عن طريق وسائل تخريبية مختلفة ، ذات أبعاد مرسومة بدقة ، تتناول جميع القيم والمبادئ والمذاهب وألـوان النشـاط الإنسـانى ، حتى ما هو من اللهـو والرياضة البدنية ، والرقص والغنـاء ، و (المزاج العالى) !!

وهذا لا يعنى إمكانية تحقيق (الحكومة الكونية) ، كما يزعمون ، بل أريد به التحذير من الوسائل الدنيئة ، والجرائم التى يرتكبون ، والوظائف التى يصطنعون ..

إنهم قادرون على حياكة الأقنعة ، وعلى اختراق السراديب والأقبية ، كما هم قادرون على حصار وتطويع أجهزة المناعة ، فى حيث يتسللون ، وينفثون السموم والفتن والآلام .

ولا ريب فى أن إيثار السلامة ، وسهولة الكسب الرخيص ، وإيثار المتع الخبيثة ، والحرص على التسلق وركوب ظهر الموج – من الآفات التى يمكن استغلالها أشنع استغلال .

وقد أخذ اليهود يفكرون فى قيادة العالم ، منذ توصلوا إلى أنهم (شعب الله المختار) خلال المعاناة الرهيبة على يد (سرجون) ٧٢٢ ق.م ، ذلك الملك الآشورى الذى قضى على دولة يهوذا ، واستولى على السامرة وأخذ سكانها أسرى ، ثم على يد نبوخذ نصر ، الملك البابلى الذى دمر أورشليم ٥٨٦ ق.م ، وحـرق هيكل سليمـان ، وسلب خـزائن المـدينة ، ونقلها إلى بابل ، وأخـذ معه أربعين ألف أسير ، وقبض على الملك (صدقيا) ، وذبح أولاده أمام عينيه ، ثم فقأ عينيه ، وأخذه مع الأسرى ، وشرّد مَنْ بقى من اليهود ، فلما كان الحكم الرومانى دمر تيتوس أورشليم ، وحرق الهيكل ، وبنى معبدا للإله (جوبيتر) ، وقتل عددا كبيرا ، وساق آلاف الأسرى إلى روما ، واختص صديقه (فرونتو) بيهود أورشليم ، فأعمل فيهم الصلب والتعذيب ، وأرسل الأقوياء يعملون فى مناجم مصر ، أما الأطفال والنساء فقد بيعوا فى مختلف أسواق الامبراطورية الرومانية بأبخس الأثمان .. ثم تتابعت المآسى فى عهود نيرون وتراجان وهادريان .

وقد يرجع هذا التاريخ (المأساوى) الذى ولّد فى نفوسهم الشعور (بالتفوق) ، وأن (الرب) راعيهم حيث أقاموا أو رحلوا ، وأنه (الغمامة) التى تظلهم ، ويمطر العذاب على أعدائهم – إلى رحـلة الخـروج من أرض مصر ، ومطاردة فرعون حتى بحر سوف ، ثم إذا (الرب) يضرب بعصا موسى البحر لينجوا ويغرق فرعون وجنوده ، بالرغم من أنهم سرقوا ذهب

المصريين وقمحهم ، فلما خافوا دخول الأرض التى أذن الله لهم فى دخولها ، وأبوا قائلين : **﴿ إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها ﴾** ، ومع أن الله فجر لهم الينابيع ، ليشجعهم على رحلة الخروج من مصر ، قالوا : **﴿ يا موسى ، اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا هاهنا قاعدون ﴾** .. حَمِى غضب الرب عليهم ، فحكم عليهم أن يتيهوا فى صحراء سيناء أربعين سنةً ، ثم لطف بهم ، وأنزل عليهم المنّ والسلوى ، فلما ذهب موسى لميقات ربه ، صنعوا لهم عجلا جسدا له خوار وعبدوه ، ومع هذا رحمهم وغفر لهم ، وحقق لهم انتصارات (رهيبة) على يد يوشع .

هذا التاريخ (المرير) - دون شك - عمّق صلتهم بالرب ، وجعلوه إلها خاصا بهم ، وإن الدين (الموسوى) لهم من دون (الآخرين) ، وصار التابوت والهيكل والمعبد تجسيدا لكونهم (شعب الله) ، دون سواهم ، لهذا شارك (يهوه) فى صناعة التابوت ، وفى بناء الهيكل والمعبد ، مشاركة (هندسية) ، فقد قام بالتصميم ، واختار أحيانا من يتولون أمر البناء[1] .

والذين كتبوا التوراة والتلمود وضعوا فى اعتبارهم (إعلاء) أبناء يعقوب ، وصنعوا لهم سلسلة نسب تصعد إلى سام بن نوح ، وتبعهم فى هذا (العبث) جميع المؤرخين ، مع أن صانعى هذا النسب قاموا بتحقير الخارجين على هذه (السلسلة) ، حتى سموهم (أبناء الدنس) ، الذين لم يخلقهم (رب إسرائيل) إلا ليخدموا ويكونوا أدوات بناء (مملكة الرب) ، مثلهم مثل بقية الحيوانات ، أو أقل ، ولهذا حرموا الزواج منهم ، وحرموا مؤاكلتهم ، وأباحوا الزنا بهم واسترقاقهم ، وجعلوا من الجرم أن يجد أحدهم (أُمَمِيًا) فى حفرة وينقذه منها ، بل يُثاب إذا ردم عليه .

من هنا أخذ التفكير العملى فى الانتقام أشد الانتقام ، حين تعلو شوكتهم ، إلى حد الإبادة التامة لكل نفس حية ، لأنهم - وحدهم - أصحاب الحق فى الوجود ، وفى السيادة !! .

☐ وثمة من يزعم أن (الماسونية) ترجع إلى عهد الملك سليمان ، وأن هذا الملك - مع حكماء اليهود - قد خططوا فى ٩٢٩ ق.م لابتكار مكيدة يغزون بها كل العالم ، ويفتحونه فتحا (سلميا) لصهيون .

---

(١) انظر : خروج ٢٧/٢٦/٢٥ والملوك أول ٨/٥ وحزقيال ٤٣/٤٠ .

ولقرون طويلة ظل اليهود فى بولندا والنمسا وبقية دول شرق ووسط أوربا منظمين ، يحكمهم مجلس مشترك قوى ، أفرز جنود الحركة الصهيونية .

وعن طريق هذا (المجلس) أخذت (الماسونية) أسماء متعددة ، مثل الروتارى – الليونز – البناى برث – شهود يهوه – البهائية – القاديانية ، وهى أسماء تلتقى بالدرجات والرموز والتأويل المصطنع للحروف والأعداد ، وتدور حول إعادة (بناء الهيكل) .

يقول (أشعياء) مصورا موقف اليهود من الأمة العربية بخاصة ، ولا ندرى لماذا العرب (أبناء الجارية) ، إلا إذا كان التفكير – منذ مدّ لهم (قورش) الرَّسَنَ – قد وَهم القدرة على الامتداد والتوسع ، بحيث تصبح (أرض الميعاد) من الفرات إلى النيل ، مرحلة أولى ، وصاغوا هذا (الوهم) وعْدا على لسان (الرب) إلى أنبيائهم :

(قومى استنيرى ، لأنه قد جاء نورك ، ومجد الرب أشرق عليك ، لأنه ها هى الظلمة تغطّى الأرضَ ، والظلام الدامس الأمم ، أمّا عليك فيشرق الرب ، ومجده عليك يرى ، فتسير الأمم فى نورك ، والملوك فى ضياء إشراقك) .

(ارفعى عينيك حواليك ، وانظرى ، قد اجتمعوا كلهم ، جاءوا إليك ، يأتى بنوك من بعيد ، وتُحمل بناتك على الأيدى ، حينئذ تنظرين وتنيرين ، ويخفق قلبك ويتسع ، لأنه تتحول إليك ثروة البحر ، ويأتى إليك غنى الأمم ، تغطيك كثرة الجمال ، بُكران مديان وعيفة كلها تأتى من شَبا ، تحمل ذهبا ولُبانا ، وتبشر بتسابيح الرب ، كلَ غنم قيدار تجتمع إليك ، كباش نَبايوت تخدمك ، تصعد مقبولة على مذبحى ، وأزين بيت جَمالى) .

(وبنو الغريب يبنون أسوارك ، وملوكهم يخدمونك ، لأنى بغضبى ضربتك ، وبرضوانى رحمتك ، وتنفتح أبوابك دائما ، نهارا وليلا لا تغلق ، ليؤتَى إليك بغنى الأمم ، وتُباد ملوكهم ، لأن الأمة والمملكة التى لا تخدمك تبيد ، وخرابا تَخرب الأمم ، مجد لبنان إليك يأتى ، السرو والسنديان والشربين معا ، لزينة مكان مقدسى ، وأمجد موضع رِجلىّ) .

(وبنو الذين قهروك يسيرون إليك خاضعين ، وكل الذين أهانوك يسجدون لدى باطن قدميك ويدعونك مدينة الرب صهيونَ قُدّوسِ إسرائيل ، عوضا عن كونك مهجورة ومبغَضة بلا عَابر بك أجعلك فخرا أبديا ، فَرحَ دَوْرٍ فدور ، وترضعين لبن الأمم ، وترضعين ثُدِىّ ملوك) .

(وشعبك كلهم أبرار ، يرثون الأرض) إصحاح ٦٠ .

ويأتى (أرمياء) فيؤكد هـذا (الوهم) ، ويردد وعود (أشعياء) : مع أنه صاحب (المراثى) :

(قوموا اصعدوا إلى قيدار ، اخربوا بنى المشرق) إصحاح ٤٩ .

ويخص (أشعياء) المصريين بخطٍّ وافر من الأحقاد المتوارثة المتوالدة منذ (الخروج) فيقـول :

(وأهيّج مصريين على مصريين ، فيحاربون كلٌّ واحد أخاه ، وكل واحد صاحبه ، مدينة مدينة ، ومملكة مملكة ، وتهراق روح مصر داخلها) .

(وتنشـف الميـاه من البحـر ، ويجف النهـر وييبس ، وتُنتن الأنهـار وتضعف ، وتجف سواقى مصر) .

(وتكون أرض يهوذا رعبا لمصر) .

(فى ذلك اليـوم يكون فى أرض مصر خمس مـدن تتكلم بلغـة كنعـان ، وتحلف لرب الجنود) .

(فى ذلك اليوم يكون مذبح للرب فى وسط أرض مصر وعمود للرب عند تُخَمها) إصحاح ١٩ .

ويأتى (حزقيال) فيكيل لمصر ، ويغترف من نفس البئر السوداء : وتكون أرض مصر مقفرة وخربة ، فيعلمون أنى أنا الرب ، لأنـه قـال : النهـر لى وأنا عملته ، لذلك هـا أنا عليك وعلى أنهـارك ، وأجعـل أرض مصر خربا خربـة مقفـرة ، من مجدل إلى أسـوان إلى تخـم كوش ، لا تمـر فيهـا رجـل إنسـان ، ولا تمر فيهـا رجـل بهيمة ، ولا تسكن أربعين سنة) إصحاح ٢٩ .

أما سوريا التى شهدت انقسام دولة الرب بعد سليمان إلى يهوذا وإسرائيل ، وعن طريق سوريا هبطت جوائح الفرس والروم ، فإن رب (أشعياء) يقول :

(هوذا دمشق تزال من بين المدن ، وتكون رُجمة رَدْم) إصحاح ١٧ .

ويمضى (أرمياء) فى طريق سَلَفه ، فيقول :

(اسمعوا مشورة الرب التى قضى بها على أدوم ، وأفكاره التى افتكر بها على سكان تيمان ، إن صغار الغنم تسحبهم ، إنه يخرب مسكنهم عليهم) .

(خربت حماة وأرفـاد ، قد ذابوا لأنهم قد سمعوا خبرا رديئاً ، فى البحر اضطراب ، لا يستطيع الهدوء ، ارتخت دمشق والتفتت للهرب ، أمسكتها الرِّعْدة ، وأخذها الضيق والأوجاع كماخِضٍ) إصحاح ٤٩ .

ثم يجمع (أرمياء) بين مصر وسوريا في قدر يغلى بالأحقاد ، فيقول الرب :

(فهذا اليوم للسيد رب الجنود يوم نقمة للانتقام من مبغضيه ، فيأكل السيف ويشبع ويرتوى من دمهم ، لأن للسيد رب الجنود ذبيحة في أرض الشمال عند نهر الفرات ، اصعدى إلى جلعاد ، وخذى بَلَسانا ، يا عذراء بنتَ مصر ، باطلا تكثّرين العقاقير ، لا رفادة لك ، قد سمعت الأمم بخزيك ، وقد ملأ الأرض عويلك ، لأن بطلا يصدم بطلا ، فيسقطان كلاهما معا) . إصحاح ٤٦ .

أما فلسطين فيقول (أرمياء) :

(بسبب اليوم الآتى لهلاك كل الفلسطينيين ، لينقرض من صور وصيدون كل بقية مُعين ، لأن الرب يهلك الفلسطينيين بقية جزيرة كفتور ، أتى الصلع على غزة ، أهلكت أشقلون مع بقية وطائهم) إصحاح ٤٧ .

ويقترب الأنبياء بعد من (الحلم) ، الصهيونى الكبير ، فإذا العبارة فضفاضة ، وإذا المُحال على قدم الخيال ، وقد مدّ ذراعيه شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، يقول (دانيال) :

(ويمد يده على الأراضى ، وأرض مصر لا تنجو ، ويتسلط على كنوز الذهب والفضة ، وعلى كل نفائس مصر ، واللوبيون والكوشيون عند خطواته ، وتفزعه أخبار من الشرق ومن الشمال ، فيخرج بغضب عظيم ليُخرب وليُحرّم كثيرين ، وينصب فسطاطه بين البحور وجبل بهاء القدس ، ويبلغ نهايته ، ولا معين له) إصحاح ١١ .

ويضع (ميخا) أحذية لهذا الخيال ، حتى يسحق (شعوبا كثيرين) :

(والآن ، قد اجتمعت عليك أمم كثيرة الذين يقولون : لتتدنّس ولتتفرّس عيوننا في صهيون ، وهم لا يعرفون أفكار الرب ، ولا يفهمون قصده ، إنه قد جمعهم كحزَم إلى البيدر ، قومى ودوسى يا بنت صهيون ، لأنى أجعل قرنك حديدا وأظلافك أجعلها نحاسا ، فتسحقين شعوبا كثيرين ، وأحرّم غنيمتهم للرب وثروتهم لسيد كل الأرض) إصحاح ٤ .

وذلك كله يعتمد على (حلم ليلة صيف) ، ترك فيها (حزقيال) ثوبه للريح ، بينما كان يصل إلى وهمه صوت الرب يقول :

(كما يفتقد الراعى قطيعه ، يوم يكون في وسط غنمه المشتتة ، هكذا أفتقد غنمى ، وأخلصها من جميع الأماكن التى تشتت إليها ، في يوم الغيم والضباب ، وأخرجها من الشعوب ، وأجمعها من الأراضى ، وآتى بها إلى أرضها ، وأرعاها على جبال إسرائيل ، وفي الأودية ، وفى جميع مساكن الأرض) إصحاح ٣٤ .

الماسونية

المعروف أن اليهود ظلوا تاريخهم الطويل فى انتظار (المسيح) المخلّص ، فلما ظهر السيد المسيح كان المتوقع أن يلتفوا حوله ، ويكونوا خير أعوانه ، وبخاصة أنه أعلن ولاءه لليهودية ، وأنه ما جاء لينقص ، بل ليكمل .

ومع قلة من آمنوا بالسيد المسيح من الصيادين والفقراء ، فإن اليهود ـ بجميع طوائفهم – ازدادوا شراسة وعنادا وكيدا ، حتى وصلوا به إلى الصليب .

وأخذوا يلاحقون الحواريين والأنصار فى كل مكان ، ولم يكتفوا بهذا ، بل دسوا على المسيحية من غيّر وبدل فيها .

كان بولس يهوديا من طرسوس كيليكية ، وكان يعرف العبرية واليونانية ، وغالبا الآرامية أيضا .

كانت مؤهلاته – كعالم يهودى – لا يشك فيها أحد ، فهو فرّيس تعلم على قَدَمَىْ غمالائيل العظيم ، وكان يحمل الجنسية الرومانية .

كان أحد قادة اليهود الذين اضطهدوا المسيحية ، وزعم أن المسيح ظهر له ، فدخل المسيحية بأفكار يونانية ، وقرر إثنينية طبيعة المسيح ، وأنه ابن الله حقا من السيدة العذراء ، قرر أن الوصايا بشأن الأطعمة والصيامات والفروض ليست ملزمة ، ودعا إلى عالمية المسيحية ، وجعل من الكنيسة مؤسسة لا يحتاج من يدخل فيها وينضم إليها سوى الإيمان بالمسيح يسوع .

ويلاحظ أن هـذه المبادئ هى صميم مفهوم الماسونية ، فيما عدا لاهوت المسيح وناسوته .

☐ بعد إعلان دقلديانوس (٢٨٢ – ٣٠٥ م) المسيحية دينا رسميا للبلاد ، أصبحت القدس عاصمة مسيحية ، وأصبحت اليهودية بدعة ، اعتناقها جريمة ، ولقى اليهود من الاضطهاد على يد المسيحيين ما لم يلاقوا فى جميع العصور ، وبخاصة بعد ما انتشرت المسيحية فى أوربا .

وفى القرن الرابع الميلادى عقد صلح بين الكنيسة والدولة الرومانية ، نص على اعتبار اليهودية العدوّ الأول للمسيحية ، عقائديًا وسياسيا ، فصدرت مجموعة القوانين المعروفة باسم قوانين قسطنطين .

وجاء جستنيان فحرم على اليهود إقامة الصلوات وقراءة الكتاب المقدس باللغة العبرية وطالبهم باستخدام ترجمة يونانية .

وفى سنة ٤٣٩م صدر تشريع ينص على أنه لا يجوز لليهودى أن يتقلد مناصب ، أو يحمل أنواط شرف ، كما لا يجوز تعيينه فى عمل يتصل بالإدارة أو الدفاع .

يقول توينبى : لقد أصدر مجمع طليطلة الكنسى المنعقد بأمر الملكة إيفيكا سنة ٦٩٤م (أن جميع اليهود يعتبرون عبيدا لأسيادهم المسيحيين ، وعلى هؤلاء الأسياد أن يمنعوا اليهود من ممارسة أى طقس من الطقوس الدينية ، وتصادر جميع أموال اليهود لصالح خزانة الدولة ، وينتزع منهم أولادهم بعد بلوغهم السابعة من عمرهم ، ويربون تربية مسيحية) .

ولعل هذا الاضطهاد كان من أسباب انعزال اليهود الاجتماعى (الجيتو) ، بالإضافة إلى تعاليم الحاخامات التلمودية التى كانت تتدخل فى جميع شئون اليهود الخاصة والعامة .

وهذا (الجيتو) بعينه كان من أهم أسباب الكراهية وسَوْق الاتهامات وإثارة الظنون ، حتى وصفوا بأشنع الأوصاف ، حتى قال إسرائيل سنجر ، الكاتب الصهيونى : (إنهم شعب منحط ، قانط ، يحيا فى القذارة) .

ومع أن اليهود لعبوا دورا خبيثا ، أثناء الحروب الصليبية ، بإثارة ملوك الفرنجة وأمرائهم ، وبتخذيل المسلمين وبث الفتن بينهم ، ونقل أخبارهم — فإن الصليبيين لم يستثنوا اليهود عقب الاستيلاء على بيت المقدس ، لأن الحكام الأوربيين كانوا من المسيحين الأصوليين الذين يؤمنون بالحكم الألفى للسيد المسيح الذى فيه يقيد إبليس وينزع الشر ، فكان الانتقام من اليهود الذين أساءوا إلى السيد المسيح ولم يؤمنوا به وسيلة تطهر قبل بداية الألف سنة ، ومن ثم فإنهم — فى الطريق إلى أرض المعركة — كانوا يوقعون باليهود ، كأنما كانوا يقصدون إلى تطهير الجبهة الداخلية .

وفى سنة ١٢٩٠م قضى الإنجليز على اليهود جميعا بالنفى ، وتبعهم فى ذلك الفرنسيون ، وسرت العدوى إلى شعوب أوربا الوسطى .

وقد تفنن الألمان فى تعذيب اليهود ، فكانوا يجردونهم من ثيابهم ، ويخزونهم بالشوك ، ثم يسوقونهم جماعات إلى حفر ، يحشرونهم فيها ، ويغطونهم بالحطب ، ويشعلون النار .

وفى عهد مكميلان الأول (١٤٩٣ - ١٥١٩) صدر قرار فى يوليه ١٤٩٨ بطرد اليهود من مدينة نورمبرج ، استجابة لطلب مجلس المدينة ، وأخذت المدن الأخرى فى التخلص منهم .

وفى ٣٠ مارس ١٤٩٣ أصدر فرديناند وإيزابيلا بأسبانيا مرسوما يقضى بالفتك بالمسلمين واليهود .

وفى الفترة من ١٥١٥ / ١٥١٦ وضع اليهود فى جزء منفصل عن المدينة (جيتو) التى يقيمون فيها ، تحت حراسة مسيحية ، وكان للجيتو أسوار وبوابات تغلق فى المساء .

وفى سنة ١٥٤٣ هاجمهم لوثر زعيم الإصلاح الدينى فى كتابه (فى اليهود وكذبهم) .

واستمرت الحملات العدوانية بين مد وجزر ، حتى ظهرت فى ألمانيا سنة ١٨١٩ جمعية (هب هب) تهاجم اليهود ، لأنهم اعتصروا ثروات الشعوب ، وامتصوا دماءهم .

وفى سنة ١٨٨١ كانت رائحة الدخان تنتشر من البحر الأسود إلى بحر البلطيق ، إذ كانوا يحرقون اليهود وبيوتهم وكتبهم ، وحددت روسيا لهم مناطق لا يخرجون منها ، وألزمتهم الخدمة العسكرية خمسة وعشرين عاما .

كل هذا فى الوقت الذى كانوا ينعمون بالأمن والسلام فى ظل الدولة الإسلامية ، ويعتلون المناصب الهامة ، ويتحكّمون فى اقتصادها .

☐ ومع هذا كله تحول (الجيتو) إلى معامل تفريخ جرثومية خطيرة ، ضد شعوب العالم قاطبة ، واتخذوا من جميع الوسائل غير الأخلاقية جسورا لتخريب المجتمعات من الداخل ، اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا ، ووهموا أن (المسيّا) سيأتى ويجلس على عرش داود ، وزعموا أنه سيولد سنة ١٦٣٠م ، وعلقوا هذا الوهم فى رقبة (شابيتاى زيفى) الذى اتخذ من إبراهيم ابن ناثان نبيا له ، حتى كشفت السلطات التركية ألاعيبهما .

إن فكرة (المسيّا) المخلّص التى لبست (أسفار) ما بعد الشتات هى التى أوحت إليهم بتقديس (بعل) ، حتى راجت ـ منذ القدم ـ فكرة الملك المتفانى فى حب شعبه وفى حمايته ، وقد نقلوا هذه الفكرة عن الكلدان والسريان والآشوريين ، وهذه الفكرة بعينها تتمثل فى برومثيوس عند اليونان ، ومثرا عند الفرس ، وكريشنا عند الهنود ، وأوزوريس عند قدماء المصريين .

لقد أخذ الماسونيون بعض تعاليمهم وأساطيرهم من الفينيقيين وقدماء المصريين ، كأنهم يربطون تاريخهم بأرض الميعاد ، فى كل من التوراة والتلمود ، (من الفرات إلى النيل) .. إنهم يسمون الله باسم مركب من مقاطع ، هو (يعبلون Jabulon) ، المقطع (يا) اختصار لكلمة (ياهوه) إله إسرائيل ، والمقطع (بول) تحريف لكلمة بعل إله الكنعانيين ، والمقطع (أون) هو الاسم العبرى لمدينة (عونو) المصرية القديمة المعروفة عند الإغريق باسم (عين شمس) ، وكانت عند القدماء مركز العلم ، ومهبط الحكمة ، وعبادة الشمس .

وما زالت المعابد الماسونية تقام على صورة المعابد الفرعونية ، وما زالت رموزهم أشبه بالهيروغليفية ، مثل الأهرام والعين اللذين يتصدران خاتم الولايات المتحدة الرسمى وعملتها الورقية .

وقد صنعوا بهذه الصياغة القاعدة التى تتحرك عليها ، وأخذت هذه القاعدة شكل (هيكل سليمان) الذى تعتمد أركانه على (الماسونية) ، القادرة على التشكل والتسلل والمراوغة والابتزاز والغدْر .. (ماسونية) تحل محل الأديان ، وتقوم محافلها مقام دور العبادة ، وبذلك يكون (المحفل الماسونى – كما يقول ماكبرايد – المصنع الذى تُصاَغ فيه أرواح الناس وتشكل ، لتلائم المعبد المثالى الأعظم) .. (ماسونية) تعمل على مستوى العالم ، تبث عملاءها فى المراكز المؤثرة على مستوى صناعة القرار ، بكل صفاته ونوعياته ، سياسيا وعسكريا ، ثقافيا واقتصاديا ، اجتماعيا وإعلاميا ، تربويا وفنيا ، حتى تدار حركة العالم وفق الخطة الصهيونية على المستوى العام ، وتترك التفصيلات لمناورات الصراع المحلى ، حسب ظروف المرحلة والدولة ، وهى التى تصّدر المؤامرات ، وتدبّر الانقلابات ، وترسم الخطط للسيطرة ، ووضع الجميع تحت السرج .

جاء فى النشرة التى أذاعها المشرق الأعظم فى فرنسا سنة ١٨٥٦ : (نحن الماسونيين لا يمكننا أن نتوقف عن الحرب بيننا وبين الأديان ، لأنه لا مناص من ظفرنا أو ظفرها ، ولابد من موتها أو موتنا ، ولن نرتاح إلا بعد إقفال المعابد جميعها) .

وجاء فى النشرة التى أصدرها مؤتمر لييج سنة ١٨٦٥ ، وقد حضره مندوبون عن ألمانيا وفرنسا وانجلترا وأسبانيا وروسيا : (إن دعاية الماسونية هى تغلّب الإنسان على الرب الموهوم ، والنفور من الإله) .

وجاء فى نشرة المحفل الفرنسى الأكبر سنة ١٩٢٣ : (إن غايتنا – قبل كل شىء – هى إبادة الأديان جميعا) .

وتقول مجلة (أكاسيا ٩ سنة ١٩٠٣ : (إن النضال ضد الأديان لا يبلغ نهايته إلا بعد فصل الدين عن الدولة ، وهناك يسهل الانقضاض على الدين بسهولة ودون مقاومة) .

ويتم تدريب الماسونى على الأسرار والطلاسم والرموز ، فيغسل دماغه من كل فكر قديم يزاحم الخطة والتصميم ، ويتبلد ذهنه ، فلا يعود قادرا على الوفاء لأى عملية عقلية تراجع أو تربط أو تحلل أو تستنبط أو تستنتج أو تتذكر ، لأن (المساكين) قد أصبحوا (كالغنم غباوة ، ورءوسهم مملوءة بالفراغ) .

وبعد أن ينْشلّ التفكير ، ولا يعى إلا الدور (المرسوم) ، ينفسخ ولاؤه من كل دين أو عرف أو تشريع ، وينفك ارتباطه بوطن أو قوم أو أهل ، ويصير (أداة) للدور المجنّد له فحسب ، وحين يفرغ وجدانه من كل قيمة أو عاطفة يسهل ارتباطه بمعطيات (العهد) فى مراتب (الأخ) ، و (الزميل) ، و (الأستاذ) ، و (الرفيق) .

إنه يُقْسم على (إخفاء الرموز والأسرار والطلاسم) عن عالمنا الجاهل ، غير الماسونى ، ويلتزم بأنه لو ضيّع أى طِلّسم أو رمز ، أو أفشى أى سر ، كتابة أو رسما أو لفظا فإن عليه أن يتقبل ـ برضى تام – الجزاء الأوفى ، من خلال عقوبات تصل إلى (قطع الرأس) أو (قطع الحلق ونزع اللسان من الجذور) ، و (الدفن فى رمال شاطئ البحر) ، حيث يعذبه (المد والجزر) مرتين كل يوم ، أو أن (يشق صدره ، وينزع قلبه ، ليعطى للطيور الجارحة) أو (يلقى فريسة لوحوش الغابة) ، أو أن (يحرق جثمانه ليصير رمادا يذّرى ، فتحركه الرياح الأربع ، حتى لا يبقى له أثر) .

وتقوم (الماسونية) على كسب و (تسخير) الأمميين (غير اليهود) الذين يقبلون – كما يقول البروتوكول الثالث عشر من بروتوكلات صهيون – (عن فضول محض ، أو على أمل فى نيل نصيب من الأشياء الطيبة ، التى تجرى فى المحفل الماسونى ، وبعضهم يغشاه ؛ لأنه قادر على الثرثرة بأفكاره الحمقاء أمام المحفل ، والأمميون يبحثون عن عواطف

النجاح ، وتهليلات الاستحسان ، وعلينا أن نوزعها جُزَافًا ، حتى نتركهم يظفرون بقدر من النجاح ، لكى نوجه لخدمة مصالحنا كل من تتملكهم مشاعر الغرور ، ومن يتشربون أفكارنا عن غفلة ، واثقين بصدق عصمتهم الشخصية ، وبأنهم وحدهم أصحاب الرأى ، وأنهم غير خاضعين – فيما يرون – لتأثير الآخرين) .

وقد حرصوا على أن يأخذ نظام (المحفل) صورة (مقدسة) ، بحيث (إن سبعة أعضاء يكونون محفلا صحيحا متكاملا – كما يقول أرنزويت – لأن الرقم سبعة له مغزى عظيم فى الماسونية ، فهو تذكار « للسبت » فى إسرائيل ، و « للسنة السبتية » عند قدماء اليهود ، و « للسنوات السبع » التى استغرقها بناء « معبد سليمان » ، وللسبع شمعدانات التى وضعت داخله ، وأما الرقم « أحد عشر » فهو تذكار للنقص الذى حدث لاسم مؤسس القبيلة الثانية عشرة ، عندما بيع « يوسف » فى مصر) .

وحتى ينجح المعمار الماسونى روّجوا لمزاعم ومفتريات ، مثل ما جرى على لسان (إخوان الصفاء وخلاّن الوفاء) من (أن الشريعة قد دنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ، ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة اليونانية) ، حتى إذا تحقق التعلق بالفلسفة اليونانية أمكن (غسيل مخ) المتفلسفين ، وإشعارهم بعدمية الأشياء .

ويلاحظ أن العدمية (النّهلية) Nihlism هى من صناعة (المحفل الكونى الماسونى) الذى يدير (الماسونية العالمية) ، وأريد بالعدمية إشاعة اليأس بين الناس ، وتشجيع الميول الفوضوية ، حتى يكون الهدم هدفا ، وسبيلا إلى التخريب والتدمير ، ليتم ملء الفراغ بالفكرة الصهيونية ، وما (يرجى) لخير العالم من تحقيقها .

لقد أريد بـ (الروتارى) أن يكون جهاز معلومات ، ومركز تدريب ، ومدرسة تجهيزية للفكر الماسونى ، ونسختها البديلة ، أو الرافدة ، لجَمْع العملاء ، وتجنيد الجواسيس .

ومن ثم فالعالم يعانى من جراء هذه التنظيمات ذات الوجوه الاجتماعية – أو الخيرية – الملونة .

فلا عجب أن (الماسون « عالى المقام » قد قام بمعجزات لا نظير لها من البسالة والجراءة – خلف دفاعات المسلمين فى الحروب الصليبية – ونتج عن هذا الدور أن الملوك والأمراء الصليبيين قد توسلوا ملتمسين بإلحاح – كما يقول أرنزويت – وحازوا القبول للدخول فى الماسونية) !! .

❑ فى عام ١١٥٥ انتخب ملك انجلترا ريتشارد (قلب الأسد) أستاذاً أعظم للمحافل الماسونية ، ولعب معه يهود فلسطين دورا خطيرا .

وانتسب إلى المحافل الماسونية كل من هنرى الثانى وهنرى الرابع وهنرى الخامس وجورج الأول وجورج الخامس ، من ملوك انجلترا ، كما انتسب دزرائيلى ولويد جورج وونستون تشرشل ، من رؤساء الوزراء ، ولورد كيرزون ولورد بلفور من الوزراء ، وبيكون وصموئيل كلارك من الفلاسفة ، و هـ. د. لورانس وديكنز من الأدباء ، وأوليفر كرومويل صاحب انقلاب المتطهرين ، وهربرت صموئيل أول حاكم بريطانى فى فلسطين .

وفى سنة ١٦٢٠ تمكن الماسون من إشراك الأساقفة ورجال الإكليروس معهم ، وقلدوهم رئاسة محافلهم .

ولا تزال الكنيسة البروتستانتية تقيم من الملوك ورؤساء الجمهوريات حماة للماسونية ، حتى قيل : إن لوثر لعب دورا كبيرا لصالح اليهود ، بحركته التى خضعت للتخطيط اليهودى ، بضرب سلطان البابوية .

وكان الامبراطور الألمانى ويلهلم ، وأمير ويلز - ولى عهد انجلترا - وأسقف كانتربرى ، من أبرز المنتسبين للمحافل الماسونية .

نشرت جريدة الأهرام - ٢٨ مايو ١٩٠٣ - تحت عنوان (الحركة الصهيونية فى انجلترا) ، أن اليهود أنشئوا (مدينة إسرائيلية) فى قلب لندن ، ووصفتها الصحيفة بأنها (قدس جديدة) ، زاحموا فيها صغار العمال والأهالى مزاحمة لم تعد خافية على العامة والخاصة ، لدرجة أنه تشكلت لجان ، ووضعت تقارير لبحثها ، كما نقلت الصحيفة عن أحد اليهود أنه بدأت تظهر فى بريطانيا دلائل لطرد اليهود .

هذا ، مع أن الماسونية تربّت فى أحضان الامبراطورية التى لا تغرب عنها الشمس ، وانتشرت معها إلى سائر مستعمراتها ، كما امتدت إلى أنحاء أوربا ، مجتذبة الربوبيين والفزيوقراطيين ، والتنويريين .

تقول دائرة المعارف البريطانية : لقد ازدادت المحافل فى إيطاليا فى نهاية القرن الثامن عشر ، فازدادت الرغبة فى النقاش السرى لمشكلات كثيرة ، وحين قامت الثورة الفرنسية كانت للماسونيين مطالب ديمقراطية فى بولونيا وميلانو ونابلى فى إيطاليا ، حيث كثر المفكرون الأحرار المؤيدون للجمهورية فى فرنسا ، فى حين أجمعت الحكومات الإيطالية على معارضة

الثورة الفرنسية ، ولم تلبث محافل نابلى أن أعلنت تأييدها للثورة ، وأخذت الأنشطة السرية والمؤامرات فى الظهور ، وكثرت الضحايا ، وهاجر بعض أعضاء المحافل إلى فرنسا ، حيث كان إعلان حقوق الإنسان يؤيد خروج اليهود من (الجيتو) واندماجهم فى الوجود الأوربى .. وازدادت المحافل فى بولنده فى الفترة ما بين (١٨١٩ - ١٨٢٥) بسبب اعتداء الملك إسكندر الأول على الدستور أكثر من مرة ، وشارك الماسونيون الروس - خلال القرن الثامن عشر - فى الانفتاح على العلوم والمعارف ، وتبنوا تيارا إصلاحيا من أجل زلزلة الكيان القيصرى .

لقد منح اليهود - بحلول عام ١٨٨٤ - فى انجلترا وألمانيا وهولنده وبلجيكا والدانيمارك والنرويج حقوقا كاملة ، كبقية المواطنين ، بل حقوقا متميزة ، بفضل انتشار المد الثورى الفرنسى ، وبفضل نشاطهم التجارى والمالى .

وبانتشار الماسونية فى أوربا البروتستانتية ، وبتأييد من فريدريك الثانى فى ألمانيا ، وجوستاف الثالث فى السويد ، لم تستطع السلطة البابوية مقاومتها .. بل إنه - من خلال حركة التنوير - وصلت الماسونية إلى الإكليروس .

❑ كان الماسونيون - من الناحية النظرية - يستبعدون من عضويتهم كل (فاسق كافر) ، وكل (ملحد غبى) ، وكان على كل عضو أن يعلن إيمانه بـ (مهندس الكون الأعظم) ، ولم تشترط فى العضو عقيدة دينية غير هذه ، فقد قصر الماسون لاهوتهم على الربوبية ، ومن ثم جمعوا كل الخارجين على الأديان ، وكانوا خلف حركة مطاردة اليسوعيين ، وهاجموا الكتاب المقدس ، ودعوا إلى التعاون و (التسامح الدينى) ، والإصلاح السياسى ، من أجل تشكيل جماعة (إخوان) دولية (سرية) استهوت كثيرين من الطامحين والانتهازيين والخونة والجواسيس .

ولما وصل كازانوفا إلى باريس أصبح رفيقا ، ثم رئيسا للطائفة التى صار لها سنة ١٧٨٩ فى باريس وحدها ٦٢٩ محفلا ، كل منها يضم من خمسين إلى مائة عضو ، بينهم كثير من النبلاء والكهنة ، وإخوة لويس السادس عشر ، وأكثر زعماء حركة التنوير ، وصار منهم فى الجمعية الوطنية : لافاييت ، وميرابو الأب والابن ، والفيكونت دنواى ، ودوق لارو شفوكو ليانكور ، ودوق أورليان .

وتكاثرت المحافل فى ڤيينا ، وكان الامبراطور يوزف من مؤيديها ، لكنه ضيق الخناق أو كاد ، حين شعر بأن (الأخطبوط) قد هيأ البلاد لغزو نابليون .

إن البروتوكول الثالث من (بروتوكلات حكماء صهيون) يزعم أن الثورة الفرنسية كانت إحدى المنجزات الماسونية ، وصولا إلى مملكة داود ، فهو يقول : (تذكروا الثورة الفرنسية التى نسميها الكبرى .. إن أسرار تنظيمها التمهيدى معروفة لنا جيدا ، لأنها من صنع أيدينا) .

وقد أراد نابليون أن يقلد الامبراطور الفارسى قورش الذى حرر اليهود من الأسر البابلى ، فأصدر نداء فى ٢٠ /١٧٩٩/٤ ، وجهه إلى اليهود ، يستفزهم للعمل تحت رايته حتى يعيد إليهم ما أسماه (مجدهم الضائع وحقوقهم المسلوبة) .

وعندما اجتاح نابليون أوربا فرض مساواة اليهود فى كل أرض نزل بها ، وقال قولته الشهيرة : (يجب أن نعترف بأن الدنيا تدار من قبل المنظمات السرية) ، ومن ثم استعادوا نشاطهم على شكل (سنهدرين) .

وفى ألمانيا أعلن بسمارك عام ١٨٧١ قرارا أسماه (تحرير اليهود) ، وانشقت الأرض عن جمعيات ماسونية صهيونية أسمت نفسها (عشاق صهيون) .

وبهذا - كما تقول البروتوكلات - (سقط العالم المسيحى ساجدا مغلوبا على أمره) ، ووقع فى شرك هذه المؤامرة السرية اللا إنسانية ، حتى إن الحبر الألمانى ماكس لينتتال استطاع فى منتصف القرن التاسع عشر أن ينشئ مدارس يهودية عصرية فى روسيا .

ولعب آل روتشيلد فى فرنسا أخطر الأدوار العالمية فى دعم النشاط الصهيونى .

وتم قتل البابا يوحنا بولس الأول بالسم ، ولم يمض فى منصب البابوية أكثر من ٣٣ يوما ، بأمر من المحفل الماسونى الإيطالى السرى ، الذى يختبئ مؤسسه (ليتشيوجيلى) حاليا فى أمريكا اللاتينية ، وذلك بوضع مادة الدجتالين السامة ضمن الأدوية التى يتناولها ، وذلك لأن البابا كان يعدّ لحملة تطهير شاملة فى الفاتيكان ، تتضمن إقالة عدد كبير من كبار المسئولين ، وإجراء تحقيق حول الأوضاع المالية واتخاذ إجراءات لتخفيف القيود التى تفرضها الكنيسة الكاثوليكية حول منع الحمل .

❑ وبسبب من هذه الأصابع الملوثة التى امتدت إلى الفاتيكان أصدر البابا لويس الخامس عشر - عام ١٧٣٧م - مرسوما بمناهضة الماسونية ، واستجابت لهذا الاتجاه البابوى بطريكيات الكاثوليك فى العالم ، وشكك البروتستانت واليهود المحافظون فى أهدافها ووسائلها .

تقول دائرة المعارف اليهودية : إن اليهود والماسونيين اتهموا فى ألمانيا – خلال ستينات القرن الماضى – بتخريب المجتمع التقليدى وتدميره ، ثم انتقل هذا العداء إلى فرنسا ، وظهرت كتب كثيرة تؤكد (الخطر اليهودى الماسونى) ، ولعبت فكرة التعاون السرى بين اليهود والماسون دورا مشبوهاً فى قضية دريفوس سنة ١٨٧٠ ، وأضحت إحدى بدهيات العداء للسامية ، كما تضمن كتاب (بروتوكلات حكماء صهيون) الذى نشر فى روسيا لأول مرة سنة ١٩٠٤ – فكرة مؤامرة يهودية ماسونية للسيطرة على العالم .. فلما ترجمت البروتوكلات إلى الألمانية والإنجليزية فى عشرينات هذا القرن عُدَّ اليهود والماسونيون عملاء سريين تسببوا فى اشتعال الحرب العالمية الأولى وهزيمة ألمانيا ، وأصبح شعار (اليهود والماسون) صيحة حرب ضد اليمين الألمانى ، استغلها هتلر فى صعوده إلى السلطة .

وفى الولايات المتحدة تتصدر الأسماء اليهودية قوائم مؤسسى الماسونية ، فموسى مايكل هيز أدخل الطريقة الاسكتلندية ، وعين سنة ١٧٦٨ نائب مفتش عام على الماسونية فى أمريكا الشمالية كلها ، ونظم محفل الملك داود فى نيويورك سنة ١٧٨٠ ، ثم شغل درجة (البناء الأكبر) للمحفل الأكبر فى ماسا تشوستش من سنة ١٧٨٨ إلى ١٧٩٣ ، وقد بلغ من إيمان اليهود بالماسونية – فى ذلك الوقت – أنهم استخدموا شعائرها بوضع حجر الأساس للمعبد الذى أقاموه سنة ١٧٩٣ بمدينة تشالستون ، فى ولاية ساوث كارولينا .. بل إن طابع السرية والشعائر والملابس الخاصة الذى ميَّز محفل بناى بريث فى سنواته الأولى كان يعكس تأثير الممارسات الماسونية عند اليهود ، ورغبتهم فى تقديم بديل ماسونى داخل الجماعة اليهودية .

وتقول الدائرة : إن القدس تعد عند الماسونيين مسقط رأس الماسونية ، منذ إقامة معبد الملك سليمان ، لكن المحافل لم تعرف هناك إلا فى منتصف القرن الماضى ، فقد تأسست – خلال الحكم العثمانى – ستة محافل فى فلسطين ، كان أولها فى القدس ، فى مايو ١٨٧٣ ، على شريعة المحفل الأكبر فى كندا ، ثم ازداد عدد المحافل مع الزمن ، حتى تشكل المحفل الأكبر المتحد سنة ١٩٥٣ ، من جميع المحافل العاملة التى بلغ عددها ٦٤ محفلا سنة ١٩٧٠ ، وتضم هذه المحافل ٣٥٠٠ عضو عامل من اليهود والمسلمين والمسيحيين والدروز .

وتقول دائرة المعارف السوفييتية : إن المحافل الماسونية منعت فى روسيا كلها سنة ١٧٩٢ بعد قيام الثورة الفرنسية ، ثم عادت إلى الظهور فى عهد القيصر إسكندر الأول ، لكن

تحت رقابة الحكومة ، ومع ذلك لم تكف عن التآمر وتشجيع حركة الديسمبريين المعارضين للقيصر ، ثم انفصل عنها أصحاب هذه الحركة فى عشرينات القرن الماضى ، وتعرضت للمنع مرة أخرى سنة ١٨٢٢ ، ثم عادت ، ومنعت نهائياً بعد ثورة ١٩١٧ ، لكنها ظلت تعمل من خلال النشاط اليهودى داخل الحزب الشيوعى .

نشرت مجلة أفريكان هبرو فى ١٠ سبتمبر ١٩٢٠ وهى مجلة يهودية :

(إن الثورة الشيوعية فى روسيا كانت من تصميم اليهود ، وإنها قامت نتيجة تدبير اليهود الذين يهدفون إلى تكوين نظام جديد للعالم) .

وفى سبيل انتصار الثورة عقد (المحفل الماسونى الأمريكى - الذى يدير الماسونية الكونية مؤتمرا قرر فيه خمسة من أصحاب الملايين اليهود خراب روسيا القيصرية ، بإنفاق مليار دولار ، واشتراك مليون يهودى لمساندة الثورة الروسية ، وهؤلاء الخمسة هم : إسحق موتيمر ، وشيستر ، وليفى ، ورون ، وشيف ، وكان المال مرصودا للدعاية ، وإثارة الصحافة العالمية على القيصرية ، إثر المذابح التى حدثت فى نهاية القرن التاسع عشر ضد اليهود) .

وتسلّم مقاليد الأمور - بعد نجاح الثورة ٣٨٤ قومسييرا ، من بينهم أكثر من ثلاثمائة من اليهود ، من هؤلاء اليهود جاء من الولايات المتحدة الأمريكية ٢٨٤ .

وكان معظم أعضاء المجلس البلشفى الذى حكم روسيا عام ١٩١٧ ، وفيما بعد أيضا ، من اليهود ، أو من أمهات يهوديات ، أو أزواج يهوديات ، وكان أكثر من أربعة أخماس أعضاء المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفييتى - عند تأسيسه عام ١٩٢٤ - من اليهود ، وكذلك معظم قيادات الأحزاب الشيوعية التى حكمت أوربا الشرقية منذ الأربعينات .

ولابد أن يوضع فى الاعتبار ماذا فعل جوزيف ستالين ووزير داخليته (بريا) الرهيب بالشعب السوفييتى ، إبّان تطبيق الإصلاح الزراعى ، وإبّان الحرب العالمية الثانية ، إذ تمت التضحية بأكثر من أربعين مليونا .

ولا ريب فى أن هذا التاريخ الشنيع كان أهم أسباب انهيار الشيوعية التى كانت تسيطر على نصف العالم (المتقدم) تقريبا (بالأوهام) حتى سقطت (القوة العالمية الثانية) فى هوة الحاجة إلى (لقمة الخبز) ، وكان أن خضعت للوصاية الأمريكية ، وأسلمت أمرها للمحفل الماسونى الكونى !! .

الماسونية فى بروتوكلات حكماء صهيون

(إلى أن يأتى الوقت الذى نصل فيه إلى السلطة ، سنحاول أن ننشئ ونضاعف خلايا الماسونيين الأحرار ، فى جميع أنحاء العالم ، وسنجذب إليها كل من يصير أو من يكون معروفا بأنه ذو روح عامة Public Spirit ، وهذه الخلايا ستكون الأماكن الرئيسية التى سنحصل منها على ما نريد من أخبار ، كما أنها ستكون أفضل مراكز للدعاية ، وسوف نركز كل هذه الخلايا تحت قيادة واحدة معروفة لنا وحدنا ، وستتألف هذه القيادة من علمائنا ، وسيكون لهذه الخلايا أيضا ممثلوها الخصوصيون ، كى نحجب المكان الذى تقيم فيه قيادتنا حقيقة ، وسيكون لهذه القيادة وحدها الحق فى تعيين من يتكلم عنها ، وفى رسم نظام اليوم ، وستضع الحبائل والمصايد فى هذه الخلايا لكل الاشتراكيين وطبقات المجتمع الثورية ، وإن معظم الخطط السياسية السرية معروفة لنا ، وسنهديها إلى تنفيذها حالما تتشكل .

وكل الوكلاء Agents فى البوليس الدولى السرى تقريبا سيكونون أعضاء فى هذه الخلايا) . **البروتوكول الخامس عشر**

(وسنختار من بين العامة رؤساء إداريين ممن لهم ميول العبيد ، ولن يكونوا مدربين على فن الحكم ، ولذلك سيكون من اليسير أن يمسخوا قطع شطرنج ، ضمن لعبتنا ، فى أيدى مستشارينا العلماء الحكماء الذين دربوا خصيصا على حكم العالم منذ الطفولة الباكرة[1] .

البروتوكول الثانى

(فى كل أوربا ، وبمساعدة أوربا ، يجب أن ننشر فى سائر الأقطار الفتن والمنازعات والعداوات المتبادلة ، فإن فى هذا فوائد مزدوجة ، **أولا** : بهذه الوسائل سنتحكم فى أقدار كل الأقطار التى تعرف حق المعرفة أن لدينا القدرة على خلق الاضطرابات ، كما نريد ، مع قدراتنا على إعادة النظام ، وكل البلاد معتادة على أن تنظر إلينا مستغيثة عند إلحاح الضرورة ، **وثانيا** : بالمكائد والدسائس سوف نصطاد ، وبكل أحابيلنا التى نصبناها فى المناصب الرئيسية ، وبالاتفاقات الصناعية والخدمات المالية أيضا) . **البروتوكول السابع**

---

(١) ضع بين عينيك أنظمة الحكم فى البلاد التى تدور فى طاحونة الأحداث ، بنسبة ٥١ ٪ .

(إن المحفل الماسونى المنتشر فى كل أنحاء العالم ، ليَعمل فى غفلة كقناع لأغراضنا ، ولكن الفائدة التى نحن دائبون على تحقيقها من هذه القوة فى خطة عملنا ، وفى مركز قيادتنا ، ما تزال غير معروفة بالقدر المطلوب) . **البروتوكول الرابع**

(إننى أستطيع فى ثقة أن أصرح اليوم بأننا أصحاب التشريع ، وأننا المتسلطون فى الحكم ، والمقررون للعقوبات ، ونحن أولو الأمر فى كل الجيوش .. إن لنا طموحا لا يحدّ ، ونقمة لا ترحم ، إننا نسخّر فى خدمتنا أناسا من جميع المذاهب والأحزاب ، ملكيين ، واشتراكيين ، وشيوعيين ، وحالمين بكل أنواع الطوبيّات Utopias ، ولقد وضعناهم جميعا تحت السّرج ، وكل واحد – على طريقته الخاصة – ينسف ما بقى من السلطة ، ويحاول تحطيم كل القوانين ، فتصرخ الحكومات ، وتطلب السلام ، لكننا لن نمنحهم السلام حتى يعترفوا صراحة بحكومتنا الدولية العليا) . **البروتوكول التاسع**

(الكلمات التحررية فى شعارنا الماسونى هى « الحرية والمساواة والإخاء » ، ولن نبدل هذه الكلمات ، ولكنا سنبسّطها بقولنا : « حق الحرية ، وواجب المساواة ، وفكرة الإخاء » وبها « نمسك الثور من قرنيه » ، ونكون قد دمرنا – فى حقيقة الأمر – كل القوى الحاكمة إلا قوتنا ، وحين تقف حكومة موقف المعارضة لنا ، فى الوقت الحاضر ، فإنما ذلك أمر صورى ، متخذ « بكامل معرفتنا ورضانا » ، كما أننا محتاجون إلى انفجاراتهم المعادية للسامية ، كيما نتمكن من حفظ « إخوتنا الصغار » فى النظام) . **البروتوكول التاسع**

(ستكون لنا جرائد شتى ، تؤيد الطوائف المختلفة ، أرستوقراطية وجمهورية وثورية ، بل فوضوية أيضا ، وستكون هذه الجرائد مثل الإله الهندى فشنو Vishnu ، لها مئات الأيدى ، وكل يد تَجسّ نبض الرأى العام المتقلب) . **البروتوكول الثانى عشر**

(كل أعضاء الصحافة مرتبطون بأسوار مهنية متبادلة ، على أسلوب النبوءات القديم ، ولا أحد يفشى سرا غير مأمون بتعميسه ، ولن يكون قادرا على إفشاء سر ، لأنه لا أحد منهم يدخل عالم الصحافة إلا إذا تورط فى أعمال مخزية ، حتى يكشف عنها حين يبدى لونا من التمرد ، أو من الاستقلال » . **البروتوكول الثانى عشر**

(لا تتصوروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء ، إن نجاح دارون وماركس ونيتشه رتبناه من قبل ، ولكى نتجنب ارتكاب الأخطاء فى سياستنا وعملنا الإدارى ، يجب أن ندرس ونعى أخلاق الآخرين وميولهم) . **البروتوكول الثانى**

(نشرنا فى كل الدول الكبرى « أدبا » مريضا قذرا يُغثى النفوس ، وسنستمر فى تشجيع سيطرة هذا الأدب ، كى يشير بوضوح إلى اختلافه عن التعاليم التى سنصدرها ، وسيقوم

علماؤنا الذين ربّوا لقيادة الأمميين ، بإلقاء خطب ، ورسم خطط ، وتسويد مذكرات ، للتأثير على العقول ، وجذبها نحو الأفكار التى تلائمنا) .

البروتوكول الرابع عشر

(اليوم تسود حرية العقيدة ، ولن يمضى وقت طويل حتى تنهار المسيحية ، ويبقى ما هو أيسر علينا من الديانات الأخرى) .

البروتوكول السابع عشر

(لقد خدعْنا الجيلَ الناشئ من الأمميين ، وجعلناه فاسدا متعفنا ، بما علمناه من مبادئ ونظريات ، معروف لَدينا زيفها التام .. لقد حصلنا على نتائج خارقة - من غير تعديل للقوانين السارية - بتحريفها فى بساطة ، وبوضع تفسيرات لها لم يقصد إليها مشترعوها) .

البروتوكول التاسع

(سنحاول أن نوجه العقل العام إلى كل نوع من أنواع النظريات المبهرجة Fantastic التى يمكن أن تبدو تقدمية أو تحررية ، لقد نجحنا نجاحا كاملا بنظرياتنا عن التقدم فى تحويل رءوس الأمميين الفارغة نحو الاشتراكية ، ولا يوجد عقل أممى واحد يستطيع ملاحظة أن وراء كلمة « التقدم » يختفى ضلال وزيغ عن الحق ، ما عدا حالات الكشوف المادية والعلمية) .

البروتوكول الثالث عشر

(يجب الحصول على احتكار مطلق للصناعة والتجارة ليكون رأس المال ذا قوة سياسية قادرة على انتهاز الفرص) .

البروتوكول الخامس

(يجب أن نسيطر على المضاربة ، بخاصة ، لأن لها الدور الرئيسى أن تعمل كمعادل للصناعة) .

البروتوكول السادس

(إن القروض الخارجية مثل العلَق الذى لا يمكن فصله من جسم الحكومة ، حتى يقع من تلقاء نفسه ، أو حتى تتنبه الحكومة إلى التخلص منه ، لكن حكومات الأمميين لا ترغب فى أن تطرح عنها هذا العلق ، بل هى تستزيد منه ، لهذا كتب على دولهم أن تموت بفقر الدم .

الحكام الأمميون - من جراء إهمالهم ، أو بسبب فساد وزرائهم ، أو جهلهم - قد جرّوا بلادهم إلى الاستدانة من بنوكنا ، وخابوا فى إدراك أن كل مبلغ مقترض ، لا يلبث أن يتضاعف بفضل الفائدة ، وما تسدده هذه الدول من أقساط لا يكاد يتجاوز جزءا من الفائدة ، ويبقى الدين كما هو) .

البروتوكول العشرون

(سنحيط حكومتنا بجيش كامل من الاقتصاديين ، وسنكون محاطين بألوف من رجال البنوك ، وأصحاب الصناعات ، وأصحاب الملايين .. إن كل شئ سوف يقرره المال ، وما دام ملءالمناصب الحكومية بإخواننا اليهود غير مأمون بعد ، فسوف نعهد بهذه المناصب الخطيرة إلى القوم الذين ساءت صحائفهم وأخلاقهم ، كى تقف مخازيهم فاصلا بين الأمة وبينهم) .

البروتوكول الثامن

(إن خيرات الأرض المستخلصة بالاستثمار لن تستقر فى أيدى الأمميين ، بل ستعبر خلال المضاربات إلى خزائننا .. إن الصراع من أجل التفوق ، والمضاربة فى الأعمال ، ستخلقان مجتمعا أنانيا غليظ القلب ، منحل الأخلاق .. وسيكافح هذا المجتمع من أجل الذهب ، متخذا اللذات المادية التى يستطيع أن يمده بها الذهب مذهبا أصيلا ، وحينئذ ستنضم إلينا الطبقات الوضيعة ضد منافسينا الذين هم الممتازون من الأمميين ، دون احتجاج بدافع نبيل ، بل تنفيسا عن كراهيتهم المحضة للطبقات العليا) .

البروتوكول الرابع

(نحن على الدوام نتبنى الشيوعية ، ونحتضنها ، متظاهرين بأننا نساعد العمال طوعا لمبدأ الأخوة والمصلحة العامة للإنسانية ، وهذا ما تبشر به الماسونية الاجتماعية) .

البروتوكول الثالث

(إن ملوك الأمميين الذين ساعدناهم ، وأغريناهم بالتخلى عن واجباتهم بوسائل الوكالات والولائم والأبهة والملاهى الأخرى – لم يكونوا إلا حجبا لإخفاء مكايدنا ودسائسنا) .

البروتوكول العشرون

(الشر هو الوسيلة الوحيدة للوصول إلى هدف الخير ، ولذلك يجب ألا نتردد لحظة واحدة فى أعمال الرشوة والخديعة والخيانة ، إذا كانت تخدمنا فى تحقيق غايتنا) .

البروتوكول الأول

(يجب أن نكون مستعدين لمقابلة كل معارضة بإعلان الحرب على تلك الدول التى تجرؤ على الوقوف فى طريقنا) .

البروتوكول السابع

(يجب أن نكنس كل الأفكار التى دمرت كل النظم الاجتماعية ، مؤدية إلى حكم ملك إسرائيل ، حتى لا يبقى أى قذر فى طريق ملكنا ، وحينئذ سنكون قادرين على أن نصرخ فى الأمم : « صلوا لله » ، واركعوا أمام ذلك الملك الذى يحمل آية التقدير الأزلى للعالم ،

والذى يقود الله ذاتَه بجَمَه ، فلن يكون أحد آخر إلا هو نفسه قادرا على أن يجعل الإنسانية حرة من كل خطيئة) . البروتوكول الثالث والعشرون

(يوم تقوم مملكة داود سنحل كل الجماعات السرية ، فلم يعد لها دور ، بعد أن خدمت أغراضنا ، وسننفى أعضاءها إلى جهات نائية من العالم ، وبهذا الأسلوب سنتصرف مع كل واحد من الماسونيين الأميين ، الذين يعرفون أكثر من الحد المناسب لسلامتنا ، والذين – ربما نعفو عنهم لسبب أو لغيره – سنبقيهم فى خوف دائم من النفى ، وسنصدر قانونا يقضى بالنفى من أوربا على كل الأعضاء السابقين فى الجمعيات السرية ، لأن مركز حكومتنا سيكون فى أوربا) . البروتوكول الخامس عشر

تذييل :

الدكتور عبد الوهـاب المسيرى أستاذ للأدب الإنجليزى ، لكنه عرف بدراساته الجادة عن النشـاط الصهيونى ، من جوانبه المختلفة ، وفى كتابه (الجمعيات السرية فى العالم – كتاب الهلال – نوفمبر ١٩٩٣) يبدو كأنه وقع فى إسـار الدفـاع عن الصهيونية ، فى مجـال الرد على كتاب (الصهيونية غير اليهودية – للدكتورة ريجينا الشريف – عالم المعرفة – ديسمبر ١٩٨٥) ، أو أنه استعان بمصادر الدكتورة ، واستلهمها ما لم يقع فى حساب الدكتور ، ليؤكد أن اليهود لا حول لهم ، وأن المقادير تجرى فى أعنتها بيد المستعمرين غير اليهود ، ويمكن القول : إن الدكتور أراد أن يزيد درجة على الدكتورة ، فوقع فى الجانب الآخر من الطريق .

يقول فى الفصل الأول ص ٥٦/ ٥٧ : تقع البروتوكلات البالغ عددها أربعة وعشرين فى نحو مائة وعشر صفحات ، ونشرت أول ما نشرت عام ١٩٠٥ ، ملحقا لكتاب من تأليف سيرجى نيلوس ، وهو مواطن روسى ، ادعى أنه تسلّم المخطوطة سنة ١٩٠١ من صديق له حصل عليها من (مدام ك) التى ادعت أنها سرقتها من أحـد أقطاب الماسونية فى فرنسا « لكن نيلوس نفسه أخبر أحـد النبلاء الروس بأن هذه المرأة أخذتها من رئيس البوليس السرى الروسى فى فرنسا ، وأن الأخير هو الذى سرقها من أرشيف المحفل الماسونى ، وقد كان لنيلوس اهتمامات صوفية حلولية متطرفة ، كما أنه كان غارقا فى الدراسات الخاصة بالدلالات الصوفية للأشكال الهندسية » .

وقد لاقت البروتوكلات رواجا كبيرا بعد نشوب الثورة البلشـفية التى أسماها البعض آنذاك (الثورة اليهودية) ، إذ عزا الكثيرون الانتفاضات الاجتماعية التى اجتاحت كثيرا من البلدان الأوربية إلى اليهود .

وبلغت البروتوكلات قمة رواجها فى الفترة الواقعة بين الحربين ، حينما حاول كثير من الألمان تبرير هزيمتهم بأنها طعنة من الخلف قام بها اليهود والمشتركون فى المؤامرة اليهودية الكبرى ، أو العالمية .

وقد أصبحت البروتوكلات من أكثر الكتب رواجا فى العالم الغربى بعد الإنجيل ، وترجمت إلى معظم لغات العالم الشائعة ، بما فى ذلك العربية ، حيث ظهرت عدة طبعات منها .. ولحسن الحظ لا يوجد مركز دراسات عربى واحد أعارها أى اهتمام ، ولا يتم نشرها إلا من خلال دور نشر تجارية لا تتمتع بكثير من الاحترام .

إن البروتوكلات وثيقة مزورة استفاد كاتبها من كتيب فرنسى كتبه صحفى يدعى موريس جولى ، يسخر فيه من نابليون الثالث ، بعنوان : (حوار بين ماكيافيللى ومونتسكيو) ، أو السياسة فى القرن التاسع عشر ، ونشر فى بروكسل سنة ١٨٦٤ .

والرأى السائد الآن أن نشر البروتوكلات وإشاعتها إنما كان يتم بإيعاز من الشرطة الروسية للنيل من الحركات الثورية والليبرالية .

ويقول الدكتور فى أدلة تزويرها :

١ - (إذا كانت البروتوكلات وثيقة سرية ، فلماذا لم يكتبها حاخامات اليهود بالعبرية أو الآرامية ليضمنوا عدم تسربها ؟) ص ٥٨ .

ونسى الدكتور أن من المثقفين الكاثوليك والبروتستانت من تعلم العبرية والآرامية من أجل نقل نص الكتاب المقدس إلى اللغات القومية .

٢ - (هناك هجوم على الكنيسة الكاثوليكية واليسوعية مما يدل على التربة المسيحية الأرثوذكسية السلافية التى كانت تناصب الكاثوليكية العداء) ص ٥٩ .

كأنّ القيصرية الأرثوذكسية لم تستعن بالخبرة الفرنسية (الكاثوليكية اليسوعية) فى كثير من المجالات ، وكأن اللغة الفرنسية لم تكن لغة البلاط القيصرى ولغة الطبقة الأرستقراطية والمتوسطة كذلك ، ولغة الثقافة بوجه عام .

٣ - (لماذا يصر واضع البروتوكلات على أن يخبرهم - اليهود - فى البروتوكول الثالث أن « أسرار تنظيم الثورة الفرنسية معروفة لنا جيدا ، لأنها من صنع أيدينا ، ونحن من ذلك الحين نقود الأمم من فشل إلى فشل ، حتى إنهم سوف يتبرءون منا » ، من يمكن أن يصف حركته بأنها حركة لقيادة الأمم من « فشل إلى فشل » ، ويصر على أن هذه الحركة ستودى بالبشر أجمعين ؟) - ص ٦٠ / ٦١ .

الجواب ما جاء فى البروتوكول التاسع (إن لنا طموحا لا يحدّ ، وشرها لا يشبع ، ونقمة لا ترحم ، وبغضاء لا تحس) ، (لقد خدعنا الجيل الناشىء من الأمميين ، وجعلناه فاسدا متعفنا بما علّمناه من مبادئ) ، فالفشل هدف من أجل حدوث الانهيار العالمى ، ليكون لهم التسلط العالمى ، على طريقة ما كان يحدث فى بورصة القطن والأوراق المالية فى مصر ، إذ كان التسلط اليهودى سببا فى خراب كثير من البيوت الكبيرة ، وقد حدث هذا من قبل فى كل من فرنسا وانجلترا ، فيما يسمى بمشروع « لو » وحوض المسيسبى .

ولعلنا نضع فى الاعتبار قول بيتر ناثان (.. فإذا كنت معاديا للرأسمالية فإنها من اختراع اليهود ، وها هو جميع رأسمال العالم بيد اليهود ، أما إذا كنت معاديا للشيوعية فستجد أن جميع الاشتراكيين والشيوعيين من اليهود ، كما هو الحال فى ماركس وتروتسكى وهانيه وتولز ، وإذا فقدت ابنك فى الحرب ، فاليهود هم الذين سببوها ، وإذا اعتبرت الصلح مخلاً بشرف الأمة ومصالحها فاليهود هم الذين رتّبوا الصلح) .

قد يكون فى قول ناثان قدر من المبالغة ، لكن ما صنعه لورد أوين الوسيط الدولى اليهودى فى حرب البوسنة والهرسك ، والحكمة فى اختيار هذا الرجل دون سواه لهذه المهمة ، والحكمة فى اختيار صموئيل ممثل الانتداب البريطانى فى فلسطين ليتولى تنفيذ (وعد بلفور) ، وكون صانعى القرار الأمريكى من الماسون – كل هذا يشجع على قبول قول ناثان جملة وتفصيلا ، ولعل الرجوع إلى كتاب (الستار الحديدى الذى يحيط بأمريكا) لجون بيتى يعين على تأييد ما قال ناثان .

ولنضع هذا الخبر فى الاعتبار : (استطاعت الموساد – خلال عقود من العمل فى أوربا الغربية بشكل خاص – تجنيد مئات الأشخاص العرب للعمل لحسابها ، وقد أعطيت التعليمات للعديد من هؤلاء لإطلاق لحاهم ، ولمتابعة دورات فى التثقيف الدينى ليكونوا بمثابة القنابل البشرية التى يمكن أن تستخدم فى الوقت المناسب) .

وها هى القنابل تنفجر فى مصر والجزائر ، ومن قبل لعبت سفيرة أمريكا فى العراق دورا أهلك الحرث والنسل وأشعل البترول فى سماء الخليج ، وأضرم الثارات بين زعماء العرب ، ولا تزال النفوس العربية تحتقن بآثار لعبة السفيرة (عزيزة) .

وهل غاب عنا أن روبرت ماكسويل اليهودى التشيكى انتقل إلى بريطانيا سنة ١٩٦٤ واعتنق النصرانية ، وصار عضوا فى البرلمان البريطانى ، وعند وفاته كان يرأس ٧١ شركة

عالمية ، وأكبر امبراطورية صحفية ، وكان بصدد شراء (البرافدا) الروسية ، وبلغ عدد موظفيه أكثر من عشرين ألفا ؟! .

هل غاب عنا أن قضية ووترجيت أسقطت رئيس جمهورية الولايات المتحدة ، وأن صانعي هذه القضية هم قاتلوا كندى ومانعو إينمان من أن يكون وزيرا للدفاع ؛ لأنه حال دون وصول صور الأقمار الصناعية (العسكرية) إلى أيدى إسرائيل ؟! .

هل غاب ما تقوم به الامبراطورية الصحفية اليهودية فى كل من أمريكا وانجلترا وإيطاليا من نشر فضائح رجال الحكم الخاصة جدا من أجل التأثير والتوجيه ؟! .

٤ - (لم يكن هناك سلطة مركزية تجمع كافة يهود العالم بعد تحطيم الهيكل على يد بختنصر عام ٥٨٦ ق.م وذلك بسبب طبيعة الوجود اليهودى فى العالم ، حيث انتشر اليهود على هيئة أقليات دينية لا يربطها رباط قومى) - ص ٦٥ .

إن الارتباط القومى لا يشترط قيام حكومة مركزية ، بل الرغبة فى قيام هذه الحكومة ، والسعى من أجل قيامها ، ولقد كانت هناك محاولات لإقامة حكومة بعد العودة من بابل ، إبان حكم قورش ، وبعد الثورة على الحكم الرومانى ، ولما لم يتحقق استمرار هذا (الحكم) وتوسيعه كانت هناك تجمعات أشبه بخلايا النحل ، فيما (يسمى بحزب البوند اليهودى أكبر حزب اشتراكى فى أوربا) ، (وحين قامت الجمهورية البلشفية فى المجر سنة ١٩١٩ كان رئيس الدولة يهوديا ، وكان عدد اليهود من الوزراء كبيرا لدرجة مدهشة) ، كما كان هناك تجمع يهودى فى الحزب الشيوعى الروسى يصل إلى ٣٠٪ ، وفى صناعة التعدين فى جنوب أفريقيا ، وفى شركة الهند الشرقية (الهولندية) ، وفى شركة قناة بنما .. وإذا كان (ماركس رمزا للارتباط العضوى بين اليهود والاشتراكية فقد كان روتشيلد رمزا للارتباط العضوى بين اليهود والرأسمالية) ص٦٤/٦٥ .

إن انتشار هذه البثور فى الجسم العالمى لا يمكن رده (طبيا) إلى حالة خاصة بكل (بثرة) ، إنما هناك تفاعل (منظم) داخل الجسم الإنسانى يعمل على ظهور هذه البثور التى ما تفتأ تخضع الجسم لتفاعلاتها ، أو تقضى عليه .

ومن غريب أمر الدكتور أنه بعد أن ذكر أن البروتوكلات ترجمت إلى جميع لغات العالم حتى العربيـة التى طبعت فيها عدة طبعات بواسطة (دور نشر تجارية لا تتمتع بكثير من الاحترام) ، لكنها بحسها التجارى وجدت رواجا بين الجماهير التى (لا تتمتع بكثير

من الاحترام) أيضا ، فكيف تحقق هذا الانتشار و (الرأى العام العربى لا يؤمن بصحتها) – ص ٦٦ ؟ . من ذا الذى يملك هذا الحكم ؟ أحدث (استفتاء) ؟ .

نشرت جريدة البرافدا فى يناير ١٩٨٤ أن هذه البروتوكلات قرئت بواسطة قادة عرب كثيرين ، مثل الملك فيصل ملك السعودية ، والرئيس عبد الناصر رئيس مصر ، ولقد قال عبد الناصر لصحفى هندى سنة ١٩٥٧ : إن من الضرورى جدا أن تقرأه ، وسوف أعطيك منه نسخة ، فهو يؤكد – بدون شك – أنه يوجد ٣٠٠ صهيونى ، كل واحد منهم يعرف الآخر يحكمون أوربا ، ويختارون خلفاءهم – عن (الاختراق الصهيونى للمسيحية) ص١٢٣ .

وإذا كان (لا يمكن إثبات أن هذه الوثيقة تعبر تعبيرا حقيقيا عن دوافع أغلبية أعضاء الجماعات اليهودية فى العالم ، أو أنهم يأخذون بها كوثيقة ملزمة تحدد سلوكهم وأهواءهم) – ص ٦٦ – فإنه لا يمكن إثبات العكس ، ثم متى كانت الأغلبية – حتى فى الدول الأكثر ارتباطا بالديمقراطية – تقرر المصائر أو تصدر القرارات ، إن الأقلية التى يُزعم أنها تمثل الأغلبية هى التى تملك تقرير المصير ، وهى التى تحظى بحلب الأبقار ، وجنى الثمار .

وإذا أيقن الدكتور (أن هناك وثائق يتداولها بعض أعضاء الجماعات اليهودية تحتوى على آراء أكثر تآمرية من البروتوكلات ، مثل ما يسمى كتاب التربية الذى يوزع فى إسرائيل فى الوقت الحالى ، كما يحوى التلمود وتراث القبالاه ، وهى كتابات يهودية لاشك فى يهوديتها) – ص ٦٦/٦٧ – فما علة الطعن فى صحة البروتوكلات ؟ . أهو التوثيق العلمى ؟ وهل ما قدمه من (دلالات) يدخل فى باب التوثيق أو التشكيك ؟ ثم إذا كان (كتاب التربية الأكثر تآمرية يوزع فى إسرائيل) ، فما سر قوله : (يبدو أن المروجين للبروتوكلات لا يعرفون عنها شيئا ، وعلى كل فهى كتابات لا يعرف عنها معظم أعضاء الجماعات اليهودية شيئا ، وإنما لا يتداولها فى الغالب إلا بعض العنصريين الموجودين فى كل المجتمعات وبين أتباع كل العقائد) – ص ٦٧ – أوّلا من أين جاءه (أن المروجين للبروتوكلات لا يعرفون عنها شيئا) ؟ كيف (يروج) المرء لما لا يعرف إلا إذا كان خاضعا خضوعا أعمى لمن يهمه الترويج ؟ وإذا كان من يهمه الترويج (بعض العنصريين الموجودين فى جميع المجتمعات) ، فهل تكون القيادات إلا من (بعض العنصريين الموجودين فى كل المجتمعات) ؟ .

ثم يعترض الدكتور على (ترويج البروتوكلات) في البلاد العربية ، لأنه (يخدم المصالح الصهيونية من الناحية العملية) – ص ٦٧ – لكنه في الوقت نفسه يبصّر العرب بما يدبّر لهم بليل ، أو على الأقل يعرفهم ما تحمل هذه البروتوكلات من (تآمر عالمي) ، ومن الواجب الإسلامي (معرفة الشر حتى نتقيه) ، لا أن يكون (المسلم كيس قطن) ، وليس (كيّساً فَطِنا) ، حتى يقال له : (إن استخدام البروتوكلات لاتهام اليهود فيه سقوط في العنصرية والعرقية التي تصف الناس لا على أساس أفعالهم ، وإنما على أساس مادى لا ديني مسبق وحتمي ، ولذا فهي لا تميز بين ما هو خير وما هو شر) – ص ٦٨ .

لا شك في أن كاتب هذا (الاتهام) غير من قال : (إن هناك وثائق يتداولها بعض أعضاد الجماعات اليهودية تحتوى على آراء أكثر تآمرية من البروتوكلات) .

وقد يكون هذا (الاتهام) صناعة صهيونية جرت (عفوا) على سنان قلم الدكتور بحكم تعايشه الطويل للفكر الصهيوني ، كما جرى (عفوا) قوله : (لا يمكن للمسلم الملتزم بتعاليم دينه أن يوجه الاتهام إلى أى إنسان جزافا ودون قرائن) ، حتى ولو شهد شاهد من التوراة والتلمود وكتاب التربية وتراث القبالاه !! .

رفقا بنفسك وبقومك – أيها التنويرى الكبير – فقد ضاع منا الكثير !! .



الماسونية والخلافة العثمانية

(الدونمة)

كلمة تركية تعنى المرتدين Apostates ، أى الذين غيروا دينهم من اليهودية إلى الإسلام ، وكانت مهمة هذه الطائفة زرع الفيروسات الخبيثة ، وتنشيطها ونشرها فى جميع أطراف الدولة وتنظيماتها السياسية ، والعسكرية ، والثقافية ، وقد أدخلوا فى الجيش كثيراً من عناصرهم ، وأغووا عددا من الضالين والحاقدين والأغرار .. وظلت هذه الطائفة محتفظة بتراثها الإسرائيلى وتقاليدها اليهودية وإن بقى ذلك فى زمانه يأخذ طابع التنظيم السرى .

وقد كشف سيسل روث فى (الموسوعة اليهودية المثالية) هذا السر بقوله : الدّونمة طائفة إسلامية يهودية – منهم جافيد بك – ١٨٧٥ / ١٩٢٦ – الذى تقرر تعيينه وزيرا للمالية – قد قاموا بدور رئيسى قيادى فى ثورة الشبان الأتراك ١٩٠٩ ، تلك الثورة التى نظمها وأوحى بها ووجهها الماسون) .

كانت أسماؤهم فى الأوكار عزرا وحاييم وهرون ودبورا وأستير وساراى ، أما فى السوق والوظيفة فمحمود ومحمد وحسين ومصطفى وعائشة وخديجة وزينب ، يقرءون التلمود والعهد القديم ويرتلون بالعبرية ويأكلون الفطير ويعيّدون أعياد الفصح والهلال والفوريم وغيرها وحين دخلت جيوش الحلفاء تركيا تقدموا فى سنة ١٩١٨ إلى قادة الحلفاء ، معلنين أنهم ليسوا أتراكا ولا مسلمين .

والدور الذى لعبه الصحفى النمساوى تيودور هرتزل – رئيس المنظمة الصهيونية العالمية وكبير الماسون – يؤكد حرص اليهود على تمزيق الدولة الإسلامية وتغيير المسار الإسلامى فى هذه المنطقة الحساسة التى تمثل أهم مرتكز إسلامى .

ركب هذا الماسونى الخطير قطار الشرق السريع من فيينا إلى استانبول (إسلام بول) ثلاث مرات ، فى يونيو ١٩٠١ ، وفى فبراير ١٩٠٢ ، وفى يوليو ١٩٠٣ ، وفى المرات الثلاث كان يعرض على السلطان عبد الحميد ، كخطوة أولى :

١ – أن يسدد ديون تركيا الكثيرة .

٢ – أن يطور تركيا صناعيا وتجاريا وماليا من خلال بنوك أوربا التى يملكها اليهود .

٣ – أن ينشئ للدولة العثمانية السكك الحديدية والسفن التى تعبر القارات .

٤ – أن يقود حملة صحفية عالمية تدافع عن السلطان وسياسته ، فى مواجهة الدول الأوربية .

٥ – أن ينشىء أحدث جامعة عصرية تعلم الشباب التركى العلوم الحديثة ، وتحميه من الأفكار المسمومة التى تبثها أوربا .

٦ – أن يقف إلى جانب الأتراك في المسألة الأرمينية ، ويأخذ حلف المسلمين ضد المسيحيين .

٧ – أن يهب السلطان هدية مالية قدرها مائة مليون جنيه ذهبا .

وذلك في مقابل إنشاء شركة يهودية تشترى الأرض غير المزروعة فى فلسطين ، وتتولى هذه الشركة زراعة الأرض المشتراة ، وتوطين اليهود بها .

لكن هذا السلطان الذى شوّه (الماسون) تاريخه ، وجرى مجراهم العلمانيون والتقدميون فى البلاد العربية ــ عبّر عن وعيه بحقيقة المطالب اليهودية بالرفض التام ، وقال :

(لا يريد الصهيونيون الاشتغال بالزراعة فقط فى فلسطين ، بل إنهم يريدون إنشاء حكومة لهم ، وانتخاب ممثلين سياسيين ، وإنى أفهم جيدا معنى تصوراتهم الطامعة هذه ، إنهم لسذج إذا تصوروا أنى سأقبل محاولاتهم هذه ، إن هرتزل يريد أرضا لإخوانه فى الدين ، لكن الذكاء ليس كافيا لحل كل شىء) .

ويلاحظ أنه لم يكن فى العهد الحميدى إلا محفل ماسونى واحد للأجانب – كما يقول الجنرال جواد رفعت فى (أسرار الماسونية) – أما فى (عهد الحرية) فقد اقتبس الدكتور اليهودى چاك سهامى مبادئ (المشرق الأعظم) الفرنسى ، ومبادئ (المحفل الأكبر) الإنجليزى ، وكتب أسس الماسونية بالتركية ، وأعقبها بكتابات كثيرة عن الماسونية ، سعيا إلى نشرها على نطاق أوسع .

وكان أن نشطت الصهيونية من خلال (الدونمة) وجيوب الماسونية المتكاثرة ، لإحياء (الطورانية) ، على أساس :

١ – جعل الروح القومية التركية مستقلة عن الإسلام .

٢ – جعل التركى العثمانى تركيًا أولا ومسلما ثانيا .

٣ – تحرير اللغة التركية من الألفاظ العربية والفارسية .

وبهذا يقطعون تركيا عن الدولة الإسلامية الكبرى ، أو عن أعماقها الاستراتيجية ، ومن ثم يمكن تشكيل تركيا ، وتشكيل أجزاء الدولة الأخرى ، كما يشتهون .

وتزعّم حركةَ (التخريب) جماعةُ (الاتحاد والترقى) ، أمثال أنور وجمال و نيازى الألباني وطلعت ، وجافيد وقره صو اليهوديان ، وناظم السلانيكى وأحمد رضا (من الدونمة) والدكتور إسحق شكوتى ، والجاسوس الإنجليزى ليون فهمى ، والدكتور بهاء الدين شاكر ، والدكتور إبراهيم نيمو ، والدكتور عبد الله جودت (من مجهولى النسب المنتسبين إلى المحافل الماسونية) .

يقول برنارد لويس الكاتب اليهودى الشهير فى كتابه (مولد تركيا الحديثة) :

(لقد كانت المحافل الماسونية أكثر من كونها مجرد غطاء ثانوى أو عرضى لاجتماعات الضباط الشبان ، ذلك أنه فى نوفمبر ١٩١١ حدث أن « جافيد » الذى عبر – فى مناسبات عديدة – عن اهتماماته وعلاقته بالصهيونية ، قد ربط للمرة الأولى المحافل الماسونية بالأهداف اليهودية) .

ويقول چورج حداد فى كتابه (الثورات والحكم العسكرى فى الشرق الأوسط) :

(إن الثورة التى تحركت ضد الدولة العثمانية ، بواسطة المتآمرين اليهود ، كانت معضدة – فى نشاط مكثف – من الماسون .. لقد تسلل اليهود داخل الجيش التركى ، وأغووا وأضلوا العناصر النافعة من معسكرات مقدونيا ، وهنا أصبح من السهل عليهم أن يتآمروا مع العناصر الناقمة التى أغووها من داخل الجيش التركى) .

وكانت اللجنة التى أبلغت خليفة المسلمين قرار عزله مشكّلة من :

١ ـ إيمانويل قره صو ، يهودى أسبانى الأصل ، وأحد قادة الاتحاد والترقى ، اقتنى أموالا كثيرة من وظيفته مفتش إعاشة الجيش أثناء الحرب ، وكان رئيس محفل ريزوليتا المقدونى الماسونى ، ولما انفضحت خيانته أثناء الحرب هرب إلى إيطاليا ، ومات بها سنة ١٩٣٤ ، بعد أن لعب دورا خطيرا فى احتلال ليبيا .

٢ – آرام ، أرمنى ، عضو الاتحاد والترقى ، نائب فى مجلس المبعوثان .

٣ – أسعد طوبطانى ، ألبانى ، عضو الاتحاد والترقى ، نائب فى مجلس المبعوثان .

٤ – عارف حكمت ، كرجى العرق ، عضو الاتحاد والترقى ، ضابط بحرى ، كان من مرافقى السلطان عبد الحميد ، ونال كثيرا من أفضاله .

ومما يؤسف له أنهم أرسلوا السلطان عبد الحميد بعد عزله منفيا إلى سالونيك ذات الطابع اليهودى ، وأسكنوه قصرا يمتلكه يهودى يدعى ألاتينى !! .

وبعدها سعى اليهودى الماسونى (متر سالم) يعاونه (قره صو) فى بيع ليبيا ، فذهب متر سالم إلى إيطاليا ، وقابل رئيس بلدية روما اليهودى ، ورسما الخطط اللازمة ، ودفعت الخزينة الإيطالية الملايين من الليرات الذهبية مقابل إقناع الحكومة العثمانية الجديدة بضرورة سحب الأسلحة والعتاد من طرابلس الغرب إلى استانبول ، بحجة التغيير والإصلاح ، وسيقت قطعان الجيش إلى اليمن ، وبهذا تسلّم الطليان ليبيا لقمة سائغة .

❏ يقول آورام غالانتى اليهودى فى كتابه (الأتراك واليهود) :

(إن الجماعات اليهودية أيدت جمعية الاتحاد والترقى أثناء ما كانت الجمعية تعد العدة لعزل عبد الحميد) .

و (إن أحمد رضا رئيس الجناح المدنى فى الاتحاد والترقى ، ورئيس شعبة الجمعية فى باريس – اتصل أثناء وجوده فى مصر عام ١٩٠٧ بالجمعية الإسرائيلية فى مصر ، ونتيجة هذا الاتصال صوتت الجمعية إلى جانب أحمد رضا ، أثناء انعقاد مؤتمر الاتحاد والترقى فى باريس ، وأدى هذا التصويت إلى فوز أحمد رضا برئاسة جمعية الاتحاد والترقى فى ديسمبر ١٩٠٧) .

ويقول لورد كِنروز Kenros فى كتابه (أتاتورك .. بعث أمة) :

(إن جمعية الاتحاد والترقى قد استفادت من أساليب وفنون الماسون) .

وعن طريق (الماسون) أخذت خطوات مصطفى كمال طريقها إلى السلطة ، إذ (باح له واحد منهم أخيرا – كما يقول أرمسترونغ فى كتابه « الذئب الأغبر » – بأن منظمة ثورية كبيرة ألفت فى سالونيك ، وأطلق عليها اسم « الاتحاد والترقى » ، وبأن اجتماعاتها تعقد فى بيوت بعض اليهود المنتمين للجنسية الإيطالية ، والجمعيات الماسونية ، إذ إن جنسيتهم هذه تحميهم – بحكم المعاهدات والامتيازات الأجنبية – من الخضوع لأوامر القبض التى يصدرها السلطان ، ومن تفتيش البوليس لمنازلهم ، أو محاكمتهم أمام المحاكم التركية ، لأن لهم محاكمهم القنصلية الخاصة) .

وعلقت حركة (الماسونية) على (الذئب الأغبر) آمالا ، ومن ثم جرى تعيين مصطفى كمال مفتشا عاما للجيش التاسع فى نهاية أبريل ١٩١٩ ، فى ذات الوقت الذى

قبض فيه الإنجليز على كبار قادة الجيش ورجال منظمات المقاومة المسلحة فى العاصمة ، وزجّوا بهم فى سجن بكير أغا ، واعتقلوا عددا آخر ، ونقلوهم إلى مالطة .

ورتب مصطفى كمـال مع (الداماد فريد) رئيس الوزراء الجديد أمْر ذهابه إلى الأناضول ، بصفته مفتشا عاما للجيش التاسع .

وكان رئيس الوزراء هذا عضوا فى جمعية (محبى الإنجليز) التى كان يرأسها الراهب الإنجليزى (فرو) ، وقد أفهم (فريد) الإنجليز أن السبب فى الاضطرابات داخل البلاد ترجع إلى تصرفات جمعيات الاتحاد والترقى « الملعونة » ، ولئن كان مصطفى كمال عضوا فيها إلا أنه فى الواقع من ألدّ خصومها ، ومن ثم فهو خير من يضطلع بالمهمة الكبيرة ، وكان أن أصبح مصطفى كمال مفتشا عامًا للمنطقة الشمالية ، وحاكما للولايات الشرقية ..

وقد ارتاب السلطان فى أمر تعيين (الذئب الأغبر) لهذه المهمة ، وأصدر أمرا بإيقاف سفره ، لكن الإنجليز عملوا على تمكين مصطفى كمال من الوصول إلى غايته .

وتقدم إلى ثوار الأناضول باعتباره مبعوث السلطان ، فاختاروه زعيما وقائدا .

وجاءت الأوامر إلى كاظم قره بكير – من حكومة الآستانة المركزية – بإلقاء القبض على (الذئب الأغبر) ، لكن (الزعيم القائد) أوهم (كاظم بكير) أن الأوامر الصادرة من العاصمة إنما هى من الإنجليز ، وتحرك الإنجليز لتدعيم بطلهم وتلميع دوره .

وبالرغم من معاهدة سيفر ١٠ أغسطس ١٩٢٠ التى قيل : إنها معاهدة صلح ، طالت الحرب التركية اليونانية ، بتدبير إنجليزى ، ليبدو (الزعيم) وصديقه (عصمت) بطلين قوميين ، فتم انتصار الأتراك ، فى ٣١ مارس ١٩٢٢ ، بعد اتفاقية سرية مع فرنسا ، تمكّن بموجبها ثمانون ألف رجل بمعداتهم الحربية من مغادرة الجبهة السورية والوقوف فى وجه اليونان ، وتعاونت روسيا وأمريكا وإيطاليا بتزويده بالسلاح .

وروّجت الماسونية العالمية لمعركة (إين أونو) ، وأصبح اسم عصمت (عصمت إينونو) !! .

واستمرت المعارك بين الأتراك واليونان ، حتى تحررت الأناضول تماما فى سبتمبر ١٩٢٢ .

وتم جلاء اليونانيين عن تريس وتراكية ، وجلاء الحلفاء عن الآستانة وتركيا بأسرها فى ٦ أكتوبر ١٩٢٣ ، بعد أن أمسك البطل (أتاتورك) بكل الخيوط ، وفرض على الجمعية الوطنية فصل السلطة عن الخلافة ، وفى مؤتمر لوزان مثّل تركيا عصمت إينونو وحاييم ناحوم أفندى ، حاخام اليهود ، وكان اللورد كيرزون ، وزير خارجية بريطانيا ، ممثل الحلفاء فى صياغة شروط الصلح ، وهذا اللورد كيرزون هو الذى قال فى مجلس الوزراء البريطانى : (لماذا لا ينبغى علينا جميعا أن نكون صهاينة ؟) .

ووقع كيرزون على معاهدة لوزان التى رسمت حدود تركيا فى ٢٤ يوليو ١٩٢٣ ، بعد أن التزم عصمت إينونو بالخطوات الآتية :

١ - إلغاء الخلافة الإسلامية ، واقتلاع الدين من تركيا ، لتصبح (علمانية) .

٢ - سحق كل القوى الإسلامية بسلسلة من الإجراءات (الثورية) .

٣ - أن تكون تركيا غربية لا شرقية ، وأن تلحق بركب الحضارة الحديثة .

وكان أن أعلن (الغازى) إلغاء الخلافة الإسلامية فى ٣ مارس ١٩٢٤ ، وأعلن فصل الدين عن الدولة ، وألغى المحاكم الشرعية ، كما ألغى وزارتى الشرعية والأوقاف ، وطرد الخليفة وأفراد العائلة العثمانية ، ذكورا وإناثا ، وأصهارهم من البلاد ، وأعلن أن الثقافة والتقاليد الإسلامية من أسباب التأخر والجمود ، كما أنها من أسباب ضعف البنية القومية والثقافية واللغوية التركية .

وبهذا حلّت التشريعات الغربية محل الشريعة الإسلامية .

فلما قامت الثورة الكردية انتصارا للدين ، حكَم على آلاف الأكراد بالشنق والنفى والسجن ، وقَدم ستة وأربعين من رؤساء القبائل على مذابح الإلحاد .

وهبت ثورة فى منطقة تمتد من قونيا إلى أضاليا وأزمير ، وأخرى فى أرضروم ، فبطَش بالثوار ، ومثّل بهم أشنع تمثيل ، ونكلّ بعائلاتهم .

وفى ٢٥ فبراير ١٩٢٥ أصدر قرارا بالخيانة الوطنية ، ضد الجمعيات السياسية التى يكون الدين أساسا أو مظهرا لها .

وأصدر مجموعة من التشريعات ألغى من خلالها كتابة اللغة التركية بالحروف العربيــة ، وأمر بترجمة القرآن إلى اللغة التركية ، وجعل الأذان بالتركية ، واتخذ أنقرة عاصمة

الدولة الجديدة ، وأهمل (إسلام بول) استانبول ، لما لها من أعماق فى الوجدان الإسلامى والمد الإسلامى ، إذ كان سقوط القسطنطينية (إسلام بول) فى أيدى المسلمين حدثا تاريخيا ، بعد أن ظلت الأمة الإسلامية تسعى فى تحقيقه عدة قرون .

☐ ومع هذا كله ..

فإنه لم يكد يمضى أكثر من جيلين حتى عادت تركيا إلى الصواب ، وصار للصحوة الإسلامية فيها أكثر من حزب ومن جماعة ، وأشرقت وجوه إسلامية فى مجلسها النيابى ، وامتلأت المساجد بالمصلين ، وفتحت مساجد أغلقها (عملاء الماسونية) ، وصدرت صحف وكتب تدعو إلى أن تستعيد تركيا وجهها الإسلامى ، واشتركت (الدولة) فى المؤتمرات الإسلامية ، واعترفت باستقلال الدول الإسلامية التى (استعمرها) الغازى الروسى ، وسعت إلى سوق إقليمية معها .

وهكذا .. فإن تكن دولة الطغيان ساعة ، فدولة الحق إلى قيام الساعة !! .



الماسونية على الأرض العربية

١ - فى مصر ..

لا ريب فى أن المصريين – منذ هزيمة عرابى والاحتلال الإنجليزى – قد أصبحوا حقل تجارب لكثير من التيارات الواردة من الشمال ، وترتب على هذا أن ضل السارى ، وحار الدليل ، وارتاب الناصح بنصحه ، وضنّ الزند بقدحه ، إذ تحلقت الاتهامات فوق رءوس الزعامات الوطنية ، وكان لهذه الاتهامات والشائعات متعة جماهيرية ، بسبب من الجهل وبسبب من إغلاق النوافذ ، وبسبب من المراهقة السياسية ، بدءا من القمة التى حاكت حول ذواتها ما يشبه القداسة .

عرفت مصر الماسونية عقب غزو بونابرت سنة ١٧٩٨ ، وكان چورچى زيدان أول من أرخ فى العربية لتاريخ هذه المرحلة ، فى كتابه (تاريخ الماسونية العام) سنة ١٨٨٩ .

اتفق بونابرت وكليبر وبعض قواد الحملة وضباطها من الماسونيين الفرنسيين على تأسيس محفل فى القاهرة ، باسم (محفل إيزيس) أدخلوا فيه كثيرا من عمد البلاد وشيوخها ، ثم توقف نشاطه بعد رحيل بونابرت ومصرع كليبر .

وفى سنة ١٨٣٠ أسس بعض الإيطاليين محفلا بالإسكندرية ، على الطريقة الاسكتلندية ، تلاه محفل آخر فى القاهرة .

وفى سنة ١٨٤٥ شهدت الإسكندرية تأسيس محفل تحت رعاية الشرق الأعظم الفرنسى ، باسم (الأهرام) ، انضم إليه كثيرون من الأجانب والمصريين ، تحت سمع وبصر الحكومة ، وله الفضل الأعظم فى بث التعاليم الماسونية فى مصر ، كما يقول چورچى زيدان ، وأبرز أعضائه المصريين الأمير حليم بن محمد على ، وكذلك الأمير عبد القادر الجزائرى الذى قاد ثورة الجزائر ضد فرنسا ، ثم فر إلى مصر .

وفى سنة ١٨٦٧ أنشأ المحفل الأعظم الإنجليزى فى القاهرة بضعة محافل ، لكن أنصاره لم ينجحوا فى إنشاء مجلس أعلى اسكتلندى للإشراف على هذه المحافل ، ولم ينجح أصحاب الدرجات الماسونية العليا – من الإيطاليين والشوام – فى تأسيس مجلس أعلى مصرى ، أو شرق أعظم مصرى .

وفى ٨ نوفمبر سنة ١٨٧١ نجح أنصار الطريقة الاسكتلندية فى إنشاء مجلس أعلى اسكتلندى ، وفى سنة ١٨٧٢ اتحدت بعض المجالس وكونت ما يسمى الشرق الأعظم الوطنى المصرى .

ولم تمض فترة وجيزة حتى أصبحت المحافل الوطنية المصرية تحت رعاية الشرق الأعظم المصرى عديدة ، وانتخب أعضاء هذا الشرق أستاذا أعظم يدعى سوليتورى أفنتورى زولا ، تجدد انتخابه فى ٢١ مارس ١٨٧٣ ، وذهب يطلب حماية الخديوى إسماعيل للعشيرة .

كان زولا يتعامل مع الواقع كأنه رئيس دولة ، فهو يسمى القرار (أمر عال رقم ..) ويبدؤه بعبارة : (نحن زولا أستاذ أعظم الشرق الوطنى المصرى) ، ويورد فى البند الثالث من قرار إنشاء (المحفل الأعظم الوطنى المصرى) أن (الشرق الأعظم الوطنى المصرى هو الدولة الماسونية المصرية) .. ويلاحظ أن موقعى قرار الإنشاء أوربيون : (زولا ونائبه يوسف دى بورغارد ، والسكرتير الأعظم فرنسيس فرديناند أودى ، وأمين الختم الأعظم باندلى ديليا روغلى) .

وفى ٨ أكتوبر ١٨٧٦ التأم المحفل الأعظم ، بحضور مندوبين من قبل المحافل العظمى الأجنبية ، وتقرر تأسيس محفلين أعظمين إقليميين ، أحدهما لمصر الوسطى ، ومركزه طنطا ، والآخر لمصر العليا ، ومركزه القاهرة ، وكلاهما تحت رئاسة الأخ المحترم إيكو مونو بولو ، بصفة (أستاذ أعظم) إقليمى ، أما مصر السفلى فكانت تحت المحفل الأعظم المصرى فى الإسكندرية ، وأنشئت أثناء ذلك محافل ، وأوقفت محافل ، كما قال چورچى زيدان .

ثم تقرر فى ١٥ سبتمبر ١٨٧٧ نقل المحفل الأعظم الوطنى المصرى من الإسكندرية إلى القاهرة ، وذلك بالأمر العالى الذى صدر من رئاسة الأستاذ الأعظم الكلى الاحترام زولا .

وفى سنة ١٨٧٨ بلغ عدد المحافل العاملة فى مصر ٥٩ محفلا ، من هذا العدد ٢٧ محفلا أجنبيا ، للأوربيين خاصة ، مقابل ٢٩ محفلا مصريا ، للأجانب المتمصرين وللأهالى .

وقد تعزز شأن الجمعية الماسونية فى مصر بعد أن انتظم فى سلكها الخديوى توفيق وجماعة من أمراء البلاد ووجهائها .

وفى سنة ١٨٦٠ بلغ عدد أعضاء المحافل الفرنسية فى الإسكندرية ألف عضو ، وفى سنة ١٨٦٣ أسس الفرنسيون محفلا جديدا فى الإسكندرية ، باسم (نهضة اليونان) ، وهى السنة التى تولى فيها الخديوى إسماعيل الحكم ، وفى السنة التالية أنشأ الإيطاليون محفل

(نور مصر) تحت رعاية الشرق الأعظم الفرنسى ، كما تأسس (المحفل الأعظم المصرى) الذى اندمجت فيه المحافل الأخرى الصغرى ، واختير الأمير حليم أستاذا أعظم لهذا المحفل الكبير ، إذ كان الوريث الوحيد للعرش ، قبل أن يغير إسماعيل نظام الوراثة من أجل ابنه توفيق .. وكان حليم قد تلقى تعليمه فى فرنسا بكلية سان سير العسكرية ، وعاد إلى مصر سنة ١٨٤٥ ، فارتبط بالماسونية ، وأنشأ علاقات طيبة مع أفراد الأسرة الخديوية والأعيان والمثقفين والفرنسيين ، ولما سقط إسماعيل حاول حليم الاتصال بالعرابيين والتعاون معهم على إسقاط توفيق ، لكن الإنجليز قضوا على هذه المحاولة سنة ١٨٨٢ ، وظل شبح حليم يهدد توفيق من بعيد ، حتى توفى توفيق سنة ١٨٩٢ .

وتتحدث تقارير الممثلين السياسيين والقناصل فى مصر عن أن المحافل الماسونية كانت تعج بالعناصر الهدامة سياسيا وجنائيا ، إذ كان منها من يتآمر على البيت المالك فى إيطاليا ، ومن يمارس الجريمة فى مصر تحت حماية ومأوى المحافل الماسونية .

وكان من أهم أهداف الماسونية فى مصر :

١ - استخدام الحيل الماسونية للتخلص من الأفكار التى علقت باليهود ، والتى أدت إلى اضطهادهم وتعذيبهم فى أوربا .

٢ - بذر بذور الشقاق بين الشعوب العربية ، تمهيدا لاستعمارهم .

٣ - تهيئة الجو الداخلى فى مصر وخارجها لعودة اليهود إلى فلسطين (أرض الميعاد) .

☐ كلنا تربينا على أن جمال الدين الأفغانى زعيم إسلامى مغامر ، كان محرك ثورات ، ومثير تساؤلات ، لكن أحدا لم يشك فى إخلاصه وصدق توجُّهه ، حتى جاء أخيرا من أعلن أنه كان عضوا فى المحفل الماسونى ، بل إنه كان حاصلا على درجة ٣٣ ، أعلى درجات المحفل .

قد يكون هذا القول صحيحا ، على أساس أن الرجل انخدع بالشعارات الماسونية البراقة ، كما انخدع غيره ، وأنه كان يأمل أن تمده المحافل الماسونية العالمية بالعون المادى والمعنوى حتى يحقق رسالته ، وبخاصة أن المحافل كانت تضم شخصيات كبيرة ذات ثقل سياسى واجتماعى واقتصادى ، وكان الانضمام إليها يعد كسبا أدبيا ، على شاكلة الأندية الثقافية والاجتماعية ، أى إنه كان من مظاهر (الوجاهة) والتميز الشخصى ، كما كان عونا على

تبادل المنافع ، وكان للماسونية نفوذ يصل إلى إطلاق سراح الضابط لطيف سليم بعد اشتراكه في مظاهرة ضد وزارة نوبار .

من هنا لا ينبغي أن نخلط بين الأوراق ، ونحن إزاء ما تردده دوائر عالمية ومحلية لا تخلو من الشبهة .

يقال : إنه قدم في ٢٢ ربيع الثاني ١٢٩٢ هـ الموافق ٣١ مارس ١٨٧٥م طلب التحاقه بخطه يقول :

(يقول مدرس العلوم الفلسفية بمصر المحروسة جمال الدين الكابلي الذي مضى من عمره سبع وثلاثون سنة ، بأني أرجو من إخوان الصفاء ، وأستدعي من خلان الوفاء ، أعني أرباب المجمع المقدس الماسون ، الذي هو عن الخلل والزلل مصون ، أن يمنوا على ، ويتفضلوا إلى ، بقبولي في ذلك المجمع المطهر ، وبإدخالي في سلك المنخرطين في ذلك المنتدى المفتخر .. ولكم الفضل) – توقيع جمال الدين الكابلي .

وفي ١٠ عاشوراء ١٢٩٣ هـ الموافق ٦ فبراير ١٩٧٦ تمت الموافقة على دخوله المحفل .

و اختير رئيسا لمحفل (كوكب الشرق) التابع للمحفل الأكبر الاسكتلندي في ٢٨ ديسمبر ١٨٧٧ ، وطلب إليه الحضور يوم الجمعة ١١ يناير ١٨٧٨ (لأجل استلامكم القادوم بعد إتمام ما يجب من التركيز الاعتيادي) ، على أن يتم التركيز يوم الخميس ١٠ يناير (فالرجاء حضوركم في اليوم المذكور للاشتراك في الأشغال ، وفي الحالتين تكون ملابسكم سوداء ، ورباط الرقبة والكفوف بيضاء ، واقبلوا منا العناق الأخوى) – توقيع كاتم السر : نقولا سكروج .

❑ وفي ظل الاحتلال الإنجليزي نشطت الماسونية نشاطا مثيرا ، كأنما أراد المحتلّ أن يتخذ منها وسيلة لتشكيل عقول من توسم فيهم القيادة ، سياسية وصحافية وثقافية واجتماعية .

ولعل رالف بورج نائب القنصل الإنجليزي في مصر كان من أنشط وأخطر قناصل أوربا ، أواخر عهد إسماعيل وأوائل عهد توفيق ، في السياسة ، وفي الماسونية ، إذ كانت المحافل الماسونية – بحكم كونها تجمع مختلف النزعات والمشارب – حقل تجارب ومصدرا غنيا للمعلومات .

كان كثير من قادة الاحتلال ماسونيين متحمسين - كما كان الحال مع الحملة الفرنسية - مما يجسم علامات الاستفهام .

كان الجنرال ولسلى قائد جيش الاحتلال ، ومن رجاله الجنرالات سميث وكتشنر ووينجت ، وغيرهم من الرتب الأقل .

وكان الأستاذ الأعظم للمحفل الأكبر الوطنى المصرى يدعى ديوانس أكونو موبولو الذى ظل فى منصبه سنوات (١٨٨١ - ١٨٨٨) ، ثم رُئى بعد الاحتلال ، وبعد خضوع توفيق لخطط الاحتلال ، أن يتولى توفيق أمر القيادة الماسونية ، إرضاء لغروره ، وتكبيله بغروره ، فوافق توفيق ، وأناب عنه حسين فخرى باشا وزير الحقانية .

ولما توفى توفيق فى ٧ يناير سنة ١٨٩٢ كانت جماعة الماسونيين فى مقدمة المشيعين .

وحل محله إدريس راغب بك ، الذى كان قاضيا بالمحاكم الأهلية ، كما كان ابن الوزير ورئيس مجلس شورى النواب فى عهد إسماعيل ، ورئيس الوزراء فى عهد توفيق ، إسماعيل راغب باشا ، وهو من أصل يونانى ، جمع ثروة طائلة أنفقها ابنه فى سخاء على الماسونية ، وفى عهده زاد عدد المحافل حتى بلغ ٥٤ محفلا ، كما أنشأ صحيفة تنطق باسم الماسونية ، وظل يشغل المنصب حتى سنة ١٩٢٢ ، ليحل محله الأمير محمد على توفيق حتى سنة ١٩٢٧ ، ثم اعتذر ليخلفه محمود فهمى قطرى باشا ، ثم محمد رفاعة بك ، ثم أحمد ماهر باشا .

❑ قيل : إن الزعيم مصطفى كامل - وهو فى أوربا يدعو للقضية المصرية - وقع فيما وقع فيه الأفغانى ، فمد يديه إلى المحافل الماسونية ، رجاء أن تعينه على أن يصل إلى أسماع القادرين على التأثير والضغط ، وقد زار هرتزل مرتين ، إحداهما سنة ١٨٩٧ .

ولعل اهتمام الاحتلال الإنجليزى بالبث الماسونى ، وتأثير الصحف الشامية (الماسونية) فى مصر ، وفى الوقت نفسه شعوره بضعف الوسائل التى يملكها - كان من دواعى محاولة الاستعانة بقدرات الماسونية .

ولم يكن الأفغانى أو مصطفى كامل من وقع فى هذه الحبالة ، دون سواهما من الزعماء .

قال (أستاذ الجيل) لطفى السيد معبرا عن خطة (الجريدة) .

(إن الجريدة لم تنشأ لأن تقاوم السلطة الشـرعية – الخديوى – أو السلطة الفعـلية – الإنجليز – ولا أن تعادى واحدة منهما ، ولا أن تنتصر لإحداهما على الأخرى) .

تعبير يدين – دون شك – صاحب النداء المشهور (مصر للمصريين) ، إذ كيف تكون مصر للمصريين ، وهى محتلة بالإنجليز ، يقودها (ربّان) مستورد ، لا هم له إلا أن يحتفظ بدست الحكم ، ويحمى امتيازات أسرته .

يعلق على هذا رجل (الحزب الوطنى) فتحى رضوان ، بقوله :

(قل لى بربك ، كيف يبقى فى صدر إنسان أقل القليل من حسن الظن بحزب يعلن أكبر كتّابه أنه لا يعادى الاحتلال ، إذاً من يعادى ؟! وكيف يكون التحرير فى أمة ضُربت بنقمة الاستعمار ؟! ويزعم أنصار لطفى السيد أنه داعى دعاة الديمقراطية) !! .

ولعل هذا يعين على الاستجابة لمن يقول : إن معظم المنتسبين إلى حزب (الأحرار الدستوريين) – من عدلى يكن إلى أصغر عضو فى القرى والنجوع – كانوا منتسبين إلى (المحافل الماسونية) .. وأن (الأفعى) الماسونية توغلت فى (هياكل) الأحزاب والتجمعات والهيئات السياسية والاجتماعية ، وأوقعت معظم رجال الحكم فى (محافلها) .

وقيل : إن نشأة (الحزب السعـدى) ، مولده وحضانته ونموه وشيخوخته ، تمت فى (المحفل الماسونى المصرى) .

بل لعل (أستـاذ الجيـل) خضع للمنافسـة الصحفية التى شكلها أبنـاء الجالية الشـامية ، الذين ضاق بهم الحال فى بلادهم ، بسبب العسف العثمانى ، فلجئوا إلى مصر التى كانت – إلى حد ما – تتمتع بقدر من الاستقلال عن الدولة العثمانية ، وكان الإنجليز حريصين على قطع الصلات مع هذه الدولـة ، حتى يمكن بسط سلطانهـا دون مقاومة ، أو دون مكائد عثمانية .

كان معظم أبناء الجالية الشامية من خريجى أو دارسى الكلية السورية الأمريكية ، كما كان معظمهم من أعضاء جمعية (شمس البر) التى وصفها الأب لويس شيخو بأنها جمعية ماسونية ، وكان من أنشط رجالها شاهين مكاريوس ويعقوب صروف وفارس نمر ، وثلاثتهم أصدروا المقتطف فى بيروت سنـة ١٨٧٦ ، كما أنهم جميعـا لم يجـدوا المجـال فسيحـا فى الشـام .

وقد تشكل أول محفل ماسونى فى بيروت سنة ١٨٦٢ ، لكنه وجد مقاومة من الكنيسة الجزويتية ، حتى ساءت سمعة الماسونية ، وصار الانتساب إليها سبة .

وفى سنة ١٨٨٤ جاء ثالوث المقتطف إلى مصر ، وأنشئوا إلى جوار المقتطف جريدة (المقطم) سنة ١٨٨٨ ، التى صارت لسان الاحتلال البريطانى ، وظلت تصدر حتى سنة ١٩٥٢ .

وقد تزوج فارس نمر من ابنة القنصل الإنجليزى فى مصر ، ثم زوج ابنته - فيما بعد - من السكرتير الشرقى للسفارة الإنجليزية ، وعن طريق التعاون مع الإنجليز أصدر شاهين مكاريوس (اللطائف) سنة ١٨٨٦ ، التى استمرت تصدر حتى وفاته ، وكانت منبرا بارزا للماسونية ، بل (أول مجلة جاهرت بالتعاليم الماسونية السرية فى القطر المصرى) .

وفى سنة ١٨٨٨ دخلت فى معركة حادة مع اليسوعيين (الجزويت) ، وألبت عليهم الحكومة .

وكانت مطبعة (المقتطف) تصدر الكتب والنشرات الماسونية ، وأهمها عشرة مؤلفات لشاهين مكاريوس وإدريس راغب ، وكان مكاريوس حريصا على تمجيد إدريس راغب (رئيس أعظم شرف ، مقام العقد الملوكى بالمينويس فى الولايات المتحدة ، ورئيس ثالث أعظم مقام العقد الملوكى الأكبر فى مصر ، وعضو شرف فى كل محفل اللولو بأمريكا ، ومحفل سلتك الأمريكى ، ومحفل سليمان الملوكى بالقدس ، ومحفل الثبات ، ومحفل الصفا بمصر ، ومحفل سورية فى بيروت ، ومحفل أسكله بيافا ، ومحفل بنى سويف ، ومقام كوكب الشرق الإنجليزى ، ومجمع الكرنك الفرنسوى لدرجة ١٨ ، ومنبه أول شرف بالمحفل الأكبر الوطنى المصرى ، ومنبه أول الشرق الأكبر المصرى ، ورئيس ومؤسس محفل اللطائف ، ومقام اللطائف ، ومحفل فينيقية ، ومحفل بدر حلوان ، ومحفل بدر حلوان الكمالى ، ورئيس ومؤسس محفل مكاريوس لدرجة الأساتذة المعلمين ، ومحفل المقطم ، وعضو محفل الإخلاص ، ومحفل الحكمة ، وأستاذ شرف المحفل الأكبر لفلادلفيا ، وحائز لدرجة النخل والصدف ، ودرجة ٣٣ وغيرها) .

أرأيت كيف تحولت ثروة مصر إلى ألقاب ، مشرقة ومغربة ، ومن لحية مصر تُفتل أرجوحة ابن الباشا ؟! .

وكان چورچى زيدان رابع ثلاثى المقتطف والمقطم واللطائف فى الدعوة للماسونية .

وقد تربى في مهاد هده الصحف (الشامية) فرح أنطون وشبلى شميل وسلامة موسى وإسماعيل مظهر وغيرهم من (رواد التنوير) فى مصر ، الذين تنادوا بالحرية والداروينية ، وساقوا إلى شجب البلاغة العربية والتراث الإسلامى ، وأعلوا من شأن التبعية الغربية والحروف اللاتينية ، مما يتيح الإجابة على أكثر من علامة استفهام .

يقول سلامة موسى فى كتابه (اليوم والغد) :

(ينبغى ألا يغرس في ذهن المصرى أنه شرقي ، فإنه لا يلبث أن ينشأ على احترام الشرق ، وكراهة الغرب ، وينمو فى كبرياء شرقى ، ويحس بكراهة لا يطيق أن يجرحها أحد الغربيين بكلمة) .

وهذا قول يمكن تفسيره بمفهوم لا علاقة له بالتوجه الماسونى إلا من خلال ظروف المرحلة التى قيل فيها ، إذ كانت الانفعالات الوطنية فى حالة من الغليان ضد الاحتلال الإنجليزى لمصر ، وتآمرهم مع اليهود فى فلسطين ، وتحكمهم فى أقدار الشعوب العربية ، متعاونين مع الفرنسيين والطليان .

لكن مما يثير الريبة أن يقع فى شباك الماسونية كل أولئك الذين أكلوا على مائدة مصر ، وشربوا ماءها ودماءها ، أمراء وساسة وزعماء ووزراء وأدباء وشعراء وصحفيون وأطباء ومهندسون وعسكريون ورجال دين : عمر سعيد حليم ، وسعيد محمد على حليم ، وسعيد داود ، وسعد زغلول ، وعدلى يكن ، وعبد الخالق ثروت ، وولى الدين يكن ، وإبراهيم اليازجى ، وخليل مطران ، وحفنى ناصف ، وإسماعيل صبرى ، وأحمد فتحى زغلول ، والشيخ حسن مأمون ، واللواءان بالجيش على شوقى ، ومحمد فهمى المتينى ، والشاعران محمود رمزى نظيم وأحمد زكى أبو شادى ، وعلى شعراوى ، ومحمد حافظ رمضان ، وفؤاد أباظة .

وفى الثلاثينات انضم إلى المحافل حسين شفيق المصرى ، ويوسف وهبى ، وأحمد ماهر والصاغ محمود رسمى واليوزباشى مختار زاهر .

وفى الأربعينات محمد رفعت من كبار موظفى الدولة ، والشيخ محمد أبو زهرة والطبيب أحمد غلوش وقطب حزب الوفد فؤاد سراج الدين الذى تولى سنة ١٩٥٠ الأستاذية العظمى حتى قيام ثورة ١٩٥٢ .

وقد ظل سعد زغلول (أخا فائق الاحترام ، ونائب أستاذ أعظم) حتى توفى سنة ١٩٢٧ .

وفى سنة ١٩٢٢ نشرت المجلة الماسونية نداء إلى جميع السلطات العظمى فى العالم تحتج على (ما أصاب الحرية فى شخص أحد أبنائها ، وصفوة رجالها ، الأخ فائق الاحترام سعد زغلول باشا ، زعيم الحرية المصرية ، ورفاقه الأحرار ، الذين نفتهم السلطة العسكرية الإنجليزية إلى جزيرة سيشل) .

ولما مات الأخ (كلى الاحترام سعد زغلول) صدرت الأوامر إلى المحافل الماسونية (أن تستعمل فى مكاتباتها أوراقا مجللة بالسواد ، وتلبس الحداد ، وأن يضع جميع الموظفين ورودا سوداء على أوشحتهم ومآزرهم مدة سبعة أسابيع) .

☐ كانت أحضان الإنجليز معامل تفريخ يهودى ، تخلصا من وجودهم فى انجلترا ، وتأهيلا لتثبيتهم فى جدار الأمة العربية ، ذات المستقبل البترولى والطموحات السياسية ، ومن ثم تأسست المحافل اليهودية ، فى القاهرة والإسكندرية وعواصم الأقاليم ، وكان من أشهرها محفل (ابن ميمون) الذى افتتح فى ١٦ يناير ١٨٨٧ ، واختير – بعد ذلك – حاييم وايزمان (رئيس المنظمة الصهيونية) رئيسا شرفيا له ، وإلى جوار هذا المحفل كان محفل (إليا هو جنابى) بالإسكندرية ، ومحفل (بناى بريث) بالقاهرة ، ومحفل (ماجن ديفيد) بالمنصورة ، ومحفل (أوهيل) بطنطا ، ومحفل (إسرائيل) ببور سعيد .

وفى عهد الملك فؤاد (١٩١٧ – ١٩٣٦) رسخت أقدام اليهود ، وانفتحت أمامهم مجالات العمل ، وصار يوسف قطان باشا وزير مالية مصر ، واحتل عدد من اليهود مقاعد فى مجلس الشيوخ والنواب .

وبلغ عدد المعابد فى القاهرة – خلال النصف الأول من القرن العشرين – حوالى ٢٩ معبدا ، وفى الإسكندرية ٢٠ معبدا ، بالإضافة إلى معابد بور سعيد ودمنهور وكفر الزيات وطنطا والزقازيق والمنصورة وميت غمر والمحلة الكبرى .

وفى سنة ١٩٢٢ نجح اليهود فى تحويل الماسونية لخدمة الصهيونية ، وأحلام الوطن القومى فى فلسطين .

وأصدر اليهود ثلاث صحف : (المجلة الماسونية لصاحبها يوسف لفلوفة بالإسكندرية سنة ١٩٠٣ ، ومجلة (الإخاء) لصاحبها رحمين فرجون بالقاهرة سنة ١٩٠٦ ، ومجلة (الأخبار الماسونية) لصاحبها موسى جرونشتين بالقاهرة سنة ١٩٢١ ، وإن كانت الثلاث قصيرة الأجل .

وتكشف قائمة المحافل وأساتذتها العظام – سنة ١٩٢٨ – عن وجود ٥٢ محفلا ، تحت لواء المحفل الأكبر الوطنى المصرى ، منها محفل (أحيقام) الذى جعل العبرية لغته ، فضلا عن ٨ محافل تشغل الأسماء اليهودية مناصب الأساتذة العظام فيها : (فيكتور موديانو ، وليون ستارا سلكى ، ويوسف شحاته هرارى ، وليون محرز ، فى القاهرة ، وأيلى حتويل ، وهوجز موسو ، وسابينو كاليا ، فى الإسكندرية ، ومايردنكو فى السويس) ، فى حين شغل المسيحيون الأقباط ٣ مناصب ، مقابل لا شيء للمسيحيين الشوام ، و ٢٤ للمسلمين ، و ١٧ لليونانيين وغيرهم من الأوربيين .

ولم تقتصر هذه المحافل على المدن المصرية الكبرى مثل القاهرة والإسكندرية وبور سعيد وطنطا والمنصورة والسويس ، بل تعدتها إلى المدن الصغرى كالسنبلاوين والإبراهيمية .

☐ وقد نشرت (المقتطف) فى عدد فبراير ١٩١٠ دفاعا عن الماسونية ، جاء فيه :

(من غرائب أطوار الإنسان أن غرضه يعميه عن رؤية الحقائق ، ولو ظهرت أمامه واضحة مجسمة ، مثال ذلك اتهام بعض الناس للجمعية الماسونية بأنها جمعية سياسية معادية لكل سلطة مدنية .. وهم يرون أعظم الملوك والوزراء ورجال السياسة من أعضائها العاملين فيها ، المؤيدين لها ، وهم من دول مختلفة ، وأمم متباينة ، بل كيف يعقل أن يكون لهم غرض سياسى يجمعهم ، وهم مختلفون سياسة تمام الاختلاف ؟ ولا يُنكر أن الماسونية تسعى لتحرير الناس من قيود الجهل والظلم والاستبداد ، وهى الغاية التى يسعى إليها الآن كل الحكومات الحكيمة الرشيدة ، ولذلك لا تناقض بين مقاصدها ومقاصد الملوك والوزراء وسائر رجال السياسة ، فينتظمون فى سلكها ويؤيدونها ، وحسبك شاهدا ما فعلته جمعية الاتحاد والترقى العثمانية ، وأكثر أعضائها من الجمعية الماسونية المرتشدين بإرشادها) .

(يكاد المريب يقول خذونى) !! ينكر العمل بالسياسة ، ويقيم الدليل على العمل بالسياسة ، وينكر العداء لكل سلطة مدنية ، ويقيم الدليل على أنها جماعة انقلابية ذات دور بارز فى القضاء على الخلافة العثمانية ، وأن من مبادئها (تحرير الناس من الظلم والاستبداد) ، ومن ذلك أن الماسونية (بثت فى نفوس أعضاء جمعية الاتحاد والترقى روح الحرية ، وبها اقتدوا فى إنشاء جمعيتهم التى فكت قيود (الاستبداد) .

وتقول (المقتطف) فى أبريل ١٩١٧ : (وفى الماسونية مرغبات أخرى للاشتراك فيها غير ما تقدم ، مثل الرتب والنياشين وحفلات الأنس ، والملوك وأصحاب المقامات أميل من غيرهم إلى هذه الأمور) .

وتقــول (المقتطف) فى مــايو ١٩٢٦ : (وهى تهتم باختيــار أعضائها من فضلاء الأنام ، وتبقى إشــاراتها ســرية ، حتى لا يستعملها أناس لا خــلاق لهم فيفســدوا عليها عملها) .

وإذا كان هذا العمل (مشروعا) ففيم السرية ؟ وفيم استخدام الرموز التى تحتمل أكثر من تفسير ؟ .

تقول (الجزيدة الماسونية) : إن (الماسونية المصرية جمعية خيرية أدبية ، ولا عمل لها إلا إعانة الفقير ، ومساعدة المحتاج) .

كأنّ الملوك والزعماء لم يجدوا سبيلا إلى (إعانة الفقير والمحتاج) إلا عن طريقها ، فانضموا إليها !! .

نشرت السياسة الأسبوعية فى ٢٨ يوليه تعليقا بقلم محمد كامل حسن من مدينة الزقازيق يقول : (إنه بدأ حياته الماسونية منذ خمسة أعوام تقريبا ، فوجد أن أغلبية تلك الفئة هم اليهــود ، وهم الذين يقــودون العشــيرة تحت هذا الستــار الخــلاب) ، واختتم تعليقه بقوله : (هناك من الأسرار الخفية ما لو أذيع لروّع العالم ، وأخطأ التقدير فى حكمه ، وأمسى يرى تلك الفئة بالعين المجردة إنما تعمل لهدم بقية الأديان دون دينهم) .

وفى ٢ أبريل ١٩٢٢ أصدر المحفل الأكبر الوطنى المصرى للبنائين الأحرار – بناء على طلب حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية – (نداء إلى أهالى فلسطين) ، ودعا الجميع إلى إفساح المجال لليهود ، فى سبيل فائدة الوطن المشترك وعظمته ، وتوفير أسباب السلام والوئام والتسامح وحقن الدماء :

(يا أهل فلسطين ..

تذكروا أن اليهــود هم إخوتكم ، وأبنــاء عمومتكم ، قد ركبوا متن الغربة وأفلحــوا ونجحوا ، ثم هم اليــوم يطمحون للرجــوع إليكم ، لفــائدة وعظمة الوطن المشترك العــام ، بما أحرزوه من مال ، وما اكتسبوه من خبرة وعرفان .

إن العربى العبرى صنوان ، من شجرة إبراهيم ، أبواهما إسحق وإسماعيل ، فمتى وضع أحدهما يده فى يد الآخر انتفعا جميعا بما لديهما من الوسائل المختلفة ، وكان فى تعاونهما تمام الخير وكمال البركة ، بإذن الله .

اسمعوا وعوا هذا الصوت الذى تناشدكم به مصر ، شقيقتكم الكبرى .

إنها تدعوكم إلى السلام والوئام ، لمصلحتكم ولمصلحة الشرق ، وهى فوق كل مصلحة) .

(حافظوا على شرف العرب القديم ، وعلى مجدهم الصميم ، ولا تندفعوا وراء الأيدى الخفية فى تيار الظلم والعدوان ، وإياكم ثم إياكم أن تسفكوا الدم الذى حرم الله) .

توقيع : إدريس راغب / الأستاذ الأعظم — عبد المجيد يونس / نائب السر الأعظم

محمد رفاعة / نائب الأستاذ الأعظم — طه إبراهيم / مساعد نائب الأستاذ الأعظم

وفى ٢٨ أبريل ١٩٢٢ صدر بيان آخر بتوقيع الأربعة الكرام ، وذلك كله بسبب ما خيف من حدوث اضطرابات ، بسبب وعد بلفور وانتداب الإنجليز لتنفيذ هذا الوعد .

☐ كانت فى مصر جمعيات ثقافية وفنية وخيرية ورياضية ، وصحف كثيرة تعلن عن وجهها الصهيونى ، مثل (المجلة الصهيونية) ١٩٢٢ ، و (مجلة إسرائيل) ١٩٢٠ فى ثلاث طبعات : عربية وفرنسية وعبرية ، ثم جريدة (المنبر اليهودى) لسان حال الحركة الصهيونية منذ سنة ١٩٣٦ .

ومما يثير الدهشة أن تصدر صحف ومجلات ثقافية بأموال يهودية ، تستقطب أقلام كبار المثقفين ، وبالتالى تعمل على توجيه هذه الأقلام .. ومنها مجلة (الكاتب المصرى) التى رأس تحريرها عميد الأدب العربى ، ولف حوله طائفة من الجامعيين ، يقول الأستاذ محمود شاكر : (كان مرادها أن تستولى على مصدر الثقافة فى بلاد العرب ، وتكون أداة توجيه لأغراض بعينها ، قبل غزو فلسطين العربية فى سنة ١٩٤٨ ، وهذه المجلة هى التى يسميها لويس عوض ـ بعد موتها بسنين — سنة ١٩٥٤ : « المجلة الزهراء ») .

وسيطر على الاقتصاد المصرى بين ١٨٩٧ / ١٩٤٧ عائلات رولو وموصيرى وعاداه وعدس وقطاوى وشيكوريل وجاتينيو وجرين ومنشّه ومزراحى وبنزايون وغيرها من العائلات اليهودية .

وسيطر چوزيف موصيرى على معظم دور السينما فى القاهرة والإسكندرية والسويس وبور سعيد ، واحتكر استيراد الأفلام الخام وبيعها وطبع الترجمة على الأفلام الأجنبية .

وفى ١٩٤٢ كان اليهود يسهمون فى إدارة وتوجيه ١٠٣ شركات من مجموع الشركات البالغ عددها ٣٠٨ ، فضلا عن الإسهام فى عدد كبير من المصارف والشركات المالية والتئتمانية ، والصناعية والتجارية والزراعية ، وشركات النقل البرى والبحرى .

وتحولت جمعية (زئير زيون) التى أسست بالإسكندرية سنة ١٩٠٩ إلى فرع للمنظمة الصهيونية العالمية سنة ١٩١٨ ، وأقامت فرعا لها بالقاهرة وآخر ببورسعيد .

وأصبحت (المحافل اليهودية) منابر صريحة للدعوة الصهيونية ، تنظيم اللقاءات ، وتلقى المحاضرات ، وتدبر المؤمرات ، وتجمع التبرعات ، وتزيف الشعارات[1] .

❏ لا غرو أن يكون (المليونير) هنرى كوربيل فى القاهرة هو المعلم والممول الأكبر للحركة (الشيوعية) فى مصر ، هذه الحركة التى اتخذت قرارا بالدعوة إلى تقسيم فلسطين ، قبل قرار الأمم المتحدة بعامين ، ثم جاءتها الأوامر من موسكو بالاتحاد مع حركة شيوعية أخرى يتزعمها يهودى آخر اسمه (شوارتز) .

وإبان الحرب العربية الإسرائيلية سنة ١٩٤٨ صدر منشور شيوعى فى مصر يقول :

(أيها العمال والفلاحون العرب واليهود ، اتحدوا ضد البرجوازية العربية واليهودية ، ولا تشتركوا فى الحرب الرجعية ، بل اعملوا على قيام المجتمع الاشتراكى ، وصولا بالثورة الشيوعية إلى الأممية البروليتارية) .

هذا فى الوقت الذى كانت تتشكل خلايا (الضباط الأحرار) فى (الفالوجة) المحاصرة ، ومن هؤلاء الضباط من أدين باشتراكه فى (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى) التى أسسها هنرى كوربيل ، وذكر من هؤلاء جمال عبد الناصر وخالد محيى الدين ويوسف صديق وأحمد حمروش وكمال رفعت وغيرهم .

والمثير حقا أن جمال عبد الناصر انتسب إلى الإخوان المسلمين وإلى الماركسيين ، وكان صديقا حميما لإيجال يادين قائد القوات الإسرائيلية فى حصار الفالوجة ، ونائب رئيس الوزراء إبان زيارة السادات للقدس ، وفى هذه الزيارة التقى يادين بحسن التهامى عضو وفد السادات ، واعترف له بأنه كان صديقا لعبد الناصر ، وأنه – أثناء حصار الفالوجة – أهدى عبد الناصر صندوقا من التفاح ، وصندوقا من البرتقال ، وصندوقا من الشيكولاته !! .

---

(١) لمزيد من المعرفة يمكن الرجوع إلى كتابى (اليهود تاريخا وعقيدة) .

فكيف يجمع زعيم العرب الذى أعطانا (العزة والكرامة) بين (موريس) – الاسم الحركى فى الحزب الشيوعى – ودعوة الإخوان المسلمين التى انتظمت صفوفها من أجل تحرير فلسطين ، وصداقة إيجال يادين ؟! .

ألا يبعث (الريبة) فى النفوس إذا علمنا أن (القومية العربية ولدت وترعرعت فى الجامعة الأمريكية ببيروت) وأن زعيم القومية العربية كان يستظل بظل الأمريكان ، إذ يقول صاحب (لعبة الأمم) :

(كنا نفضله على قاسم العراق ، وعلى الملك سعـود ، وحتى على الرئيس اللبنانى شهاب ، الذى كان ينظر إليه بعض دبلوماسيينا على أنه « نجيـب » ، ولكن لا « ناصـر » معه ، وبغض النظر عن المصائب التى كانت تحل به كل ثلاثة أو أربعة أعوام ، فإن ناصرا كان يزداد قوة وصمودا ، فهو هناك ، ودائما هناك . والتفكير بغيره عبث) .

ألا يؤكد هذا القول تبعية عبد الناصر لأمريكا أيضا ، وبخاصة إذا عرفنا أن عبد الناصر كان على اتصال بالمخابرات الأمريكية قبل ١٩٥٢ ؟! .

كتب (ستيفن ميد) خبير التجسس الأمريكى إلى الرئيس روزفلت ، بعد اتصاله بالضباط الأحرار :

(إن هؤلاء الصبيان يرون أنفسهم كأفراد عصابة « روبن هود » المرحة ، وهم فرحون لأنهم أُعلنوا أبطالا للثورة ، ولكننى لم أجد أحدا منهم قادرا على أن يشرح لى ما تريده هذه الثورة ، وهم لا يكترثون بالسياسة ، ولعل هذا من حظّنا وحظ عبد الناصر معا) !! .

ولا ريب فى أن الناصريين سيجدون فى حمل نير الشيوعية والإمبريالية والصهيونية والإسلامية لونا من المهارة السياسية ، واقتحام هذه الكهوف أو الصناديق السوداء للتعرف على أسرارها ، حتى يمكن التعامل معها حين تنجح الثورة .

ويبدو أن لهذا المنطق قدرا من المصداقية – كما يقولون – لأن الإخوان المسلمين أيدوا الثورة عند قيامها ، وكانوا خطّ دفاعها الأول ، وحين حدث العدوان الثلاثى أمر إيزنهاور المعتدين بالانسحاب ، وحين حدث التحول الاشتراكى سنة ١٩٦١ أصدر (الحزب الشيوعى المصرى) قرارا جـاء فيه : (إن التـحول الاشتراكى المصرى يجرى على أساس ماركسى صادق ، وإن أى شعارات غير شيوعية ترفعها القاهرة هى للاستهلاك المحلى) ، ومن هنا كان إعلان الحزب الشيوعى المصرى حل نفسه بنفسه ، وانضمام أعضائه كأفراد إلى الاتحاد

الاشتراكى العربى ، فيما سمى تحديات المرحلة ، ومنذ نهاية ١٩٦٤ ، ومع بداية ١٩٦٥ أنشئ (كادر سرى) داخل الاتحاد الاشتراكى ، سمى (التنظيم الطليعى) ، ضم قيادات النظام والكوادر المنشقة للشيوعيين ، مع بعض الأفـراد العاديين ، ممن يسهل صبهم فى القـالب الجديد ، وكانت وظيفة هذا (الجهاز السرى) - كما حددها صانعوه - أن يكون عصب الاتحاد الاشتراكى ، يتولى توجيهه ، ويكون أداة لتجديد حيويته .

وبهذا يكون زعيم الأمة العربية قد لعب لعبته ، واستفاد من جميع الأطراف .

أما ما قاله ألفرد ليننتال فى كتابه (ما ثمن إسرائيل ؟) : إن (حكومة الولايات المتحدة فعلت كل شيء لتشجيع الـزواج الملائم بين الشيوعيين والوطنيين المتطرفين) ، فيمكن سَوْقُهُ مساق دعوى أن الماسونية وراء كل الأحداث ، وإلا ففيم كان تأميم قناة السويس والبنوك وبقية المصالح الأجنبية ؟ وفيم كان تجميد الأرصدة المصرية فى الخارج وفرض الحصار الاقتصادى ؟ .

على أى حال فإن الحكم على هذه (الظواهر) لا يجانبه التوفيق ، لأن من الممكن أن يكون (الحصان) تحت التدريب يميل إلى الجموح فيستوجب التأديب ، وإذا كانت كل من أمريكا والاتحاد السوفيتى قد تنافستا على سرعة الاعتراف بالدولة الإسرائيلية ، وقد سبق القول : إن لليهود دورا كبيرا فى القيادتين الأمريكية والسوفيتية ، فإن من الممكن أن يترك للحصان فرصة يعبر فيها أمام (العالم العربى) عن قوته وقدرته على الحركة المستقلة ، وعن تحكمه فى سائسه ، حتى يمكن الوصول إلى الهدف المنشود فى أيسر طريق ، وهذا الهدف المنشود هو امتصاص حيوية الأمة العربية ، مجال الحركة الأولى للتوسع الصهيونى ، وليس أدل على هذا من اللعب بشعارات القومية العربية ، لإغراق المجتمع العربى فى دوامة من الصراعات الداخليـة ، توطئة للوصول به إلى موائد المفـاوضات التى يتم فيها التنـازل عن كل شيء مقابل لا شيء .

☐ لقد قيل كلام كثير حـول هزيمة ١٩٥٦ التى تحولت فى وسائل الإعلام والأناشيد المدرسية نصرا مؤزرا ، يحتفل به عيدا قوميا كل عام ، وتعطل الدواوين ، ولما كثر اللغو اكتفى بتعطيل الدراسـة فى المدارس والجامعات ، وأخيرا تم الاعتراف بالهزيمة فألغى العيد القومى .

وقيل كلام كثير حول وحدة مصر وسوريا ، والعلاقة الحميمة بين الموسكى وسوق الحميدية ، وعن زهور المشمش التى ازدانت بها مقاصير ومواخير ، وصار عيداً قومياً ، تعطل له الدواوين ، وتنشد الأشعار ، وتحمل فيه عربة (الزعيم) فوق الأكتاف ، ثم أصيبت الوحدة

بالمرض الخبيث ، وهى ما تزال فى عنفوانها ، فوصف لها هواء اليمن العليل ، المشبع بمذاق القات ، وشذى البن والتوابل .

يقول الفريق صلاح الدين الحديدى فى كتابه (شاهد على حرب ٦٧) :

(وابتلعت جبال اليمن الشامخة ، وجشع القبائل ورجالها ، وتذبذب موقف المشايخ وترددهم – أفضل التشكيلات والوحدات ، وعندما كانت القوات المصرية فى سيناء تقاتل وتكافح من أجل الحفاظ حتى على حياتها عام ١٩٦٧ ، كان هناك عشرات الألوف من زملائهم ، على بعد ٣٠٠٠ كم فى اليمن لا يستطيعون أن يشاركوا فى المعركة بأكثر من من الجلوس إلى أجهزة الراديو يستمعون ويعلقون) .

فقدت مصر أرصدتها على أرض اليمن ، إذ كانت تنفق مع مطلع كل شمس أكثر من مليون جنيه (حين كان الجنيه المصرى أعلى قيمة من الجنيه الإنجليزى ، ويساوى أكثر من دولارين ، وأكثر من عشـرة ريالات سعـودية) ، وأنفقت كل قرية فى مصر أكثر من (شهيد) ، لماذا ؟ لتغطية ما حدث فى الشام ، وتهريب (المندوب السامى) من وراء الكواليس ، أو الكوابيس .

وبينما الجروح تنزف فوق جبال (صعدة) وفى أوديتها ، وكانت السفن المحملة بالجنود تعود محملة بواردات (عدن) رأى القـائد الأعلى – وما تزال رجـلاه معلقـة فى حبـال اليمن ـ أن يسقى أمريكا من مياه البحرين الأبيض والأحمر ، وأن يدفنها فى البحر الميت ، أو يعرضها فى سوق الجوارى .

يقول الفريق الحديدى :

١ – أصدرت القيادة العليا للقوات المسلحة – فى صيف ١٩٦٦ – حركة تعيينات وتنقلات واسعة بين القادة والضباط ، شملت عددا كبيرا من أكبر الرتب إلى أصغرها ، تطبيقا لمبدأ الولاء قبل الكفاءة .

ثم صدرت الأوامر – بعد حركة ١٩٦٦ – بتغيير عدد كبير من القادة ، لغير أسباب واضحة ، عين قادة جدد بعضهم قليلو الخبرة بطوبوغرافية سيناء ، وبخططها الدفاعية ، وبعضهم لا تربطه أية علاقة بقيادتهم الجديدة ، حتى إن ضابطا كبيرا – كان يعمل فى عاصمة ألمانيا الغربية – عين قائد تشكيل فى سيناء ، بعد أن ساقته الظروف إلى زيارة مفاجئة للقاهرة .

أى أن دعوى حرب اليمن تدريب على حرب إسرائيل لم تكن إلا ذرًا للرماد فى عيون الحانقين غير (القوميين) !!

٢ – كان العمل فى مناطق سيناء وقطاع غزة يحتاج إلى كفاءة ويقظة واحتراف حقيقى للجندية ، عند تلقى الصدمة الأولى ، فى حالة صدام مسلح مع إسرائيل على الحدود ، وقد شمل مبدأ الولاء قبل الكفاءة هذه المناطق الهامة !! .

وذلك لأن الهدف لم يكن حربا ، بل التضحية بأقوى الجيوش العربية على (مذابح داود) ، تقربا إلى خُدام الهيكل ، وتدوين أسماء جديدة فى (كشوف البركة) !! .

٣ – كانت خيوط الولاء كلها فى يد من يمنعون ويمنحون ، من يحلّون ويحرمون ، من يفصلون من الخدمة ، ويعتقلون .

وهم فى الوقت ذاته أقل الرجال كفاءة ، ولم يختبروا فى معركة !! وكان من هؤلاء (على شفيق) مدير مكتب المشير الأعظم للشئون الرياضية (!!) وقد هرب بأمواله إلى لندن ، ثم وجد مقتولا فى أحد الفنادق ، وتحت وسادته مليون جنيه استرلينى !! .

٤ – كان بعض أفراد (شلة) المشير الأعظم على درجة عالية من خفة الروح وإتقان التهريج ، فقاموا بدور (مهرج الملك) على أحسن وجه .

والمعروف أن السيد المشير كان يتمتع (بأعلى مزاج) ، ومن كانوا على هذا المستوى لا تطيب لهم إلا الليالى الملاح ، وإن أدى الأمر بالقيادة إلى أن تكون (سداح مداح) !! .

٥ – لم يكن شكل التعاون بين القوات الجوية والتشكيلات البرية واضحا تفصيليا لجميع المستويات المناط بها هذا التعاون ، نظرا لإحجام القوات الجوية عن تنفيذ المشروعات المخططة لهذا التعاون .

وصل مستوى التدريب بالجنود – فى معظم السنوات السابقة للنكسة – حتى مستوى فرقة مشاة ومدرعة ، ولكن فى عام ١٩٦٧/٦٦ وافقت القيادة العامة للقوات المسلحة على أن يقتصر تدريب التشكيلات فى المنطقة العسكرية الشرقية – وهى المنطقة المنوط بها الدفاع عن سيناء – على تدريب مستوى سرية مشاة أو مدرعة .

٦ – الأخطاء التى وقعت فيها القيادتان السياسية والعسكرية ، قبل وأثناء حرب يونيه ١٩٦٧ ، كانت قد وقعت قبل فى حرب ١٩٥٦ ، أى قبل أكثر من عشر سنوات ، وكأن أخطاء ١٩٥٦ كانت (بروفة) لأخطاء حرب ١٩٦٧ ، كما قال أحد رجال التاريخ .

٧ ـ كانت خطة التسليح تسير بلا هدف محدد لتحقيق سياسة استراتيجية معينة .

٨ – أعلن عبد الناصر – فيما بعد – أن معلوماته التى استند إليها قد جاءته من رفاقه السوريين ، عبْر أنور السادات ، بعد عودته من زيارة لسوريا ، وأن السوفييت هم الذين اكتشفوا الحشود الإسرائيلية ، وأبلغوا السوريين !! .

ما أغبى وأوقح الذين يهزلون حين يجد الجد وتقرر المصائر !! .

٩ – تمت التحركات إلى الجبهة فى عجلة ، عن طريق القاهرة السويس ، والقاهرة الإسماعيلية ، فازدحم الطريقان ، وتعطلت المركبات ، وفشل المشرفون على تنظيمها ، ولم يتحقق الانضباط (!!) .

هذا ، مع عدم توفير الفنيين من سائقى الدبابات والعربات وعمال الأجهزة اللاسلكية ، وباقى الأجهزة الفنية ، ففقدت القوات العاملة التى أصابتها عملية العجز التعبوى ثقتها فى القيادة ، وفى مقدرتها القتالية (!!) .

ففيم إذن كانت العجلة بإعلان الحرب ، حين أمرنا بسحب قوات الطوارئ الدولية ، وبإغلاق خليج العقبة ، ومنع السفن الإسرائيلية من المرور فيه ؟! .

ألم يكن أولى بنا أن نتمهل ونستعد ، ونختار نحن أنسب الوسائل للمعركة ، بدلا من التخبط والهرجلة ، وبدلا من أن نتهم بالعمالة للصهيونية ، والوقوع فى إسار الخيانة والامتهان ؟! .

١٠ – ساعدت القيادة العليا فى القاهرة على جعل الموقف غامضا ، والمسئولية غير واضحة ، إذ كانت تصدر تعليماتها إلى الجبهة ، متجاهلة القيادة الجديدة .

ثم كلفت القيادة العامة قيادة الجبهة بوضع خطط لعمليات هجومية ، لا تستهدف أكثر من إظهار المقدرة على العمل ، ولكن لا تتورط فيه ، منتظرة ردود الفعل إزاء هذه العمليات الهجومية ، فى المجال الدولى ، مستبعدة الاستمرار فيها حتى النهاية ، وعلى هذا لم تتحدد استراتيجية هجومية ، تضع كل القوات فى ظروف تخدم هذه الاستراتيجية ، وتحشد كل

مواردها ، تطبيقا لمبدأ الحشد ، حتى تكون الضربة ذات قيمة ، بل بقيت القوات فى مناطق حشد بالقرب من النطاق المخصص لها ، تحاول إخفاء وجودها ووقاية نفسها !! .

أليس هذا (التهويش) والتهريج أدل على الاتهام بالعمالة للأخطبوط الصهيونى ؟! .

و إلا فبِمَ تفسر عقد مؤتمر عسكرى سياسى فى ٢ يونيه ١٩٦٧ ، يصرح فيه الزعيم الخطير أن إسرائيل لو قررت القيام بعمليات هجومية فلن يتأخر قيامها بهذه العمليات عن يومين أو ثلاثة ، وأن إسرائيل ستبدأ بضربة جوية ضد قواتنا الجوية ودفاعنا الجوى ، حتى يتم شلّها وإخراجها من المعركة ، وفى هذا الوقت كان (الرئيس يعلم من مصدر أمريكى أن إسرائيل ستضرب خلال ٢٤ أو ٤٨ ساعة) ، كما قرر شمس بدران أمام محكمة عسكرية يرأسها نائب رئيس الجمهورية ، ومع هذا يقول الزعيم الأوحد للعسكريين : استعدوا لتلقى هذه الضربة !! .

وحين يقول قائد القوات الجوية : إن تحول استراتيجيتنا العسكرية من الهجوم إلى الدفاع سيؤثر تأثيرا كبيرا على موقف القوات الجوية ، وعلى معنوياتها — يرد سيادة الزعيم : يجب خضوع العسكريين الكامل للقرارات السياسية للدولة .

أليست هذه قمة الملهاة الكئيبة على مسرح بيزنطى ؟! .

وإلا فماذا حدث عندما بدأت الطائرات الإسرائيلية طلعاتها ، وأسرعت القيادة الأردنية — وعلى رأسها الفريق أول عبد المنعم رياض وعدد من الضباط المصريين — بإبلاغ هذه المعلومات لاسلكيا إلى كل من القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية ، وإلى قيادة قواتها الجوية ، وقد كان من الممكن أن تكون هذه البرقية نقطة تحول لصالحنا فى تاريخ المعركة ؟! لقد كان الإهمال من ناحية ، وعدم أخذ الأمور بالجدية اللازمة مما ضيّع علينا فرصا ثمينة !! .

أليس أمعن فى السخرية الباكية أن يطير القائد العام للقوات المسلحة فى هذا الوقت (بالذات) ويطلب من قادة الجيوش والفروع أن يلتقوا بذاته المصون على أرض (سيناء) ، بينما الطائرات المهاجمة تقصف مطاراتنا ، فلا تملك قوات الدفاع الجوى أن تطلق صواريخها خشية أن تصاب طائرة القائد العام ، وطائرات بقية القادة الذين يدورون فى فلكه ، وحين يطمئن السيد الرئيس على سلامة بطله صاحب المزاج (العامر) يأمر بانسحاب

القوات المصرية من سيناء ، معلنا الهزيمة قبل أن تحدث ، ولم يصل هذا القرار إلى رئيس الأركان إلا مصادفة ، لأن القرار صدر شفويا (!!) .

وقد كلفنا هذا القرار المشئوم أضعاف ما كان يحتمل أن يصيبنا من خسائر لو قاتلنا المعركة الدفاعية بثبات وتروٍّ ، أو لو قمنا بعملية الانسحاب كوحدات وتشكيلات منظمة تأتمر بأوامر القادة ، وتنفذ التعليمات بطريقة عسكرية صحيحة .

وكانت النتيجة أن فقدنا الآلاف من أبناء القوات المسلحة ، وكلهم فى عمر الزهور ، قدموا حياتهم دون مقابل ، رخيصة بلا هدف ، وفقدنا أكثر الأسلحة والذخيرة التى أنفقنا فى شرائها حصاد عشر سنوات ، سليمة لم تمس ، لتكون علامة خزى وعار فى جميع وسائل الإعلام العالمية ، مقروءة ومسموعة ومرئية .

وللأسف الشديد منحتنا الطبيعة فى سيناء مضيقا مثاليا للدفاع على المحور الجنوبى هو (ممر متلا) ، ومضيقين مناسبين عند الختمية ورمانة ، على المحورين الأوسط والشمالى ، ومع هذا كان الانسحاب إلى غرب قناة السويس ، دون أن نعير هذه المضائق التفاتا !! .

☐ و (على عينك يا تاجر) أو يا ناصر ، حدثت هذه المهازل بمشاركة المخابرات السوفيتية بالمعلومات المزيفة والحكومة الأمريكية التى استدرجت (المستدرجين) إلى مباحثات تجرى فى واشنطن (ترضى كل الأطراف) !! .

كل هذا ، وكان الوضع السياسى والاستراتيجى للدول العربية التى اشتركت فى الحرب من أفضل الأوضاع المؤهلة للنصر ، إذ كانت القوات العربية تحيط بإسرائيل من كل جانب ، خاضعة لقيادة مشتركة ، وتتميز مرتفعات الجولان بالتحكم الكامل فى الأراضى الإسرائيلية التى تواجهها ، كما تقترب الأرض اللبنانية قربا شديدا من أعلى مواقع إسرائيل وأكثر مناطقها كثافة سكانية ، وأنشطها صناعة ، وأكبرها ثروة ، وتكاد الأرض الأردنية تشطر إسرائيل إلى شطرين ، بحيث يتعامل مع كل شطر على حدة ، فما بين الأرض الأردنية والبحر ٤٠ كم فقط ، وكان يمكن التحكم فى مضيق العقبة عن طريق شرم الشيخ وجزيرة تيران المصرية ، وكان الشارع العربى فى قمة الوعى بالقضية ، والحماسة للحرب .

لكن ـ كما رأينا من الإعداد (المشبوه) وسرعة الانسحاب غير المنظم ، وكما سنرى من إعلان سقوط القنيطرة السورية قبل أن تسقط ، وترك الجيشين السورى والمصرى أسلحتهما على أرض الانسحاب ـ يبدو أن الأوراق لم تختلط إلا على الضحايا ، أما الجزارون فكانوا يعلمون (مسبقا) كل الأبعاد ، وبين أيديهم كانت الرسوم التصميمية والإنشائية للهزيمة .

وإلا فلم جرت الاعتقالات والمحاكمات الصورية لجماعة من الضباط جرءوا على الحديث فى عوامل الهزيمة ؟ ولم كان مقتل الفريق أول عبد المنعم رياض بتدبير مصرى ، إذ ظلت (جبهة مصرية) تذيع تحركاته على الجبهة ، والمواقع التى يزورها ، حتى أصيب من قنبلة إسرائيلية ، وحين نقلته عربة إسعاف للعلاج ظلت هذه الجبهة تذيع حركة عربة الإسعاف ، ثم لما قضى رأى الرئيس أن يذيع خبر موته على أنه حادث سيارة ، فلما أذاعت لندن الخبر بتفاصيله عدل السيد الرئيس عن رأيه ؟! .

وإذا كان الزعيم الأوحد عدو أمريكا رقم واحد ، فكيف نُفسر علاقته بالمخابرات الأمريكية طوال عهده السعيد ؟ ولم كان قبوله مشروع روجرز للسلام بين العرب وإسرائيل هو ثمرة التضحية بالجيش والسلاح فى غير معركة ؟ وإذا كان الهدف من زيارة السيد زكريا محيى الدين إلى أمريكا الوصول إلى (اتفاق مُرْضٍ لجميع الأطراف) ففيم كان الإقدام على حرب بدون استعداد ، وبطريقة (هجومية) ، تفتقد أدنى مستوى للانضباط ، إلا إذا كانت التضحية بالجيش هى شرط قبول (مشروع روجرز) ، أو الاتفاق المرضى لجميع الأطراف ؟ .

ألا نعود فنقول : إن السيد الزعيم ، شأنه شأن غيره من زعماء المرحلة ، كانوا يلبسون ثيابا من خارج حدود الوطن والدين واللغة والتاريخ ، أى من خارج مفهوم القومية العربية التى حملوا لواءها ، مع أنها من منتجات الجامعة الأمريكية فى بيروت ، كما أن الجامعة العربية من مؤلفات مستر إيدن وزير الخارجية البريطانية فى الأربعينات ؟! .

❑ فى موكب أفراح السلام بعد انتصار ١٩٧٣ سمح للنشاط الماسونى أن يعيد تنظيم صفوفه وينشر ألويته فى ربوع مصر (المنتصرة) ، وبفضل الزعيم الداعى إلى بناء مجمع الأديان فى سيناء اشترك كبار رجالات مصر فى المحافل الماسونية (اقرأ سجلا بأسماء المشتركين فى كتاب الماسونية فى المنطقة ٢٤٥ – الزهراء للإعلام) .

وصارت المحافل تعقد تحت رعاية السيد الرئيس وسيدة مصر الأولى .

وفى ١٩٧٨/٤/٦ أناب السيد الرئيس ممدوح سالم رئيس الوزراء فى افتتاح حفل خاص بنادى روتارى الإسكندرية ، وفى ٢١ / ٢ / ١٩٨٠ ألقى الدكتور محمد فؤاد حلمى محافظ الإسكندرية كلمة السيد الرئيس فى حفل النادى المذكور باليوبيل الذهبى ، وباليوبيل الماسى للروتارى الدولى ، جاء فيها :

(إننى أقدر مبادئ الروتارى ومثله العليا ، وأعتز كل الاعتزاز بما يدعو إليه ، من تمسك كل عضو من أعضائه بمبدأ مثالية الخدمة فى حياته الشخصية .

إن مرحلة السلام وإعادة البناء التى نمر بها الآن تفرض علينا تحديات كبيرة ، تحتاج إلى تضافر كل الخبرات والكفاءات العلمية والفنية فى بلادنا لمواجهتها ، وأرى لأنديتكم التى تسعى إلى خدمة مجتمعاتها بمن تضمهم من صفوة رجال الأعمال والمهن دورا رائدا فى هذا المجال) .

وغاب عن صاحب (مجمع الأديان) المرسوم الصادر عن المجلس الأعلى المقدس (الفاتيكان) فى ١٩٥٠/١٢/٢ :

(دفاعا عن العقيدة ، وعن الفضيلة ، لا يسمح لرجال الدين بالانتساب إلى الهيئة المسماة بنادى الروتارى ، أو الاشتراك فى اجتماعاتها .. وعلى غير رجال الدين كذلك أن يراعوا المرسوم رقم ٦٨٤ الخاص بالجمعيات السرية المحرمة والمشتبه بها) .

كما غابت عن رجل (العلم والإيمان) فتوى المجمع الفقهى الذى انعقد بمكة المكرمة فى ١٩٧٨/٧/١٥ :

(يقرر المجمع الفقهى اعتبار الماسونية من أخطر المنظمات الهدامة على الإسلام والمسلمين ، وأن من ينتسب إليها – على علم بحقيقتها وأهدافها ـ فهو كافر بالإسلام ، مُجانب لأهله) .

❑ أما قبل أن نمسك بأذيال الدول العربية الأخرى ، فلابد أن نعلم جيدا أن العناتر والأشاوس والمناشم والفوارس والهلالية اتخذت من هذه الدول منابت ومزارع وحضانات ، لهذا اكتفيت بالإشارة إلى ما جرى على أرضها ، قانعا بما يقال عن أن مصر (قلب الأمة النابض) ، وأن أعداء الأمة يعرفون أن الإحاطة بمصر إحاطة بالمقدرات العربية جميعا .

٢ ـ فى سوريا ..

سلم حافظ الأسد ـ وزير الدفاع أثناء المعركة ـ ١٩٦٧ ـ هضبة الجولان لإسرائيل ، من غير قتال ، مع أن المعركة بدأت بسبب حشود إسرائيلية (مزعومة) على حدود سوريا ، فكان الأجدر بزعيم (البعث العربى) أن يتهيأ للدفاع عن أرض هو وزير الدفاع عنها ، لكن الرجل كان ينافس القيادة المصرية فى سرعة الانسحاب ، كما كان (حزب البعث) ينافس

(الاتحـاد الاشتراكى العربى) فى زعـامة القومية العربية ، ومن هنا أعلن سليل (الدفاع الجوى) سقـوط (القنيطرة) ، ذات الموقع الاستراتيجى الهـام ، قبل أن تصلها القـوات الإسرائيلية ، لتصبح (دمشق) تحت سيطرة الطيران ، بل المدفعية الإسرائيلية !! .

وكوفئ (بطل الانسحاب) برئاسة جمهورية سوريا ــ بعد تصفية مجموعة (صلاح جديد) ، مع أن (بطل الإنسحاب) نصيرى بعثى ، والنصيريون طائفـة مجهولة الأصل ، زائفـة العقـيدة ، تستأجـر لكل من يدفع ، ومن قبل كـانوا جـواسيس للتتار ، وعمـلاء للفرنسيـين .

ولأن هذا الرجل صاحب عقيدة (مدخولة) ، شأن منافسه فى مصر ، فقد حمل هو الآخر راية قتل وانتهاك حرمات المسلمين ، إذ أجرى فى حماة مذبحة راح ضحيتها أكثر من أربعين ألفا من مسلمى السنة ، ودكّ من فوقهم البيوت والمتاجر والمدارس والمستشفيات ، وفعل مثل ذلك فى حمص وحلب ومعرة النعمان !! .

ولمـا دخـل لبنـان (بعقد عمل أمريكى) تحت ما سمى (حفظ التـوازن الطائفى فى لبنان) أجرى مذابح (تل الزعتر) ، وتواطأ مع إسرائيل وموارنة لبنان لتصفية المقاومة الفلسطينية ، وتمكين إسرائيل من جنوب لبنان ، ومن خلال هذا (الدور المرسوم) أوقع الفتنة بين صفوف منظمة التحرير الفلسطينية ، وآوى فريقاً يضرب به فريقاً .

وقد نشرت أخبار اليوم (المصرية) فى ٣١ / ١١ / ١٩٩١ أن الحاخام ألبرت حمرا زعيم الطائفة اليهودية السورية قاد مظاهرة يهودية فى دمشق لتأييد انتخاب الرئيس حافظ الأسد لفترة رئاسة رابعة مدتها سبع سنوات ، وأيدت الجريدة الخبر بنشر صورة للمظاهرة ، و (كله يلعب مع كله) على رأى أولاد البلد .

وعلى ذكر أولاد البلد ما زال يتلجلج فى صدورهم موقف الحكومات العربية من أمر (العنصرية الإسرائلية) التى أعلنوها وحشدوا لها فى هيئة الأمم المتحدة فى السبعينات ، ثم أعلنوا وحشدوا لبراءة إسرائيل من (العنصرية) فى التسعينات ، مع أن العنصرية مدونة فى التوراة والتلمود ، وخلال تاريخ أسود رهيب ، ومن داخل إسرائيل نفسها بين الإشكانيزيم والسفـارديم ، أو بين يهود الشمال ويهود الجنوب ، والمذابح التى تحدث على أرض فلسطين كل يوم ، والدمـاء التى لا تجف ، غير قـادرة على أن تطرف عينـا لهـذه الحكومـات ، عَجَبى !! .

٣ ـ فى السودان ..

تقلب نميرى فى الولاءات المختلفة المنسقة بين روسيا وأمريكا ، مع بعض اللمسات البريطانية ، وتحت إشراف الزعيم الأوحد عبد الناصر أباد نميرى نحو خمسة وعشرين ألفا من المسلمين فى جزيرة (أبا) .

ثم أعلن عن وجه إسلامى مشوّه ، بغّض إلى الرأى العام العربى والعالمى إمكانية التطبيق الإسلامى ، فى الوقت الذى أخذت فيه (الصحوة الإسلامية) تدق أبوابا كثيرة ، كأنه يهدف إلى إجهاض هذه الصحوة من خلال إعلان فشل التطبيق ، كما فعل من قبله ضياء الحق فى باكستان وآية الله الخومينى فى إيران .

وسعى إلى دفن النفايات الذرية فى الصحراء السودانية ، وهذا أخطر من أن يؤجِّر الرجل بيته لفعل الفاحشة .

كما سعى إلى تهريب ونقل يهود (الفلاشا) الأثيوبيين إلى إسرائيل ، ليحلّوا محل أصحاب الأرض العرب (المسلمين) !! .

ولما ثار عليه الشعب السودانى وجد مرفأ الأمان فى أرض (العروبة والإسلام) ، ولما استرد أنفاسه ، جعل ينفق من الأموال المنهوبة من الشعب المنكوب ليستعيد العرش السليب ، ويعلن من حين لآخر أنه راجع عن قريب !! .

٤ ـ فى العراق ..

حصلت الجمعية الصهيونية بالعراق سنة ١٩٢١ على اعتراف قانونى بها ، من حكومة الانتداب البريطانى وأسّس أهارون ساسون سنة ١٩١٩ فى بغداد (اللجنة الصهيونية) التى صارت لها ١٦ فرعا فى المدن العراقية ، وقامت بتنظيم جماعات شبابية لإعداد المهاجرين ، كما قامت بطبع عدة نشرات شهرية بالعبرية والعربية ، وأسست مكتبة صهيونية ، واعتدت على بعض المعابد اليهودية لحمل اليهود على الهجرة .

وفى سنة ١٩٤٢ تأسست (حركة الرواد البابليين) وأخذت فى تعليم الشباب اليهودى كيفية استخدام الأسلحة النارية ، وتصنيع المتفجرات ، وكونت جهازاً خطيراً له أسلحته ومجندوه ، وفى سنة ١٩٥٠ ألقت شحنة متفجرات على مقهى يرتاده مثقفون يهود ، لحملهم على الهجرة ، كما ألقت قنابل على المركز الإعلامى الأمريكى ، وعلى معبد (ماسودا سيمتوف) .

كل هـذا كان يجـرى تحت الرعـاية البريطانيـة ، ثـم تحت رعايـة الوصى على عـرش العـراق ، بعـد مقتـل الملك (غـازى) الذى شيم فيـه الخير ، وتحت رعاية التكوين العدوانى العتيد (نورى السعيد) .

ولما استقلت البلاد وسقطت تحت الأضواء الناصرية (السوداء) ، خضعت - كما حدث فى مصر - للتوجيـه السوفييتى ، كما يحدث للتلاميذ الذين تكفلهم الحضانة الإنجليزية ، فالابتدائية الأمريكية ، فالإعدادية السوفييتية ، ثم الثانوية الصهيونية ، فالجامعة الماسـونيـة .

يقول مورو بيرجر : (خلال عام ١٩٥٧ ، وبالأخص فى صيف ١٩٥٨ ، أعلنت الكتلة السوفييتية الأهداف القومية فى مشكلتى لبنان والعراق ، ثم ازدهرت العلاقات الثقافية والأيديولوجية أيضاً بين الكتلة السوفييتيـة والدول العربيـة المتقدمة ، وهى مصر وسـوريا والعراق ، فقد ذهب مئات الشباب العربى لدراسة العلوم والتكنولوجيا فى الاتحاد السوفييتى وشرق أوربا ، ثم تدفق على مصر وسوريـا والعراق عدد لاحصر له من البعثات الثقـافية والراقصين والمغنين والممثلين ، وأغرقت المكتبات وأكشاك الصحف فى مصر وسوريا والعراق بالأدب الروسى وبأعمال مـاركس الكلاسيكية ، والدعاية الشيوعية ، بل إنها فازت بحصة الأسـد فوق أرصفة الشـوارع ، ولدى باعـة الكتب والمجـلات والصحف ، ثم امتلأت صحف هذه البـلاد بعبـارات الاشتراكية والشيوعية ، والواقعية الاشتراكية ، وجميع المترادفات الشيوعية الثقافية والأيديولوجية ، عندما حـج مئات المثقفين إلى مـكة الجـديدة فى روسيـا والصين وشرقى أوربا) .

ولم يتحدث بيرجر عن آلاف الخبراء العسكريين وأسرهم الذين زحموا شوارع القاهرة وبغداد ودمشق ، وكان فيهم يهود كثيرون جاءوا يدربون العرب على حرب اليهود (!!) ، وكما حدث فى أيام أحمس ورمسيس ومنفتاح أن سرق اليهود ذهب المصريين قبل (الخروج) فقد تكررت هذه المأسـاة فى إطار المدّ الاشتراكى .

وفى حجر الاشتراكية البعثية تربى صدام حسين الذى أدى أخطر الأدوار فى حرب الثمانى السنوات مع إيران حتى أهلك الحرث والنسل فى البلدين (المسلمين) ، واستنزف أموال بترول الخليج ، ثم أشعل النار فى بنزين الكويت وفى ثياب الشيعة والأكراد ، ووقف تحت أربعين مترا من سطح الأرض يعلن انتصاره على العالم !! .

٥ ـ فى ليبيـا ..

بدأ القـذافى ثورته التى خططت لهـا المخابرات الأمريكية ، وأيدتهـا موسكو ، وتبنتهـا الناصرية ـ بإنكار (السنة) التى هى المصدر الثانى للتشريع ، أو التى هى مصدر التشريع ، إذ إنها تتضمن الأحكام القـرآنية لأن دورهـا تفصيل المجمل ، وتوضيح المبهـم ، وتطبيق المحكم ، لكن (ابن عبد الناصر) الوفى أبى إلا أن يتجاوز الدور الذى خطه (والده) ، فاتخذ من (الكتاب الأخضر) الذى (صنّفه) مع مستشاريه ، ثم نزل عليه الوحى – بعد ذلك بما فيه – كتابا مقدسـا ، يجب على العـالم كله أن يأخـذ به ، ليتحقـق الأمن والسـلام والرخـاء .

ونجح الرجل فى أن يقوم بدور (أتاتورك) فهدد علماء المسلمين بإجراءات مشابهة لإجراءات (أتاتورك) ، وقال : (إن أتاتورك كان مضطرا لاتخاذ تللك الإجراءات ، ليواجه بها الرجعية الدينية) .

ثم أخذ ينشد الوحدة مع أى بلد عربى فلم يفلح ، ومع أى بلد إسلامى فلم يفلح ، ومع أى بلـد من أى لون وجنـس ، حتى مع جـزر ترنيـداد ، ومع مالطة ، ولم يفلـح .

كـان يريد شـراء الوحـدة بأى ثمن ، حتى يمكن أن يجد سوقـا جديدة للكتاب الأخضر ، وكان يدفع الثمن مقدما .

وحدث أن أعلن قيادته لتحرير فلسطين ، فطلب أن يكون قائد الجيش المصرى مقابل شراء ديون مصر الخارجية ، ولما بدأت طلائع النصر فى حرب ١٩٧٣ طلب سحب طائراته التى أمد بها الجيش المصرى ، وهاجم العمليات الحربية ، كما هاجم بعد ذلك المحاولات السلمية ، وما يزال إلى اليوم يحمل راية المعارضة لأى توجه عربى أو إسلامى ، فكأن الدور الذى رسم له « إن تحمل عليه يلهج ، أو تتركه يلهج » !! .

٦ ـ فى تونـس ..

حصل (اتحاد تونس الصهيونى) على الاعتراف القانونى من السلطات الفرنسية سنة ١٩٢٢ ، وفى نفس العام قام الصهـاينة التونسيون بتنظيم حـركـة احتجاج على الثورة الفلسطينية ، وطبع الاتحاد الصهيونى منشورات باللغة العربية ، تم توزيعها على النوادى الصهيونية فى جميع أنحاء العالم العربى .

ولما تم استقلال تونس ، وأصبح الحبيب بورقيبة راعى المصالح الفرنسية فيها ، جعل كل همه التهجم على الإسلام والمسلمين ، باسم العلمانية والمعاصرة ، لدرجة أنه أباح الفطر للعاملين فى رمضان ، وكان لسان (السلام) الإسرائيلى ، المندد بنزعات الجهاد ، طوال حكمه ، حتى إذا تم عزله كان قد غرس فى نفوس الحاكمين التونسيين الكراهية للتوجهات الإسلامية ، بحسبانها عوامل إعاقة لمسيرة الارتقاء التونسية (!!) أو لاعتبارات أخرى تقتضيها طبيعة مرحلة ما بعد بورقيبة !! .

٧ - فى الجـزائر ...

نظمت اللجان الصهيونية فى الجزائر حملات لتجنيد المهاجرين (المستوطنين) فلسطين ، وأقيم معسكر فى الخمسينات لاستقبال المهاجرين .

وبعد العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ - وكان من أسبابه معاقبة مصر على تأييد ثوار الجزائر - احتفل يهود الجزائر بالذكرى العاشرة لقيام إسرائيل ، كما احتفلوا سنة ١٩٦٠ بذكرى ميلاد هرتزل .

ولما تم استقـلال الجـزائر ، كان أول عمل قـامت به حكومـة (بن بلاّ) ـ ربيب عبد الناصر ـ حل (جبهة العلماء) ، تلك الجبهة التى حملت راية الجهاد طوال الاحتلال الفرنسى ، من قبل أن يولد بن بلاّ .

وكان آخـر ما قـرأه بومدين ـ خريج الأزهر ورئيس دولة الجزائر ، بينما هو فى فراش الموت رسـائل اليهودى التلمودى هنرى كورييل ، مؤسس الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى (حدتو) ـ فى مصر ، تلك التى كان عبد الناصر يعمل تحت لوائها باسم (موريس) .

وفى تصريح شـاذلى بن جديد لمندوب إذاعـة صوت أمريكا يوم ١٢ أبريل ١٩٨٥ ، قـال :

(إن الأصولية الإسلامية ليست مطروحة الآن فى الجزائر) .

مع أن هذه الأصولية الإسلامية ـ حين سمح بتعدد الأحزاب ـ حصلت على الأغلبية المطلقة فى انتخابات الحكم المحلى سنة ١٩٩١ ، وتم اعتقال زعمائها ، وفى يوم الخميس ٢٦ ديسمبر ١٩٩١ حققت الجبهة الإسلامية للإنقاذ أغلبية باهرة فى الانتخابات النيابية ، وسرعان ما حدث انقلاب على (الديمقراطية الإسلامية) حتى لا تنتشر العدوى !! .

ألا تذكرنا هذه النتيجة بتصريح (بوجو) سكرتير الحاكم الفرنسى للجزائر ، وقد وقف على منبر مسجد (القصبة) - الحى الشعبى ـ ليقول : (إن آخر أيام الإسلام قد دنت ،

وفى خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح) ؟! ألا يكون ثمة علاقة بين هذا التصريح وبين الانقلاب الأخير ؟! .

ألا نذكر (وهـم) أتاتورك ، و(وهـم) لينين ، و (وهـم) ترومان ، و (وهـم) أنور خوجة ، وغيرهم من شياطين الإنس كثيرون بأن فى وسع المطامع (الشخصية) الممثلة فى القوانين (الوضعية) أن تسيطر على القوانين السماوية ؟! .

٨ ـ فى المغـرب ...

قام الشباب اليهودى بمظاهرة ارتدوا أثناءها قبعات بيضاء محلاة بنجمة داود الزرقاء ، ورددوا هتافات ضد الرئيس عبد الناصر خلال زيارته المغرب .

وما يزال اليهـود فى المغرب قوة عاملة فى توجيـه الاقتصاد ، وفى توجيه السياسة والثقافة ، وما يزال (مولانا) الحاكم المغربى يدين بالولاء لتمثال (الحرية) الواقف على ساحل بحر الظلمات (الأطلنطى) ، حيث يظل على اتصال دائم بالرباط والدار البيضاء ، على الساحل الآخر .

نشرت الأهرام فى ١٩٨٤/١٠/١١ عن وكالة أنباء رويتر أن الملك الحسن منح (ديڤيد آمار) رئيس مجلس الطوائف اليهودية وسام العرش ، خلال الاحتفال بعيد ميلاد الملك الخامس والخمسين .

والجدير بالذكر أن (آمار) تولى فى مايو الماضى تنظيم مؤتمر للطوائف اليهودية المغربية عقد فى الرباط ، واشترك فيه ٣٨ إسرائيليا ، فيهم عدد من أعضاء الكنيست الإسرائيلى .

تعليـق ..

ليس الهدف من هذه السياحة القصيرة رصد النشاط اليهودى فى العالم ، لأن المصادر تعوزنا ، ثم إن أخطر أدوار الماسونية العالمية يجرى فى الخفاء ، ويموّه بمختلف الألوان ، وإنما الهدف هو مجرد الإشارة إلى الانتشار السرطانى الذى يزداد كل يوم **﴿ وهم من كل حدَب ينسلون ﴾** ، حتى يكاد (يوهم) بقدرته على التحكم فى صمام الحياة ، وحتى يكاد يوحى بأنه (الإله) القادر على الإحياء والإماتة ، كما تقول النصوص التراثية .. ومن ثم فإن التعرف إلى (يأجوج ومأجوج) يمكن أن ينحو هذا المنحى ، ويكون أقرب إلى (المعقول) ، لا إلى (المنقول) !! .

المهدى المنتظر

الكيسانية

العباسية

القرامطة

الفاطمية

(١)

بدايـــة ..

لاحظ الشيخ الذهبى أن الآيتين ١٣ و ١٤ من سورة المائدة تُدينان اليهود والنصارى بالكيد للإسلام .

وقدم دليلا على مكائدهم أن فتنة (خلق القرآن) التى اشتعلت خلال حكم ثلاثة خلفـاء عباسيين ، فأكلت أهـل السنـة ، ثم تحولت لتأكل المعتزلة ـ إنما كانت صناعة يهوديـة .

ذكر ابن الأثير فى تاريخه ، عن أحمد بن أبى دؤاد ، (أنه كان داعية إلى القول بخلق القرآن وغيره من مذاهب المعتزلة ، وأنه أخذ ذلك عن بشر المريسى ، وأخذه بشر عن الجهم بن صفوان ، وأخذهُ جهم عن الجعْد بن درهم ، وأخذه الجعد عن أبان بن سمعان ، وأخذه أبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم وختنه ، وأخذه طالوت عن لبيد بن الأعصم الذى سحر النبى ، ﷺ ، وكان لبيد يقول بخلق القرآن) ـ عن الكامل ٢٦/٧ ط الأميرية .

ومع هـذا لم يتنبه أحـد من (المعتزلة) الذين حملوا راية الحرية العقلية إلى هذه المكيدة ، وغرهم ما أتاح لهم الخلفاء الثلاثة ـ المأمون والمعتصم والواثق ـ من سلطان ، فعاثوا فى العقول والقلوب فسادا ، وقدموا الشيخ المهيب أحمد بن حنبل على مذبح اليهود !!

وذكر أبو منصور البغـدادى (أن عقيدة السبئيـة فى أن عليا ـ كرم الله وجهـه ـ لم يقتل ، ولكنه رفع إلى السمـاء ، كما رفع ابن مريم ـ ضلالة ، فرّخها فى الأصل عقـل عبد الله بن سبأ اليهودى ، ثم نشرها ، وروّج لها بين أصحابه ، فزعم أن المقتول صورة علىّ وأن عليا صعد إلى السماء ، كما صعد إليها عيسى بن مريم ، عليه السلام ، وقال : كما كذبت اليهود والنصارى فى دعواها قتل عيسى ، كذلك كذبت النواصب والخوارج فى دعواها قتل علىّ ، وإنما رأت اليهود والنصارى شخصا مصلوبا شبهوه بعيسى ، كذلك القائلون بقتل علىّ ، رأوا قتيلا يشبه عليا ، فظنوا أنه على ، وعلى قد صعد إلى السماء ، وأنه سينزل إلى الدنيا وينتقم من أعدائه) ـ الفرق بين الفرق ص ٢٢٤/٢٢٣ دار المعارف .

وبما أن الأصل (السبئى) هـو الجـذر الذى أنبت فروع (المهدية) ، التى بـدأت (بالكيسانية) ، ووصلت إلى (السنوسية) ، خلال أكثر من ألف وثلاثمائة عام ، وما تزال

فى معتقد (الجعفرية) و (الإسماعيلية) ، إلى آخر الزمان ـ فإن الشيخ الذهبى يؤيدهم ، وكذلك الشيخ أبو شهبة ، وغيرهم من العلماء الأفذاذ الذين يحملون من الروايات والكتب أثقالا وأثقالا مع أثقالهم .

وهذا الشيخ السيوطى ـ صاحب المؤلفات الكثيرة فى التفسير وعلوم القرآن والتاريخ والآداب ـ ينقل عن رسول الله (ﷺ) : (إنما سمى بالمهدى ، لأنه يهدى إلى جبل من جبال الشام ، ويستخرج منه أسفار التوراة ، يحاجّ بها اليهود) .

ونسى الشيخ السيوطى أن القرآن شهد بأنهم حرفوا الكلم عن مواضعه ، وأنهم اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا ، وأن التاريخ ونصَّ الكتاب المقدس ودراسات جمع غفير من اليهود والمسيحيين تؤكد (صناعة) الحاخامات للتوراة فى أسر بابل .

وينقل أحمد والحاكم والديلمى عن رسول الله (ﷺ) : إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قِبَلِ خراسان فأتوها ، فإن فيها خليفة الله المهدى) .

وهذا نص صريح فى أنه أبو مسلم الخراسانى الذى جاء بالرايات السود ، وأقام دولة العباسيين ، ثم قتله المنصور ، لأنه **﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾** !! .

ويلاحظ أن البرزنجى والقرطبى والسيوطى أجمعوا على أنه سيأتى من (المغرب الأقصى) . تحت رايات الفاطميين !! .

أى أن التاريخ حفل بألوان من (المفتريات) لم تُنْخَلْ ، ولم تناقَش ، مع أن الصناعة واضحة فيها ، وقوبلت بالتسليم (الساذج) الذى كان بداية التدهور الفكرى فى الحياة الإسلامية .

ثم إن فكرة (المهدى المنتظر) بصورة عامة ذات جذر يهودى يعود إلى أسر بابل أو قبله ، فكان الحلم متعلقاً بمن يخلص بنى إسرائيل من الأسر أو من ألوان العذاب التى حاقت بهم ، خلال تاريخ طويل ، فكان المسيّا أو الماشيح أو المخلّص المنقذ هو الحلم الذى يلتمع من حين لآخر بين الغيوم ، حتى إذا سعى قورش إلى فك أسرهم وإعادتهم إلى أورشليم وبناء الهيكل قالوا : إنه الماشيح (المهدى المنتظر) .

وقد ظل هذا الماشيح يأخذ طريقه إلى الظهور كلما اشتدت بهم الظلمات ، وعظمت المحن .

وفى ظل التاريخ الإسلامى ظهر عدد من الأدعياء اليهود الذين أعانوا دون شك على تعميق وتجسد فكرة المهدى المنتظر فى وجدان (العلويين) بخاصة ، لأنهم هم الذين اضطهدوا وعذبوا وطوردوا خلال حكم الأمويين والعباسيين .

فى سنة ٧٢٠م أعلن شيريم Sereme ـ وهو يهودى سورى ـ أنه المنقذ المنتظر ، وسير حملة لانتزاع فلسطين من المسلمين ، وغادر اليهود مواطنهم فى بابل وأسبانيا ليشتركوا فى هذه المغامرة ، لكن القائم بها أسره ، وعرضه الخليفة يزيد الثانى على الجماهير على أنه مهرج دجال ، ثم أمر به فقتل .

وبعد بضع سنين تزعم عويديا بن عيسى بن إسحق الأصفهانى ثورة أخرى ، امتشق فيها عشرة آلاف يهودى الحسام ، واستبسلوا فى الحرب بقيادته ، لكنهم هزموا ، وقتل عويديا ، وعوقب جميع يهود أصفهان لانضمامهم إليه .

وفى سنة ١١٦٠ أثار دافيد الرؤى يهود العراق ، إذ نادى فيهم أنه المسيح المنتظر ، وأنه سيعود بهم إلى أورشليم ، ويرد إليهم حريتهم ، لكن حماه خشى أن يحيق الهلاك باليهود ، بسبب هذه الأفكار ، فما كان منه إلا أن ذبحه وهو نائم .

وفى سنة ١٢٢٥ ظهر مسيح آخر فى جنوبى جزيرة العرب ، وأثار اليهود إثارة حمقاء ، فكتب ابن ميمون (رسالة إلى أهل الجنوب) فنّد فيها مزاعم هذا الدعى ، وذكر اليهود العرب بما أعقب هذه المحاولات الطائشة من خراب ودمار .

وانتقلت فكرة الماشيح أو (عودة المسيح) إلى المسيحية ، فكان (الحلم) أن يعود السيد المسيح ليحكم ألف عام تسود فيها السعادة والأمن والسلام والمحبة ، قبل أن تقوم الساعة ، وقد لعبت هذه الفكرة دورا خطيرا فى تحالف مع (الصهيونية) تارة ، وفى عداء معها تارة .

(٢)

فى كتيب للأستاذ أحمد أمين عن (المهدى والمهدوية) ـ اقرأ ١٩٥١ـ جاء أن المختار ابن أبى عبيد الثقفى الذى بدأ خارجيا ، ثم زبيريا ، ثم شيعيا ، أى كان طموحه (سلطويا) ـ استعان بفرْية عبد الله بن سبأ عن الإمام علىّ بأنه لم يقتل ، وإنما رفع إلى السماء ، كعيسى عليه السلام ، وأنه سيعود ليقيم العدل ، كما سيعود عيسى ، فنسب هذه (الفرية) إلى محمد ابن الحنفية ، وهو ابن الإمام على ، وقال : إنه هو وأصحابه يقيمون فى جبل رضوى ـ على

سبع مراحل من المدينة ـ وأنه هو وأصحابه أحياء يرزقون ، وعنده عينان تجريان عسلا وماء ، وأنه سيعود إلى الدنيـا يملؤها عدلا ، ومن ثم فهو (المهدى المنتظر) ، على مثال ما لدى اليهود باسم الماشيح أو الماسيّا أو المخلّص .

وفى هذا يقول شـاعر الشيعـة :

وسبط لايذوق الموت حتى يقود الخيل يقدمها اللواءُ
تغـيّب لا يرى فيها زمانًا برضْوى ، عنده عسل وماءُ

وانتقل هـذا المفهوم إلى أبنـاء علىّ من فاطمة الزهـراء ، الـذين شكلوا (حكومـة الظل) ، على رأسهـا إمـام ، يظهـر إذا دعـا الحـال ، يرانا ولا نراه ، (وإذا ظهـر بشـّر بالمهدى ، وادعى أنه مبعوث لملء الأرض عدلا ، بعد أن ملئت جورا) .

والتقط العباسيون هذه (التميمة) ، فاستغل المنصور أثر (المهدى) فى نفوس العامة ، فلقب ابنه (المهدى) ، (ودعا إليه ، على أنه المهدى المنتظر ، ليحيط الخلافة بالسلطان الدنيوى ، والتقديس الدينى ، وجعله ولىّ عهده ، وسمى أم المهدى أم الخلفاء ، تشبها باسم أم المؤمنين ، وسمى بغداد دار السلام ، تشبها باسم الجنة ، وكلف بعض الفقهاء أن يضعوا الأحاديث فى مدح العباسيين ومدح النبى ، ووصفه بصفات تنطبق على ابنه المهدى) .

وتوارث العباسيون هذا الأمر ، ولقبوا أنفسهم بألقاب تبين صلتهم بالله ، كالمعتصم بالله والمتوكل على الله ... إلخ .

وتوارث العلويون الإمامة (المهدية) ، وحصرها (الجعفريون) فى اثنى عشر إماما ، وأخذ الزيدية لهم طريقا ، والإسماعيلية لهم طريقا .

(وتضخمت كلمة « المهدى » فى المغرب ، على يد البرابرة ، فقد ضاقوا ذرعا بظلم الحكام) ، وكان العبيديون الفاطميون .

واتسعت الدعوة باسم المهدى ، حتى شملت القرامطة والحشاشين والبابية والبهائية والقاديانية والسنوسية والمهدوية التعايشية بالسودان .

وقـد حملت هـذه الدعـوة شـروراً كـثيـرة أصـابت الفكر الإسـلامى والمسيـرة الإسلامية بأضرار خطيرة ، حتى إن دعاتها جعلوا للقرآن ظاهرا وباطنا ، وخصوا الأئمة بعلوم الغيب ، وزعموا أن (الإمام عليا ترك كتابا صغيرا فيه ما كان وما يكون) ، وهو ما يسمى

(الجفر) ، وزعموا أن (للحروف أسراراً يمكن أن يفهم منها ميعاد ظهور المهدى) ، كما زعموا أن عثمان بن عفان نقص وزاد فى القرآن ، وأن القرآن (الأصلىّ) فى حوزة الإمام (المختفى) ، وجرؤ شاعرهم ، فقال فى الخليفة الفاطمى :

ما شئتَ ، لا ما شاءتِ الأقدارُ فاحكم ، فأنت الواحد القهارُ

واستباحوا نهب ثروات البلاد والعباد ، وهاجموا المسجد الحرام ، وسلبوا الحجاج وقتلوهم ، ونهبوا الكعبة ، وأخذوا الحجر الأسود !! .

(٣)

اعتمدت (المهدية) على النسب الشريف ، لكن هذا النسب تشترك فيه فروع هاشم جميعا ، بل قد تتسع لقريش كلها ، بدليل أخبار كثيرة تقول : إن الرسول ـ ﷺ ـ قصر الخلافة على قريش .

لكن (الشيعة) وقفوا بالخلافة عند (الوصية) ، والوصية لا تخضع لاختيار الجماعة بل هى أمر إلهى ، عبر عنه رسول الله – ﷺ ـ بقوله لعلى عند (غَدير خم) : (علىّ منى بمنزلة هرون من موسى) ، وقوله : (أنا مدينة العلم وعلىّ بابها) ، وبهذا عُدّ أبو بكر وعمر وعثمان مغتصبين للخلافة ، مارقين من الدين !! .

ثم جاء من مدّ الخلافة إلى أبناء على ، ومن أوقف (الإمامة) على فرع فاطمة الزهراء .

وقد طعن العباسيون فى قصر الإمامة على علىّ وبنيه ، فقد ردّوها إلى (الإرث) ، وفى الإرث (يحجب) أبناء الأعمام أبناء البنات .

ولو أننا أخذنا بالرسائل المتبادلة بين العباسيين والعلويين لوجدنا حُججا دامغة تذهب بالأصل الذى قامت عليه دعوى الطرفين ، ولتبين لنا ـ من خلال منطقهم ـ أن الأمر لا يعدو أن يكون لعبة سياسية جهد كل (الطامحين) ـ عن طريقها ـ فى تضليل الجماهير ، وكسب مشاعرهم الدينية .

والنصوص الدينية (الموثّقة) تؤكد أن أساس التفاضل بين الناس هو (التقوى) ، ليس غير .

نفى الله سبحانه أن يكون (النسب) أساس التفاضل ، وبين هذا الرسول الأمين .

قال تعالى : ﴿ ونادى نوح ربه ، قال رب إن ابنى من أهلى ، وإن وعدك الحق ، وأنت أحكم الحاكمين ، قال يا نوح إنه ليس من أهلك ، إنه عمل غير صالح ، فلا تسألن ما ليس لك به علم ، إنى أعظك أن تكون من الجاهلين ﴾ – هود ٤٥/٤٦ .

وقال جل شأنه : ﴿ وإذ ابتلى إبراهيم ربُّه بكلمات فأتمهن ، قال : إنى جاعلك للناس إماما ، قال ومن ذريتى ، قال لا ينال عهدى الظالمين ﴾ ـ البقرة ١٢٤ .

وقال سبحانه : ﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير ﴾ ـ الحجرات ١٣ .

ومواطن قرآنية كثيرة تبين أن كل إنسان رهين بما كسب ، مسئول عما يفعل ، دون تمييز بين الأجناس ، أو القبائل ، أو الأسر .

ابن نوح أخرجه الله من (أهل) نوح ، بسبب عصيانه ، سواء فُهم (الأهل) بالمعنى العام أو الخاص ، أى بمعنى النسب العرقى أو الدينى .

ولما رغب إبراهيم فى أن تمتاز ذريته بفضل من الله رُدّ ، لأن (الإمامة) ليست إرثا ، بل اكتسابا ، عملا اجتماعيا رشيدا ، لا إثم معه ولا جوْر .

الناس جميعا من (ذكر وأنثى) ، سواء فى التكوين ، لا يتفاضلون إلا بالتقوى ، بالعمل الصالح ، بكسب محبة الآخرين .

وفى هذا يقول الرسول الكريم : (يا فاطمة بنت محمد ، اعملى ، فإنى لا أغنى عنك من الله شيئا) .

(يا صفية عمة محمد ، ويا فاطمة بنت محمد ، استوهبا أنفسكما من الله ، إنى لا أغنى عنكما من الله شيئا) .

(والله ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها) .

نصوص إسلامية كثيرة تؤكد أن الإيمان والعمل الصالح هما (المعيار) ، حتى زوجة نوح وزوجة لوط ، نالتا العقاب الذى تستحقانه ، على حين فازت امرأة فرعون برضوان من الله ، وهذا أبو طالب الذى احتضن ابن أخيه ، وذاد عنه وعن الإسلام ، لأنه فقد فضيلة الإيمان ، فإن عمله الصالح لم يحقّ له الشفاعة ، إن الجرائم التى ارتكبها العباسيون ضد الفاطميين ، والجرائم التى ارتكبها الفاطميون ضد العباسيين ، لا يمكن أن تكون فى شرف النسب .

لكن ثمة من يقول : لقـد قـال رسـول الله يوم حنين : (أنـا النبى لا كـذب ، أنا ابن عبد المطلب) ، فاعتز بنسبه ، مع أن الموقف لم يكن موقف نفـار بالأنسـاب ، إنما كان قراعا بالسيوف ، من أجل أن تكون كلمة الله هى العليا .. ولما كان لعبد المطلب موقف تعرفه العرب من جيش أبرهة ، وكان نصر الله بحجارة من سجيل ، جعلت الجيش المؤيد بالفيلة كعصف مأكول ، حماية لبيت الله المحرم ، فإن الرسول العظيم أراد أن يذكّر الفارين والرماة من ثقيف وخزاعة بأن النصر لا يتوقف على الكثرة العددية ، ولا على الأسلحة المادية ، بل على مشيئة الله ، والله ناصر (نبيّه) لا محالة ، وإن تخلى عنه الجميع ، كما سبق أن نصر (بيته) يوم خرج أهل مكة إلى الجبال فارين ، وتركوا أمر البيت بين قوة أبرهة ، وإرادة الله .

إننا حقـا نحفظ سلسلة نسب الرسـول إلى إسـماعيل ، لا على أساس إعظام هذه السلسلة ، وإن كان كل رجالها اشتهروا بالفضل والمروءة وحماية الحمى ، بل لأن (علم الأنسـاب) مرتبط بآداب (قبليـة) ، فكان حفظ نسب الرسول فيما حفظ من أنساب القبائل ، أى لم يكن الأمر مقصوداً لذاته ، بل هى عادة عربية منذ الجاهلية الأولى ، ثم استمرت ، ولعلها ـ كالدراسة التاريخية والأدبية ، وقد كان علم الأنساب يجمع بين التاريخ أحداثا وأفعالا ، كما يجمع بين الخطب والأشعار المرتبطة بالأحداث والأفعال ـ تبثّ فى نفوس الأجيال الجديدة من مكارم الأخلاق ، وتصقل الألسنة والمواهب ، وتحدد المسار الصحيح .

وإذا كنا اليوم نقف بسلسلة النسب أو بشجـرة العـائلة عند المفاخـرة دون المبـادرة ، فـإن هذه الشجـرة لا تزيد عن (طوطم) ، لا يعنى غير تجسيد الوهم ، وغير دفن العقول فى (ضريح) .

صحيح أن الرسول ـ ﷺ ـ قال مامعناه : (اختاروا لنطفكم ، فإن العرق دساس) وهذا يعنى أن ثمة عيوبا فى وراثة النسب ، لكن هذا القـول لا ينصرف إلا إلى الوراثـة القريبة ، أى (البيت) الذى تختار منه الزوجة ، لأنها تنقل عنه صفات وأخلاقيات ، أما النسب البعيد فلا تأثير له على الأجيال الناشئة إلا من خلال حديث الآباء .

وعلى الذين يتعلقون بأسباب (النسب) أن يذكروا ما فعل بنو إسرائيل ، وعليهم أن يرجعوا إلى سلسلة النسب التى صنعُوها (للشعب المختار) حتى آدم عليه السلام فى سفرى (عدد وتثنية) من (الكتاب المقدس) ، وأخيرا وقعوا فى خطيئة نسب السيد المسيح .

وعليهم أن يضعوا فى اعتبارهم أنهم دعاة (عنصرية) ، لأن التميّز الذى ينشدون فى (الـدم الأزرق) ، أو دم الملـوك والأشـراف ، هـو ما قـامت عليه (النازية) ، وعبادة القـوة (النيتشية) فى العنصر الجرمانى .

إن النار قد تخلف رمادا ، وقد ينجب الله من ظهر عبد المطلب أبا لهب ، ومن ثم فالذين يتعلقون بالأنساب ، ولا شىء إلا الأنساب ، مثلهم مثل من ورثوا سبعة آلاف عام حضارة ، وهم يستوردون لقمة الخبز ، وجرعة الدواء ، وإبرة الخياطة !! .

(٤)

فى أعقاب الحرب العالمية الثانية سعت الشعوب لنيل حقوقها فى الاستقلال وفى الحرية والعدالة الاجتماعية ، ونشأ عن هذا فوران داخلى ، وميل إلى التطرف فى النداءات ، والقيام باغتيالات .

وكان على فاروق ملك مصر ــ فى مواجهة حزب الوفد والإخوان المسلمين ومصر الفتاة ــ أن يستعين بأحزاب الدستوريين والسعديين والكتلة ، وأن يشكّل الحرس الحديدى الذى يقوم بتصفية العناصر التى يخشى جانبها ، ولم يكتف بهذا ، فاستعان بمن يدينون له بالولاء أن يجدوا له نسبا (شريفا) فهو ليس أقل من ذوى الأنساب (الشريفة) فى البلاد العربية ، وتبع هذا النسب الشريف الحصول على (كرامة) ، وتحققت (الكرامة) فعلا عن طريق جمل كان يساق إلى المذبح ــ فى قافلة ــ فشرد ، ووجد طريقه إلى (قصر عابدين) ، مستجيرا بسليل (سيد المرسلين) !! .

ومعروف أن فاروقا كان قد ربّى لحيته ــ فى بداية توليه الحكم ــ توطئة للمناداة به خليفة المسلمين ، فلما فاحت رائحته ، وانكشفت علاقته بالراقصات وبأرض الأوقاف وغيرها من الجرائم ــ حلقها ، بحجة (الحساسية) فى جسمه ، أو فى الشعب الذى ابتلى به .

وما فعله فاروق ليس بدعا ، فالأفراد والدول عند المحن ، أو فى حالة الإصابة بلون من المراهقة النفسية والفكرية ــ تلجأ إلى حائط الدين ، تستند إليه ، وتلتمس الحماية والأمن ، وصدق الله سبحانه : **﴿ وإذا مسّ الإنسان ضُرٌّ دعا ربه منيبا إليه ، ثم إذا خوّله نعمة منه نسى ما كان يدعو إليه من قبل ، وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله ، قل تمتع بكفرك قليلا ، إنك من أصحاب النار ﴾** ــ الزمر ٨ .

بعد نكبة ١٩٦٧ نشأ تيار دينى جارف بين ضباط الجيش والشرطة ، وكانت المساجد تغصّ بهم ، وفى أثناء حرب ١٩٧٣ كان نداء (الله أكبر) علما وسيفا ، ونزلت الملائكة تقاتل فى صفوف الجند (!!) فلما كان (الانفتاح الاقتصادى) ركب جميع هؤلاء الموجة ، وافتتحوا مكاتب لاستيراد السلع وتصدير العملة ، وانتفخت الأرصدة فى الخارج ، وتضخمت الكروش والعملة فى الداخل ، وكان الثراء الفاحش والفقر الفاحش ، وأصبح تجار المخدرات والعملة وبقية الموبقات أعضاء متميزين فى المجالس المحلية والتشريعية !! .

إنها أمراض (إنسانية) ، لا تقتصر على الكتابيين : مسلمين ومسيحيين ويهودا ، ولا على البوذيين والبراهمة والكونفشيوسيين ، فكما يقول بعض المفكرين : (لو لم يكن الله موجودا لصنع الإنسان له إلها) ، لأنه فى حالة الشدة يحتاج إلى قوة عليا تعينه وتخلصه وتهديه [(١)] و من هنا كان رجال الدين فى مقدمة أغنياء العالم ، وما ينفق على الأضرحة وعلى دور العبادة يكفى لعلاج أخطر المشكلات .

هذا صدام حسين ـ المعروف لدى جميع العراقيين : سنّة وشيعة وصابئة ، بأن تاريخه الدموى بدأ منذ كان طالبا بالمرحلة الثانوية ـ حين كان يعد لغزو الكويت ، جعل يروّج لنسبه الشريف إلى الرسول ، عن طريق (الحسين) ، إما لأنه كان يريد كسب الشيعة ، وهم أكثرية العراق التى لا تنسى تاريخه الإجرامى فيهم ، أو لأنه كان يتهيأ للنكث بما وعد به الملك الهاشمى من أرض الحجاز ، طمعا فى أن تكون (مكة المكرمة) عاصمة امبراطوريته ، أو لأنه كان يريد أن يجعل غزوه بترول الخليج بوحى من الله ، وبمباركة خالصة من الرسل والأنبياء والملائكة ، وحتى تقف جميع الشعوب العربية والإسلامية من خلفه ، وقد يعلن بعد ذلك خلافته للمسلمين ، أو يعلن أنه (المهدى المنتظر) ، فليس هو بالأقل شأنا من المهديين السابقين .

ويلاحظ أن (نبوءات استراداموس) نشرت ترجمتها دار نشر عراقية ، وروجت صحف عربية لنبوءة منها تقول : إن قائدا عربيا سيغزو أوربا ، ولا تقف أمامه قوة (!!) ، ثم بعد أن

---

(١) والعامة تقول : (اللى يخاف من العفريت يطلع له) والعكس أيضا ، كما جاء فى كتب الصوفية ، ولقد قيل عن نيرون : (أرداً امبراطور عرفته روما ... إن نيرون لم يمت ، لكنه خالد بشره ، وأنه ينتظر فى بارثيا ليجىء مع جيوش البارثيائيين فى قتل ورعب وخراب لم يعرف له نظير) ـ ص ٢٧١ سفر الرؤيا لباركلى ـ وهكذا تخلق الأوهام العفريت ونيرون والمسيخ والمهدى أيضا !! .

حاقت بصدام الهزيمة المنكرة ، تبين أنه كان يدخر كثيرا من الأسلحة المدمرة ، فى أماكن سرية ، ولم يستخدمهـا فى حـرب الكويت التى كانت مجـرد (منـاورة) ، وبالون اختبار لحرب أوسع مـدى ، ولعل هـذا سـر إعـلانه بعـد (المنـاورة) أنه انتصـر (!!) قبل أن تكتشـف مخابئـه السـرية .

والعجب كل العجب أن جميع (التكوينـات) المتطرفة التى تحمل شعـارات إسلاميـة اشتـركت فى (مظاهـرة) صـدام ، دون (تحـفظات) ، وكـأنهـم وقعـوا فى إسـار نبـوءة استرادامـوس .



موقف علوى من الخلافة ..

حين بويع أبو بكر الصديق بالخلافة لم يحتجّ علىّ بحق (الوصاية) ، ولا (الوراثة) ، وما لبث أن بايع شأن بقية المسلمين ، كما بايع لعمر ، ثم لعثمان .

فلما كان أمره مع معاوية ، ومع الخوارج ، لم يحدث أن أشار إلى حق الوصاية أو الوراثة وما كان أحوجه إلى أن يعلن هذا (الحق) ، حتى يجمع شمل المسلمين ، ويحقن دماء كثيرة أريقت ، ونفوسا كثيرة امتلأت مرارة وحنقا ونقمة .

وقد خلا كتاب (نهج البلاغة) الذى جمع فيه نقيب الطالبيين خطب الإمام ورسائله ووصاياه وكلماته من أى إشارة إلى هذا (الحق) .

ولما بويع الحسن بن على من شيعة أبيه ، سرعان ما أدرك أن خير المسلمين فى رأب الصدع ، وجمع الشمل ، ومداواة الجروح ، ومن ثم كان (عام الجماعة) حين مدّ يده إلى معاوية .

وجاء دور الحسين بعد وفاة معاوية ، وتولية يزيد ، فلما علم أهل الكوفة بخروج الحسين إلى مكة ، اجتمعت الشيعة فى منزل سليمان بن صُرد ، وكتبوا إليه يدعونه للقدوم إلى الكوفة ، ووعدوا بطرد الوالى الأموى ، وتتابعت كتب أشراف الكوفة حتى بلغت خمسين كتابا ـ (الأخبار الطوال للدينورى ص ٢٤٣) .

وَهِمَ الحسين أن الأمر هو الجد ، فمال إلى إجابتهم .

قال محمد بن الحنفية : (إن القوم إنما يريدون أن يأكلوا بنا ، ويستطيلوا بنا ، ويستنبطوا دماء الناس ودماءنا) .

وقال ابن عباس : (أتسير إلى قوم قتلوا أميرهم ، وضبطوا بلادهم ، ونفوا عدوهم ؟ فإن كانوا فعلوا ذلك فسِرْ إليهم ، وإن كانوا إنما دعوك إليهم ، وأميرهم عليهم قاهر لهم ، وعمّاله تجبى بلادَهم ، فإنما دعوك إلى الحرب ، ولا آمن عليك أن يغروك ، ويكذبوك ، ويخالفوك ، ويخذلوك ، ويستنفروا إليك ، فيكونوا أشد الناس عليك) .

وقال عمر بن عبد الرحمن بن الحارث : (لقد بلغنى أنك تريد العراق ، وإنى مشفق عليك ، إنك تأتى بلدا فيه عماله وأمراؤه ، ومعهم بيوت الأموال ، وإنما الناس عبيد الدينار

والدرهم ، فلا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره ، ومن أنت أحب إليه ممن يقاتلك معه) ـ الكامل لابن الأثير ـ ٤/ ١٦ .

لم يستجب الحسين لنصيحة ثلاثة من خيرة بنى هاشم ، ومن ألصق الناس به ، وأخوفهم عليه ، ولا ريب فى أن آخرين فعلوا مثل ما فعل هؤلاء الثلاثة ، وأرسل ابن عمه مسلم بن عقيل يستطلع الخبر ، ولم ينتظر حتى يعود إليه بالخبر اليقين ، أو حتى يعلم أن ابن زياد قبض عليه ، وأمر بإلقائه من أعلى قصر الإمارة ، فسقط مضرجا فى دمائه ، فكان (أول قتيل صلبت جثته من بنى هاشم) ـ مروج الذهب ٩/٣ .

وهذا يعنى أن الحسين لم يكن أهلا للقيادة فى غابة السياسة ، ومن ثم سعى بالكرام البررة من عترة رسول الله ـ ﷺ ـ شبانا ونساء وأطفالا ، ومضى بهم على حد سيف عبيد الله ابن زياد ، فكانت (مأساة كربلاء) .

ورفض أخوه محمد بن الحنفية الخروج ، وقال : (إن أحب الأمور إلىّ ما أطيع الله فيه) .. لم يستجب للمختار الثقفى الذى استغل اسم ابن الحنفية ، وكتب كتبا مزيفة ، ليجمع الشيعة من حوله ، كما أصر ابن الحنفية على عدم تأييد ابن الزبير ، ولما ثارت (المدينة) ضد يزيد بن أبى سفيان أبى أن يشترك هو أو أحد أبنائه فى القتال .. ولما أراد يزيد استمالة أحد الهاشميين ، ليؤيد ملكه ، وجد ضالته فى ابن الحنفية ـ رغم معارضة ولديه ـ واستقبله يزيد فى دمشق بالحفاوة والتكريم ، ولما عاد إلى الحجاز مدح يزيد على مسمع من ضحايا مذبحة (الحرّة) ، وعندما اتهم يزيد بشرب الخمر وترك الصلاة ، قال : (ما رأيت فيه ما تذكرون ، وقد حضرته ، وأقمت عنده ، فرأيته مواظبا على الصلاة ، محتميا للخير ، يسأل عن الفقه ، ملازما للسنة) !! .

ثم أوصى عبد الله ـ أبو هاشم ـ ابن محمد بن الحنفية لمحمد بن على بن عبد الله بن عباس (بالأمر) ، فأوصى (من لا يملك لمن لا يستحق) .

وهكذا ، يتبين أن موضوع الإمامة والوصاية والوراثة عن النبى ـ ﷺ ـ إنما هى إفرازات سياسية ، لا صلة لها بالدين ، ولا بنظام الحكم الإسلامى ، الذى قوامه الشورى وصالح المسلمين .



١ - الكيسانية ..

هى دعوة المختار الثقفى ، سميت بهذا الاسم لأسباب (هامشية) ، قد يكون الغرض منها تهوين أمر المختار ، فقيل : إن (كيسان) مولى محمد بن الحنفية ، أو مولى المختار ، وقيل : إن والد المختار قدمه وهو صغير إلى الإمام على ليباركه ، فقال : (كَيِّس ، كَيِّس) ، أى دعا له بالكياسة .

وهـذه الدعـوة يبدأ بها تاريخ المهدى والمهدوية ، مكتوبا بالدمـاء والافتراء والتزييف والغـدْر .

قيل عن (أول داعية) ـ المختار الثقفى ـ (كانت الشيعة تشتمه وتُعَتِّبه ، لما كان منه فى أمر الحسن بن على يوم طعن فى مظلم ساباط) ، ولما نزل الحسن المقصورة البيضاء بالمدائن (كان عم المختار بن أبى عبيد عـاملا على المدائن ، وكان اسمه سعد بن مسعود ، فقـال له المختـار ـ وهـو غـلام شـاب ـ هل لك فى الغنى والشـرف ؟ قـال : وما ذاك ؟ قال : تُوثِق الحسن ، وتستأمن به إلى معاوية ، فقال له سعد : عليك لعنة الله ، أثب على ابن بنت رسول الله ـ ﷺ ـ فأوثقه ؟! بئس الرجل أنت) .

(حتى إذا كان زمن الحسين ، وبعث الحسين مسلم بن عقيل إلى الكوفة ، نزل دار المختـار ، فبايعه المختـار بن أبى عبيد فيمن بايعـه من أهل الكوفة ، وناصحـه ، ودعـا إليه من أطاعه) .

ولما وقع المختـار فى أسـر عبيد الله بن زيـاد ، قـال له : (أنت المقبـل فى الجمـوع لتنصر ابن عقيل ؟ فقـال له : لم أفعل) .. ثم توسط المختـار بزوج أخته صفية ، عبد الله ابن عمر ، إلى يزيـد بن معـاوية ، فأطلق عبيد الله سراحـه ، فخـرج يريد الحجـاز ، وهو يقـول : (والله لأقطعن أنامل عبيد الله بن زياد ، ولأقتلن بالحسين بن على عدد من قتل بدم يحيى ابن زكريا) ـ البداية والنهاية لابن كثير ٢٤٩/٨ .

ولم يتحدث التاريخ أن يحيى الذى رقصت سالومى برأسه قد أخذ له بثأر .

لكن الرجل أراد أن يوهم بمعرفته ، وأن يملأ شدقيـه بقـولٍ يملأ الآذان ، ولا يقع على سنان !! .

ومضى إلى ابن الزبير ، وقال له : (ما تنتظر ؟ ابسط يدك أبايعك ، وثِبْ على الحجاز ، فإن أهل الحجاز كلهم معك) .

وقيل : إنه قال لابن الزبير : (أبايعك على أن لا تقضى الأمور دونى ، وعلى أن أكون أول داخل ، وإذا ظهرت استعنت بى على أفضل عملك) .

وقام المختار فخرج (فلم يُرحَوْلا) ، ولما سأل عنه ابن الزبير ، قال أحدهم : (سمعت نفرا من أهل الطائف جاءوا معتمرين ، يزعمون أنه قدم عليهم الطائف ، وهو يزعم أنه صاحب الغضب ، ومبير الجبارين) ، قال ابن الزبير : (قاتله الله ، لقد انبعث كذاباً متكهناً ، إنّ الله إنْ يهلك الجبارين يكن المختار أحدهم) .

ثم عاد إلى ابن الزبير ، وأقام معه ، حتى هلك يزيد بن معاوية ، فلما لم يستعمله ابن الزبير ، جعل يفكر فى الخروج عليه ، ويبدو أنه أطال التفكير ، فرأى أن يستعين بشخصية دينية ، حتى يجمع الناس من حوله ، فسعى إلى لقاء ابن الحنفية ، وقال : إنى على الشخوص للطلب بدمائكم ، والانتصار لكم ، فأجاب ابن الحنفية : (إنى لأحب أن ينصرنا ربنا ، ويهلك من سفك دماءنا ، ولست بآمر بحرب ، ولا إراقة دم ، فإنه كفى بالله ناصرا ، ولحقّنا آخذا ، وبدمائنا طالبا) ـ أنساب الأشراف للبلاذرى ٥ / ٢١٨ .

وما دام المستعان (علويا) ، فإن الكوفة هى المنطلق .

أجرى اتصالات برجال من أهل الكوفة ـ وهى تبع لابن الزبير ـ فقيل : (هم كغنم ضل راعيها) ، فقال : (أنا الذى أحسن رعايتها ، وأبلغ نهايتها) .

وفى طريقه إلى الكوفة ، لقى بالعذيب رجلا من أهل الكوفة ، فسأله عن أخبارها ، فقال : تركت الناس كالسفينة تجول بلا ملاّح عليها ، فقال المختار : (أنا ملاحها الذى يقيمها) ـ طبقات ابن سعد ٧١/٥ .

فلما كان على مداخل الكوفة ، أجرى اتصالات ، فاجتمع به رجال منها ، فقال بعد أن حمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيه : (أما بعد ، فإن المهدى ابن الوصى ، محمد ابن على ، بعثنى إليكم أمينا ووزيرا ، منتخباً وأميرا ، وأمرنى بقتال الملحدين ، والطلب بدماء أهل بيته ، والدفع عن الضعفاء) .. ثم جعل يقول : (إنى قد جئتكم من قبل ولى الأمر ، ومعدن الفضل ، ووصى الوصى ، والإمام المهدى ، بأمْر فيه الشفاء ، وكشف الغطاء ، وقتل الأعداء ، وتمام النعماء) .

وبسجع (الكهانــة) هذا استمال طائفة من الشيعة ، لكن جماعة وثبت به فقيّدته ، إذ لم يكن تاريخه مجهولا لهم ، فهو من مُلّاك (الخطرانية) ، من سواد الكوفة ، وموقفه من الحسين ، ثم من ابن الزبير ، غير مجهول ، هذا إلى أن الإفراج عنه من سجن ابن زياد شكّك فى ولائه العلوى ، ولم يكن ـ وهو على حظ من الذكاء والدهاء ـ ليغيب عنه ما يجول فى نفوس القوم ، لذا كان كثير التأكيد على صلته بابن الحنفية ، وعلى أهليته للقيادة ، والثأر من قتلة الحسين .. قال ـ وهو مقيد ـ مصطنعا أسلوب الكهانة الذى اشتهر به : (أما ورب البحار ، والنخيل والأشجار ، والمهامه والقفار ، والملائكة الأبرار ، والمصطفين الأخيار ، لأقتلن كل جبــار ، بكل لدن خطّار ، ومهنّد بتّار ، فى جموع من الأنصار ، ليسوا بميل أغمار ، ولا بعُزل أشــرار ، حتى إذا أقمت عمود الدين ، ورأبتُ شَعْب صَدْع المسلمين ، وشفيت غليل صــدور المؤمنين ، وأدركت ثأر النبيين ، لم يكبُــر علىّ زوال الدنيــا ، ولم أحفــل بالمــوت إذا أتى) .

يقـول قـائلهم : (كـان إذا أتيناه ـ وهــو فى السجن ـ ردد علينا هذا القــول ، حتى خرج منــه) .

واجتمع إليه بعض الشيعة مرة أخرى ، تلبية لندائه : (يالثارات الحسين) .

وتشكك بعضهم فى صلته بالمهدى بن على ، وكان على رأسهم ابن الأشتر ، فاحتال وكتب كتابا على لسان (المهدى) يقول : (بسم الله الرحمن الرحيم ـ من محمد المهدى إلى إبراهيم بن مالك الأشتر ـ سلام عليك ـ فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ـ أما بعد ، فإنى قد بعثت إليكم وزيرى وأمينى ونجيّى الذى ارتضيته لنفسى ، وقد أمرته بقتال عدوى ، والطلب بدماء أهل بيتى ، فانهض معه بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك ، فإنك إن نصرتنى ، وأجبت دعوتى ، وساعدت وزيرى ، كانت لك عندى بذلك فضيلة ، ولك بذلك أعنّة الخيل وكل جيش غاز ، وكل مصر ومنبر ظهرت عليه ، فيما بين الكوفة وأقصى بلاد أهــل الشــام ، على الوفــاء بذلك علىّ عهد الله ، فـإن فعلت ذلك نلت به عند الله أفضل الكرامة ، وإن أبيت هلكت هلاكا لا تستقيله أبدا ، والسلام عليك) .

لما انتهى إبراهيم من قراءة الكتاب قال : لقد كتبتُ إلى ابن الحنفية وكتب إلىّ ، فما كان يكتب إلىّ إلا باسمه واسم أبيه !! .

وكما نسبت التوراة إلى إسحق : الجلد جلد عيسو والصوت صوت يعقوب !! .

داخل إبراهيم الشكُّ فى حقيقة الرسالة ، فقال المختار : (إن ذلك زمان ، وهذا زمان) ، وأتى المختار بشهود جالسين أمام محكمة التاريخ ، يبيعون الشهادة لمن يدفع .

وقبل ابن الأشتر هذا التفسير ـ على غير اقتناع – لأن الرسالة تتضمن وعدا يُرضى كبرياءه ، ويحقق مطامحه .

كان (الثعلب) الثقفى على يقين من أهميّة ابن الأشتر (فإنه فتى رئيس ، وابن رجل شريف له عشيرة ذات عز وعدد) .

كما كان على يقين من أهمبة الموالى ، إذ كانوا حاقدين على الحكم الأموى الذى كان (مُلكاً عربياً خالصاً) ، وكان هواهم مع العلويين ، أعداء الأمويين ، وأبناء بيت النبوة ، ثم إن زواج الحسين بن على من إحدى بنات يزدجرد ، آخر الأكاسرة الساسانيين– جعل الموالى الفرس يرون فى أولاد الحسين منها وارثين لملوكهم السابقين ووارثين لتقاليدهم القومية ، هذا بالإضافة إلى أن عليا وابنه الحسن اتخذا من الكوفة حاضرة لخلافتهما ، واختارها الحسين مركزا لثورته .

من هنا كان الثقفى موفقا فى استغلال عواطف الموالى ، فجعلهم جنده ، وساوى بينهم وبين العرب ، وخاض بهم وبابن الأشتر معارك .

ولما منعهم يزيد بن الحارث أن يدخلوا الكوفة ، نزلوا فى بيوت منفردة لمزيْنة وأحمر وبارق ، فاستقبلوه بالماء ، فسقى أصحابه ، وأبى المختار أن يشرب ، فظن أصحابه أنه صائم..

سأل أحمر بن هديج – من همدان – عبد الله بن كامل : أترى الأمير صائماً ؟ قال : نعم ، هو صائم ، قال أحمد : فلو أنه كان فى هذا اليوم مفطراً كان أقوى له ، فقال عبد الله : إنه معصوم ، وهو أعلم بما يصنع ، قال أحمر : صدقت ، أستغفر الله) .

أرأيت كيف بلغ (الأفاق) من نفوس القوم ؟! .

لكن ثمة من كان يعرف دخيلة هذا الرجل : (لما أسر سراقة البارقى ، قال : وأنتم أسرتمونى ؟! ما أسرنى إلا قوم على دواب بُلق : عليهم ثياب بيض ، فقال المختار : أولئك الملائكة) ، وأطلقه مقابل هذا (الخبر) الذى يمكن استغلاله ، لكن الرجل سرعان ما أعلن حيلته ، فقال :

ألا أبلغ أبا إسحق أنى ... رأيت البُلق دُهما مصمتات
أرِى عينىّ ما لم ترأياه ... كلانا عالم بالترهات

(٢)

ذكر موسى بن عامر الأشعرى أن المختار قال ذات يوم ، وهو يحدث جلساءه : (لأقتلن غداً رجلاً عظيم القدمين ، غائر العينين ، مشرف الحاجبين ، يسر مقتله المؤمنين والملائكة المقربين) ، ففهم أحد الجالسين أنه يقصد عمر بن سعد بن أبى وقاص ، فأرسل إليه يحذره ، فقال عمر : كيف يريد هذا بى بعد الذى أعطانى من العهود والمواثيق ؟! .

ثم حصل عمر على أمان مجدد ، عن طريق عبد الله بن جعدة ، قال فيه : (بسم الله الرحمن الرحيم – هذا أمان من المختار بن أبى عبيد لعمر بن سعد بن أبى وقاص – إنك آمن بأمان الله على نفسك وأهلك وأهل بيتك وولدك ، لا تؤاخذ بحدث كان منك قديماً ، ما سمعت وأطعت ولزمت رَحْلك وأهلك وبصرك ، فمن لقى عمر بن سعد من شرطة الله وشيعة آل محمد ومن غيرهم من الناس ، فلا يعرض له إلا بخير) . وأشهد على هذا الأمان بعض رجاله ، (فكان أبو جعفر محمد بن على يقول : أمّا أمان المختار لعمر ابن سعد « إلا أن يحدث حدثاً » ، فإنه كان يريد به إذا دخل الخلاء فأحدث) !! .

(وأصبح المختار ، فبعث إليه أبا عمرة ، وأمره أن يأتيه به ، فجاء حتى دخل عليه ، فقال : أجب الأمير ، فقام عمر ، فعثر فى جبة له ، ويضربه أبو عمرة بسيفه ، فقتله ، وجاء برأسه فى أسفل قبائه ، حتى وضعه بين يدى المختار ، فقال المختار لابنه حفص بن عمر بن سعد ، وهو جالس عنده : أتعرف هذا الرأس ؟ فاسترجع ، وقال : نعم ، ولا خير فى العيش بعده ، فقال له المختار : صدقت فإنك لا تعيش بعده ، فأمر به فقتل ، وإذا رأسه مع رأس أبيه ، ثم إن المختار قال : هذا بحسين ، وهذا بعلى بن حسين ، ولا سواء ، والله ، لو قتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أنملة من أنامله) .

وغَدْرُ الثقفى بالأمان لم يكن بدعا فى هذا الزمان ، فقد أصبح الغدر (دهاء) وحنكة ودراية بالرجال .

كما أن الثقفى استعان ـ كما استعان غيره ـ برجم الغيب ، لما للغيب من تأثير على نفوس العامة ، فأشاع أنه (لقى معبدا الجدلى ، فقال له : يا معبد ، إن أهل الكتب ذكروا أنهم يجدون رجلا من ثقيف يقتل الجبارين ، وينصر المظلومين ، ووصفوا صنعته ، فلم يذكروا صفة إلا وهى فىّ) ـ عن رسالة أخذ الثأر للحديدى ١١٠/١ .

وأشاع كذلك أن (ميتم التمار ـ وهو فى سجن ابن زياد ـ تنبأ له بأنه سيعيش حتى يقتل ابن زياد ، ويأخذ بثأر الحسين) .

وأخطر من هذا أنه اشترى كرسيا (كان جعد بن هبيرة يجلس عليه ، كأنه يرى عليه أثرة من علم) ، وقال : (إنه لم يكن فى الأمم الخالية أمر إلاّ وهو كائن فى هذه الأمة مثله ، وإنه كان فى بنى إسرائيل التابوت فيه بقية مما ترك آل موسى وآل هرون ، وإن هذا فينا مثل التابوت) .

وأشاع أن على بن أبى طالب (قد صعد إلى السماء ، وأنه سينزل إلى الدنيا ، وينتقم من أعدائه) ـ الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٤٣ .

وقد ساعد هذا (الاعتقاد) أن ازداد القوم حماسة لعلى وأبنائه ، فكانوا يقبلون على الموت ، معتقدين اعتقادا راسخا بأنهم سيعودون إلى الحياة بعد قليل ـ الحضارة الإسلامية لكريمر ص ٧٥ .

ولما طمع فى (المدينة) كتب إلى محمد ابن الحنفية يقول : (فإن رأيت أن أبعث إلى أهل المدينة من قِبلى جيشا كثيفا ، وتبعث إليهم من قِبلك رسلا ، حتى يعلم أهل المدينة أنى فى طاعتك ، وإنما بعثت الجند إليهم عن أمرك ، فافعل ، فإنك ستجد عظمهم بحقكم أعرف ، وبكم أهل البيت أرأف منهم بآل الزبير الظلمة الملحدين) .

فكتب إليه ابن الحنفية مستنكرا : (إن أحب الأمور كلها إلىّ ما أطيع الله فيه ، فأطع الله ما استطعت فيما أعلنت وأسررت ، واعلم أنى لو أردت لوجدت الناس إلىّ سراعا ، والأعوان لى كثيرا ، ولكنى أعتزلهم ، وأصبر حتى يحكم الله لى ، وهو خير الحاكمين) .

ولما بلغ ابنَ الزبير ما كان من أمر ابن الحنفية والمختار ، حبس ابن الحنفية وجماعة معه ، خشية أن يكون مرتكزاً للثقفى ، فيطمع فى الحجاز ، بعد أن دانت له الكوفة ، وهدد ابن الحنفية ومن معه بالحرق ، فبعث ابن الحنفية إلى المختار يعلمه ما نزل بهم ، ويطلب النجدة .

انتهز الثقفى هذه الفرصة الثمينة ، فوقف يخطب أهل الكوفة :

(إن هذا مهديكم وصريح أهل بيت نبيكم ، قد تركوه ومن معه محصورا عليهم ، كما يحصبر على الغنم ، ينظرون القتل والتحريق فى الليل والنهار ، لست أبا إسحق إن لم

أنصرهم نصْرا مؤزرا ، وإن لـم أسرّب الخيل فى إثر الخيل كالسيل يتلوه السيل ، حتى يحلّ بابن الكاهلية ـ ابن الزبير ـ الويل) .

وأرسل المختـار من يطلقون سـراحه ومن معه ، لكن ابن الحنفية آثر عـدم القتـال ، وخرج فى أربعـة آلاف رجـل إلى شـعب على ، ثم ما لبث أن رحل إلى دمشق ، حيث بايع ابن مروان ، وذلك بعد أن دالت دولة المختار على يد مصعب بن الزبير ، وبعد أن دالت دولة ابن الزبير على يد الحجاج ، ومع هذا فقد شاع بين (الشيعة) أن ابن الحنفية هو الإمام المهدى المنتظر الذى اختفى بجبل رضوى ، عنده عسل ومـاء ، وشـعر بذلك شـعراؤهم ، وقالوا : إنه سيعود فى (الوقت المناسب) ، ليقيم العدل وينشر الأمان .

ويروى أنه لما ضيّق مصعب بن الزبير الخناق على المختار ، حتى لجأ إلى قصره ، وانفض عنه أكثر جنده : (قال للسـائب بن مالك الأشعرى : ماذا ترى ؟ قال : الرأى لك ، فماذا ترى ؟ قال : أنا أرى ، أم الله يرى ؟ قال الله يرى ، قال : ويحك ، أحمق أنت ؟ إنما أنا رجل من العرب ، رأيت ابن الزبير انتزى على الحجاز ، ورأيت نجدة الخارجى انتزى على اليمامة ، ومروان على الشام ، فلم أكن دون أحد من رجال العرب ، فأخذت هذه البلاد ، فكنت كأحدهم ، إلا أنى طلبت ثأر أهل بيت النبى ـ ﷺ ـ إذْ نامت عنه العرب) .

وبهذا كشف الرجل عن حقيقة أمره ، وقُتل ليومه .

وأوغل مصعب فى الانتقام لأشراف الكوفة من (الموالى) ، حتى لقب بالجزار ، فقد بلغ عدد قتلاه (سبعة آلاف رجل من أهل القبلة) ، لهذا لما لقى عبد الله بن عمر ، قال له عبد الله : (والله ، لو قتلت عدتهم غنما من تراث أبيك ، لكان ذلك سرفا)[1] .

وانطوت صفحة دجال كبير ، استعان بكل وسيلة (للانتزاء) على أرض يحكمـها ، ليفتح أكثر من صفحة لدجالين آخرين .



---

(١) النصوص غير المبينة مصادرها فى الفصل السابق من تاريخ الطبرى جـ٥ و ٦ و ٧ .

٢ - العباسية ..

قال أبو بكر بن أبى شيبة : كان عبد الله بن عباس من أحب الناس إلى عمر ابن الخطاب وكان يقدمه على الأكابر من أصحاب محمد ، ﷺ ، ولم يستعمله قط ، فقال له يوما : كدت أستعملك ، ولكن أخشى أن تستحل الفيء على التأويل ، فلما صار الأمر إلى على استعمله على البصرة ، فاستحل الفيء على تأويل قول الله تعالى : ﴿ **واعلموا أن ما غنمتم من شيء ، فأن لله خمسة وللرسول ولذى القربى** ﴾ ، واستحله من قرابته من رسول الله ، ﷺ ـ العقد الفريد ٣٥٤/٤ .

والأخبار الكثيرة الواردة في هذا الباب خلا منها كتاب (نهج البلاغة) ، مع أن الذى جمع مفرداته نقيب الطالبيين ، فى وقت كان الخلاف بين العباسيين والعلويين فى الذروة ، ومثل هذه الأخبار تنال من الحكم العباسى .

ثم إن الرسالتين المتبادلتين بين محمد بن عبد الله (العلوى) وبين أبى جعفر المنصور (العباسى) لم تتناولا فيما تناولتا هذا الأمر ، مع حرص الطرفين على جمع المذامّ .

ورواية أبى بكر بن أبى شيبة قد تحتمل المزاح مع رجل دعا له الرسول العظيم بقوله : (اللهم فقهه فى الدين ، وعلمه التأويل) ، والفقه فى الدين الذى كان سببا فى تقديم شاب على كبار الصحابة لا يستدعى أن ينزل صاحبه إلى الطمع فى مال المسلمين ، وهو ابن العباس بن عبد المطلب أحد كبار رجال المال والأعمال فى الجاهلية وفى الإسلام .

وإذا كان (العقد الفريد) ـ وهو كتاب أدب قبل أن يكون كتاب تاريخ ـ هو راوى اتهام أبى الأسود الدؤلى لابن عباس ، والمعروف عن أبى الأسود أنه كان رجلا شحيحا ، والدانق فى نظر الشحيح دينار ، فلعل ما رآه ابن عباس حِلاً ميسورا رآه أبو الأسود نهبا مستباحا .

ولما كتب الإمام على إلى ابن عباس فى مقولة أبى الأسود ـ العقد الفريد ٣٥٥/٤ ـ أنكر ابن عباس هذا القول ، وقال : (أما بعد ، فإن كل الذى بلغك باطل ، وأنا لما تحت يدى ضابط ، وعليه حافظ ، فلا تصدّق علىّ الظّنين) .

والتاريخ الذى روى هذا الخبر هو الذى روى أن ابن عباس ارتجز حين انصرف عن البصرة ، بعد ما نزل مكة ، حيث البيت الحرام :

وهنّ يمشين بنا هميسا إن يصدق الطيرُ ننِكْ لميسا

فقيل له : يا أبا العباس ، أمثلك يرفث فى هذا الموضع ؟ قال : إنما الرفث ما يقال عند النساء !! .

وهو خبر جمع بين (التطيّر) ـ وهو منهيّ عنه فى الحديث الصحيح ـ وبين (الرفث) ، ومثل هذا الخبر لم يجر مثله فى شعر ابن أبى ربيعة !! .

ثم إن خبرا آخر ـ العقد الفريد ٣٥٩/٤ ـ يقول : إن ابن عباس تهدّد عليا ، بقوله : (والله ، لئن لم تدعنى من أساطيرك ، لأحملنه ـ المال ـ إلى معاوية ، يقاتلك به) .. كأن معاوية كان ينقصه هذا المال ، وكأن ابن عباس كفّ عن تأييد ابن عمه عليا ، وكأن أبناء على أخذوا موقفا من عمهم (ابن عباس) ، فلم يلجأوا إلى مشورته ، كلما حزَب أمر !! .

إن التاريخ المتداول بين أيدينا غلب عليه الوضع ، بسبب من عدم انتقاء الأخبار ، وعرض محتواها على الظروف التى أفرزتها ، وإذ كان التاريخ يروى عن رسول الله ـ ﷺ ـ مئات الآلاف من الأحاديث (الموضوعة) ، فكيف بالصحابة والتابعين ، وكيف برجال زُجّ بهم فى صراعات سياسية ، بعد أن لقوا ربهم بعشرات السنين ؟! .

إن من يجرؤ على السير فى هذه الأدغال الموحشة لابد من أن تعتريه الرهبة ، و أن يساوره القلق ، مخافة أن يفقد الطريق الصحيحة .

ومن ثم لا يسعنى إلا أن أبرأ إلى الله من زلل غير مقصود ، داعيا إياه أن يُلْهمنى صحة القصد ، وأن يهدينى سواء السبيل .

(٢)

بداية الخطأ فى نظر (الإمامة) أنها تخلّت عن إرادة جماهير المسلمين ، أو تعالت عليها ، مع أن الداعين إلى الإمامة لم يستطيعوا الوصول إلى السلطة إلا من خلال إرادة الجماهير ، وعبر الدماء الغزيرة التى أهدرت .

إن عظمة الرسالة المحمدية تمثلت فى (بشريتها) ، وفى خضوع تعاليمها لحاجة البشرية المتجددة .. أى أن قَصر التعاليم القرآنية على (الكليات) ، وقَصْر سيرة الرسول ـ ﷺ ـ قولا وعملا ، على ما اقتضته مصلحة المسلمين فى زمنه ، وتوقف نزول الوحى بتوقف حياة الرسول ـ كل هذا ترك للعقل والاجتهاد مجالا واسعا .

لقد ترك الرسول ـ ﷺ ـ الأمر شورى بعده ، وأبو بكر بعد المشاورة اختار عمر ، و هو على (يقين) من أن خير المسلمين فى أن يتولى عُمر الأمر من بعده ، ولم يعترض أحد على هذا الاختيار ، مع ما كان معروفا عن عمر من حزم لا يخشى فى الله لومة لائم ، وجاء عثمان ذو النورين ، بعد أن اجتهد عمر فى طريقة أخرى (للاختيار) والمشورة ، ثم جاء علىّ فى ظروف صعبة دعَت إلى بيعة البقية الباقية من الصحابة فى مسجد المدينة .

الرسول وخلفاؤه الراشدون لم يلتزموا ـ إذاً ـ طريقة واحدة للإمامة .

كانت الشورى ومصلحة المسلمين سبيل الاجتهاد .

لكن عواصف السياسة وألاعيبها ومساربها العدوانية ابتدعت ما سُمى (الإمامة) حقا موروثا .

وهذا (الحق الموروث) ـ مع كثرة الفروع (الأبناء) ـ غلب عليه ما يسمّى بنزعة (الاغتصاب) ، والحق لمن سبق ودعا لنفسه ، أو لمن غلب !! .

ومن ثم كانت مساومات وتنازلات ، تأبى على (الوراثة) أن تكون حقا .

وما سبقت (الإشارة) إليه فى تجربة (المختار الثقفى) يصدق على غيره .

ومن هنا انفسح المجال لاختراع الأساطير والأوهام ، حتى يتأيد هذا الحق ، واختراع الأساطير والأوهام لا ينشأ إلا من واقع الشعور بهذا (الحق) أو التمسك به ، وكلما قوى الشعور بضعف الحجة زاد الإيغال فى تدخل قوى خارج دائرة (المنظور) .. ومن ثم اتسع القول فى تأييد الله ، وفى حلول (الروح القدس) فى الأئمة ، إماما بعد إمام ، حتى ولو جاء (الإمام) بعد عملية عدوانية خطيرة ، وصار (الوحى) يتنزل على (أئمة) تاريخهم مشبوه أو مشوّه ، واتخذ المال والسلطان وسيلتين لنشر الترهات والأباطيل .

وكانت قمة العبث هذا (المهدى المنتظر) الذى اختفى فى (جبل رضوى) ، أو فى أحد كهوف سامراء (سر من رأى) ، أو ارتفع إلى السماء ، حتى يشاء الله ، فيعود لينشر العدل والأمان والخير .

ويشاء التاريخ العجيب أن يكون للأمويين نصيب فى هذه المزاعم ، فينشأ فيهم ـ كما يروى صاحب نهاية الأرب عن كعب الأحبار ٢٧٢/١٤ ـ رجل اسمه معاوية بن عنبسة ، يُظهر فى أول أمره الزهد ، ويبذل الأموال ، ويُخطَب له على منابر الشام ، ويكون جريئا على

سفـك الدمـاء ، ويعطل الجمعة والجماعـة ، وتنتصر جيوشه فى الكوفة وخراسـان وبلاد الـروم ، وتُكثر القتل ، فيجتمع إليه جماعة من الصالحين ، يخوفونه عقوبة الله فى سفك الدمـاء ، فيأمر بقتلهم وقتل العلماء والزهـاد فى جميع الآفاق .. وعند ذلك يجتمع المسلمون على رجل من أهل بيت رسول الله – ﷺ – يقال له محمد بن على ، فيبايعونه ، ويسمونه المهدى .

ويقول صاحب نهايـة الأرب – ٥٣/٢٢ – إن أبا محمد السفيانى تغيب إلى أيام المنصور ، ولحق بالحجاز ، فكان كذلك ، إلى أن بلغ زياد بن عبد الله الحارثى ، عامل المنصور ، مكانه ، فبعث إليه خيلا فقاتلوه فقتلوه .

خبران عن رجل واحد ، فى كتاب واحد ، هو (نهاية الأرب) ، الخبر الأول من أشراط الساعة ، فالسفيانى دجال ينزل بين يدى عيسى عليه السلام ، والخبر الثانى فى أيام أبى جعفر المنصور ، والخبر الأول ينتهى برجل اسمه (محمد بن على) ، وهو سَمِىّ الرجل الأول فى الدعوة العباسية .

أليس هذا دليلا قاطعا على عبثية الأخبار (السياسية) التراثية ؟! .

إن هـذا الوقـوع فى أسـر (الميتافيزيقـا) ولّد غيبيات كثيرة تُؤذن بقيام دول واستمرارها ، أى أنها أريد بها تدعيم النظام .

لذا يجب إعادة النظر فى هذه (الخرافات) و (الموضوعات) حتى يسلَم نظرنا إلى الأشياء ، وحتى تصحّ مسيرتنا ، ولا تنحرف بها هذه (المأثورات) .

إن عامة المسلمين وأنصاف المتعلمين تستهويهم هذه الخرافات ، ويروّجون لها ، ويتعصبون ، وينفعلون أشد الانفعال ، وقد يؤثّرون على علماء (الإجازات المدرسية) ، وبهذا يشكلون خطرا جسيما على الفكر وعلى الوجدان ، ويكونون قوة تدمير خطيرة لأنسجتنا ، وقدراتنا الحيوية .

(٣)

لما كان عبد الملك بن مروان يميل إلى مُحاسنة العباسيين والعلويين ، تحدث إليه على ابن عبد الله بن عباس فى قرية تدعى الحميمة ، فى أرض الشراة ، من ناحية البلقاء ، فى شرق الأردن ، فأقطعه إياها ، وحَباه مالا ، فبنى بها قصرا ، والتحق به جماعة من أسرته فعمروها ، وصارت لهم موطنا بدل الطائف .

ثم أوصى أبو هاشم عبد الله محمد بن الحنفية ـ حين أحسّ بأثر السم الذى دسّه لـه الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك ـ أن يتولى محمد بن على بن عبد الله بن عباس الأمرَ من بعده .

وفى خلافة عمر بن عبد العزيز ـ فى تمام المائة بعد الهجرة ـ قام محمد بن على بتنفيذ وصية أبى هاشم ، وأرسل الدعاة ، ورسم لهم الخطة التى يتبعونها .

كان لمحمد بن على إدراك ـ إلى حد ما ـ بما عليه أهالى الولايات الإسلامية المختلفة ، من ميول وأهواء سياسية ودينية ، يتبين هذا من قوله الذى ربما حرّفته وزادت فيه أو نقصت أقلام الرواة والنساخ :

(أما الكوفة وسوادها فشيعة على ، وأما البصرة فعثمانية تدين بالكفّ ، وأما الجزيرة فحرورية صادقة ، وأعراب أعلاج ، ومنسلمون فى أخلاق النصارى ، وأما أهل الشام فلا يعرفون ، وأما مكة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر وعمر ، ولكن عليكم بخراسان ، فإن هناك العدد الكثير ، والجلَد الظاهر . وهناك صدور سليمة ، ومناكب وكواهل ، وهامات ولحى وشوارب ، وأصوات هائلة ، ولغات فخمة ، تخرج من أجسام منكرة ، وبعد ، فإنى أتفاءل إلى المشرق ، وإلى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق) .

واختار اثنى عشر نقيبا : منهم سليمان بن كثير ، ولاهز بن قريظ ، وقحطبة بن شبيب وخالد بن إبراهيم ، ومالك بن الهيثم الخزاعى ، وغيرهم ، واختار سبعين رجلا يكونون دعاة مؤتمرين بأمر النقباء .

هـامش :

وهو بهذا يكون قد استنّ سنة بنى إسرائيل ، أو توسّع فيما بدأ به المختار الثقفى ، ولعل صاحب الخبر هو الذى ألبسه هذه (الآفة) ، لكن الرغبة الأصلية فى دعاة تلك الأيام ـ وربما فى أكثر الأيام ـ هى أن يلْبسوا على الناس دينهم ، وأن يجعلوا للكهانة مسوحا ذات صبغة فى التاريخ البعيد ، أو فى الماضى غير المنظور ، أو فى الأساطير المغلفة بالضباب ، وهذه شنشنة معروفة فى التاريخ الدينى والاجتماعى والأدبى أيضا ، ومصداق هذا يتجلى فى كثير من التنبؤات تحدد هذا المسار ، وهى عادة أنبياء بنى إسرائيل ، كما سنرى رسوما ومسوحا فى المحافل الدينية العباسية ، ثم الفاطمية .

وقد ساعد موسم الحج على اجتماع الدعاة وتبادل الرأى ورسم الخطط ، وكانت إقامة محمد بن على فى (الحميمة) تمكنه من القيام بالإشراف على الحركة ، بعيدا من الريبة ، ثم إن العباسيين لم كونوا فى إطار المراقبة كالعلويين .

وفى سنة ١٢٥ هـ توجه سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وقَحْطبة بن شبيب إلى محمد ابن على بأموال وهدايا ، ومعهم (أبو مسلم) ، فقال لهم محمد : (لن تلقونى بعد وقتى هـذا إلا وأنا ميت فى سنتى هذه ، وصاحبكم ابنى إبراهيـم ، فـإذا قضى الله فيـه قضاءه فصاحبكم عبد الله بن الحـارثيـة) ، وأخـرج إليهم إبراهيـم حتى رأوه ، (وقبـلوا يديـه ورجليـه) !! .

وفى عهد إبراهيـم بـدأ الصدام مع الأمويين ، فقبضوا عليه ، وسجنـوه فى حـران ، ثم قتـلوه .

وانتقلت الأسرة إلى الكوفة فى صفر سنة ١٣٢هـ ، واختفوا عن الأنظار ، حتى طلب الأتباع من أبى العباس أن يخرج للناس ويأخذ البيعة .

(٤)

فى أول خطبة لأبى العباس ـ عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ـ بعد أن بويع بالخلافة ، قال :

(وخصّنا برحم رسول الله ـ ﷺ ـ وقرابته ، وأنشأنا من آبائه ، وأنبتنا من شجرته ، واشتقّنا من نبعته ، جعله من أنفسنا ، عزيزا عليه ما عنتنا ، حريصا علينا ، بالمؤمنين رءوفا رحيما ، ووضعنا من الإسـلام وأهله بالموضع الرفيع ، وأنزل بذلك على أهل الإسـلام كتـابا يتلى عليهم ، فقال عز من قـائل ، فيما أنزل به من مُحكم القـرآن : ﴿ **إنما يريـد الله ليـذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويطهركم تطهيرا** ﴾ ، وقال : ﴿ **قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى** ﴾ ، وقال : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾) .

يلاحظ أن الحجج جميعها استهوائية ، وأن الآيات ليست فيما طلب .

إن الشجرة التى أنبتته ، والنبعة التى اشتق منها ، خرج من صلبها أبو لهب وأبو طالب وكلاهما بلغته الدعـوة ولم يستجب ، ومن ثم فالقيمـة متمثلة فى الإيمان ، وليس فى النسـب ، هـذا إلى أن بين الهاشميين مَن اتهم بالـزندقة ، مثل الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب ، وعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وقد أمر الخليفة المهدى بالقبض على داود بن على ، ويعقوب بن الفضل ، وكلاهما من البيت العباسى ، واتهما بالزندقة ، وأقرّا بذلك .

أما قوله ـ جل شأنه ـ ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ ـ التوبة ١٢٨ ـ فقد نزلت فى سياق خطاب المنافقين الذين ﴿ إذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ، ثم انصرفوا ، صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون ﴾ ـ التوبة ١٢٧ .

إن الله ـ سبحانه ـ يقارن بين موقفين ، موقف الجاحدين الرافضين الاستجابة ، وما هو من أمر الرسول الذى هو بشر مثلهم ، عربى مثلهم ، يعز عليه أن يُحرموا من رضوان الله ، ومن ثم هو حريص على أن يلبوا دعوة الله ، رأفة ورحمة .

يقول الفخر الرازى ١٦ / ٢٤١ : (خَتم السورة بما يوجب سهولة تحمل تلك التكاليف ، وهو أن هذا الرسول منكم ، فكل ما يحصل له من العز والشرف فى الدنيا فهو عائد إليكم ، وأيضا فإنه بحال يشق عليه ضرركم ، وتعظم رغبته فى إيصال خير الدنيا والآخرة إليكم) .

وجاء فى المنار ١١ / ٨٧ : (جمهور المفسرين على أن الخطاب هنا للعرب ، فهو بمعنى ﴿ هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم ﴾ ، وقال الزجاج : إن الخطاب للعالم كله ، لعموم بعثته ، فيكون بمعنى ما يأتى فى أول السورة التالية : ﴿ أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم ﴾ ؟! وآية سورة براءة فى امتنان الله ـ عز وجل ـ على من أرسل إليهم الرسول من أنفسهم وصميم قومهم ، لتأييد الحجة بالمنّة ، والترغيب فى إجابة الدعوة) .

أما آية الأحزاب ٣٣ فهى فى خطاب (نساء النبى) الذى يبدأ من الآية ٢٨ حتى ٣٥ ، وتمام الآية ٣٣ ﴿ وقِرْن فى بيوتكن ولا تبرجْن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ .

وآية الشورى ٢٣ تقول : ﴿ ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى ، ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ، إن الله غفور شكور ﴾ .. واسم الإشارة فى أول الآية يرجع إلى ما جاء فى الآية التى قبلها : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ﴾ ، (فالمودة فى القربى) من خلال المؤمنين عامة ، فى أى مكان ، وفى أى زمان ، وليست مقصورة على قرابة الرسول ، ﷺ ، وإلا فقد وجب أن

(نَودّ) أعداء الرسول من قرابته ، والمفسرون وسّعوا دائرة القربى حتى تشمل جميع المؤمنين ، ومنهم من ضيقها حتى اقتصرت على فاطمة وعلى والحسنين .

وأما آية الشعراء ٢١٤ ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ فهى أمر (تكتيكى) للدعوة ، إذ (لم يكن لأحد فيه طعن ألبتة ، وكان قوله أنفع ، وكلامه أنجع) ، وروى (أنه لما نزلت هذه الآية صعد الصفا ، فنادى الأقرب فالأقرب ، وقال : يا بنى عبد المطلب ، يا بنى هاشم ، يابنى عبد مناف) ـ الرازى ١٧٢/٢٤ ـ ثم دعا آل مكة ، ودعا وفود العرب إلى مكة .

وبهذا يتبين أن (داعية) الإمامة إنما كان يركب ظهرا لا يملكه ، بدليل أنه لما قويت شوكته خطب فى جنوده : (قد زدتكم فى أعطياتكم مائة درهم ، فاستعدوا ، فأنا السفاح المبيح ، والثائر المبير) ـ الطبرى ٤٢٦/٧ ـ وما أظن دعوة الإسلام تتسع (لسفاح مبيح مبير) !! .

يقول صاحب مروج الذهب ٣١٤/٤ : (فكان سريعا إلى سفك الدماء ، واتبعه عماله فى الشرق والغرب فى فعله ، واستنّوا بسيرته) .

(٥)

يقول الله سبحانه : ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ﴾ ـ الأحزاب ٤٠ ـ أى أن نبى الرحمة لم يختص (بأبوية) أحد دون آخر ، فقد جاء للناس كافة ، وما دام دور الأب فى الأسرة هو العائل والمربى والقائد ، فكذلك دور الرسول فى الأمة ، الناس جميعا أمامه سواء ، هو مسئول عن تبليغ الدعوة لهم جميعا ، وهو مسئول عن أن يبين ما أنزل إليهم جميعا ، وهو مسئول عن أن يقيم الحدود على المخالفين جميعا ، حتى لو كانت ابنته العزيزة فاطمة .

ولعل من هذا ألا يختص أحد بميراثه ، فالمسلمون جميعا ورثته فيما أنزل الله عليه من الآيات ، وفيما أوحى إليه من بينات .. ومن ثم فكتاب الله وسنة رسوله وما وعاه (الخلفاء الراشدون المهديون) إنما هو ميراث الجميع ، فلا وصى ولا إمام يفرض علينا ما ليس فى كتاب الله وسنة رسوله ، فالأصل هو إخلاص العبودية لله ، بلا واسطة ، وحشد القوى الإنسانية لفهم آياته ، ووعى توجيهاته ، والالتزام بأوامره ونواهيه ، وما عدا ذلك (صناعة) دخيلة ، هى من بدع السياسة ، ووسيلة حشد الجماهير ، وهى فى الوقت ذاته عدوان على الحنيفية البيضاء السمحاء .

جـاء في الصحيح (نحن معاشـر الأنبياء لا نورث ، ما تركناهُ صدقة) ، وعلى هذا لم يورّث أبو بكر فاطمة الزهراء أرض (فدك) التي كانت بين يدى رسول الله في حياته ، ذلك ليقطع دابر مفهوم (الإرث) الخـاص ، فـإذا كانت ابنتة محمد لم ترثه فيما هو من (بشريته) ، فكيف ترثه فيما خصه الله به واصطفاه ، وختم به رسالته ؟! .

في رسالتين عجيبتين ذكرهما الطبرى (جـ ٧ ص ٥٦٧ / ٥٧١ دار المعارف) ، كتب الثائر العلوى (عبد الله المهدى) محمد بن عبد الله بن الحسن بن على إلى (أبي جعفر المنصور) من رسالة طويلة :

(الحق حقنا ، وإنما ادعيتم هذا الأمر بنا ، وخرجتم له بشيعتنا .. إن أبانا علياً كان الوصى ، وكان الإمام ، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ؟! ليس يمتّ أحد من بنى هاشم بمثل الذى نمتّ به من القرابة والسابقة والفضل .. إن الله اختارنا واختار لنا ، فوالدنا من النبيين محمـد ، ﷺ ، ومن السلف أولهم إسـلاما علىّ ، ومن الأزواج أفضلهن خديجة الطاهرة ، وأول من صلى إلى القبلة ، ومن البنات خيرهن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، ومن المولودين في الإسلام حسن وحسين سيدا شباب أهل الجنة .. فما زال الله يختار لى الآباء والأمهات في الجاهلية والإسـلام حتى اختار لى فى النـار ، فأنا ابن أرفع الناس درجـة فى الجنة ، وأهونهم عذابا فى النار) ـ يعنى أبا طالب .

ردّ (عبد الله أمير المؤمنين) عبد الله بن محمد (أبو جعفر المنصور) يقول :

(جُلّ فخرك بقرابة النساء ، لتُضل به الجفاة والغوغاء ، ولم يجعل الله النساء كالعمومة والآباء ، ولا كالعصبة والأولياء .. ولو كان اختـيار الله لهن على قدر قرابتهن كانت آمنة أقربهن رحما ، وأعظمهن حقا ، وأول من يدخل الجنة غدا ، ولكن اختيار الله لخلقه على علمه لما مضى منهم ، واصطفائه لهم .. لقد بعث الله محمدا ، عليه السلام ، وله عمومة أربعة ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ ، فأنذرهم ودعاهم ، فأجاب اثنان أحدهما أبى ، وأبَى اثنان ، أحدهما أبوك ، فقطع الله ولايتهما منه ، ولم يجعل بينه وبينهما إلاّ ولا ذمة ولا ميراثا .. وأما قولك : إنكم بنو رسـول الله ـ ﷺ ـ فإن الله تعـالى يقول فى كتابه : ﴿ **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم** ﴾ ، ولكنكم بنو ابنته ، وإنها لقرابة قريبة ، ولكنها لا تجوز الميراث ، ولا ترث الولاية ، ولا تجوّز لها الولاية) .

الرسالتان طويلتان ، تتضمنان (مهاترات) ، لو أن الناس وعوا ما جاء فيهما لأسقطوهما معا ، لكن لقيام الدول عوامل أخرى .

حـــائط الغيــب ..

كان الأمويُّون (يرون أن ملكهم يـزول على يد رجـل من بنى العبــاس ، يقــال لــه ابن الحارثيــة) ، فمنع عبد الملك بن مـروان تزويج محمد بن على من ريطــة بنت عبيد الله ابن عبد الله بن عبد المدان الحارثى ..

ولما ولى عمر بن عبد العزيز سمح له بالزواج منها ، فولدت له أبا العباس السفاح فى سنة أربع ومائة ، (ووصل إلى أبيه محمد بن على أبو محمد الصادق من خراسان فى عدة من أصحابه ، فأخرج إليهم أبا العباس فى خرقة ، وله خمسة عشر يوما ، وقال لهم : هذا صاحبكم الذى يتم الأمر على يديه ، فقبّلوا أطرافه ، وقال لهم : والله ليتمّن هذا الأمر حتى تدركوا ثأركم من عدوكم) ـ نهاية الأرب جـ ٢٢ ص ١٢ .

هذا الخبر يفيد أن ريطة ظلت فى انتظار الزواج من محمد بن على أكثر من خمسة عشر عاما ، وهذا خارج عن حدود المألوف العربى فى سرعة تزويج البنات .

ويكذب الخبرَ سعيُ إبراهيم بن محمد لهذا الأمر ، ولم يعهد إلى عبد الله بن محمد (أخيه) إلا بعد أن أحيط به ، وأيقن أن الأمر خرج من يديه .. ثم إن (السفاح) كان يقيم مع أخيه أبى جعفر وبقيــة الأسرة فى (الحميمة) بالأردن ، أى حيث يقوى سلطان بنى أمية فكيف لم يتخلص منه الأمويون وهم يعلمون ؟! .

ولو أن (ربطة) هــذه (المعهودة) بأمومة الخلافة لسعى الأمويون فى الزواج منها ، أو الخلاص منها ، إذا فشلوا فى الخلاص من (والد) الخلافة ، مع ملاحظة أن عبد الملك ابن مروان توفى سنة ٨٦ أو ٨٩ هـ والخلافة قامت سنة ١٣٢ هـ وكانت هذه الفترة التى تصل إلى قرابة نصف قرن كافية للنظر بشأن هذا الذى سيلى أمر الخلافة العباسية ، مع أنه كان تحت أيدى الأمويين ، ثم إن العلويين يملكون كتبا تتحدث عن المستقبل ، فلم أعانوا العباسيين الذين هم أخطر وأوسع مقاتل فيهم من الأمويين ؟! .

❑ (فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة تنبه مروان بن محمـد ، فأرسل للقبض عليه بالحميمة ، ووصف للرسول صفة أبى العباس السفاح ، لأنه كان يجد فى الكتب أن مَنْ هذه صفته يقتلهم ويسلبهم ملكهم ، وسمى لرسوله إبراهيم بن محمد ، فقدم الرسول ، فأخذ أبا العباس بالصفة ، فلما ظهر إبراهيم وأُمّن ، قيل للرسـول : إنما أمرت بإبراهيم ، وهذا عبد الله ، فترك أبا العباس وأخذ إبراهيم ، وانطلق به إلى مروان) ـ المصدر السابق ص ٣٦ .

أكثر من ثلاثين عاما ـ منذ اعترض عبد الملك على الزواج من الحارثية ـ والاستخبارات الأموية لا تميز بين ابن الحارثية وابن غيرها ، والجميع تحت سلطان بنى أمية ، ويقيمون غير بعيد من دمشق ، وكان من باب الاحتياط ـ وهذا كان أسلوبا متبعا ـ أن يمسك بالجميع ، ويتخلص منهم ، أو يمسك بإبراهيم وأخيه ، وعلى مروان أن يختار بينهما ، أو يجمع بينهما فى قَرَن ، إذ كانت ظروف بنى أمية ـ بعامة ـ لا تسمح لخطأ فيما يتهدد المستقبل كله ، وينذر بنى أمية جميعا بالإبادة ، ونبش قبور من سبقوا .

□ (ولما قبض على إبراهيم بالحميمة ، نعى نفسه إلى أهل بيته ، وأمرهم بالمسير إلى الكوفة ، مع أخيه أبى العباس عبد الله بن محمد ، وهو السفاح ، وأوصاهم بالسمع والطاعة له ، وأوصاه وجعله الخليفة من بعده ، وودعهم) ـ المصدر نفسه ص ٣٧ .

أى أن الأمر كان خاضعا لتسلسل الأحداث ، لا لنبوءات مكتوبة ، فلو أن الأمر كان خاضعا (لمكتوبات) لما تصدى إبراهيم لهذا الأمر من دون أخيه ، أو لدعا لأخيه من البداية ، فلولا أن رسول مروان أخطأ فى مهمته لَقُتِلَ أبو العباس ، وصار إبراهيم الخليفة ، لكنها مهازل التفكير الذى يتخلى عن الأسباب ، ويغرق فى الغيبيات ، وهى آفة سيطرت على التاريخ العربى والإسلامى ، فأفقدته القدرة على التمييز والاختيار والرؤية المستقبلية .

□ (تقدم أبو العباس وأخوه أبو جعفر وعمه عبد الله بن على فيمن كان معهم إلى الماء ، فى الطريق إلى الكوفة ، قبل أن يبايع أبو العباس بالخلافة ، فلقيتهم أعرابية ، فقالت : تالله ما رأيت وجوها مثل هذه ، ما بين خليفة وخليفة وخارجى ، فقال لها أبو جعفر المنصور : كيف قلت يا أمة الله ؟ قالت : والله ليلينّها هذا ، وأشارت إلى السفاح ، ولتخلفنّه أنت ، وليخرجن عليك هذا ، وأشارت إلى عبد الله بن على) ـ مروج الذهب للمسعودى جـ٣ ص ٢٦٧ .

هناك ما يسمى (الفراسة) ، وهى القدرة على (حدس) صفات المرء من ملامح وجهه ، أو من حركته ، وطريقة تعامله مع الآخرين ، وهذا الحدس مرده إلى تجارب وخبرات وهواجس نفسية ، وهو لا يكاد يتجاوز أن يصف الآخرين بصفات الكرم أو البخل ، والشجاعة أو الجبْن ، النبالة أو الزعارة ، وقد يقال : إن هذا من بنى فلان ، أو أنه سيكون سيد قومه ، لتميزه بصفات السيادة ، أما أن يقطع بالخلافة ، وبمن سيلى من بعد ، ومن سيكون من الخارجين ، فالأمر فيه مغالاة ومجافاة للحكمة وجرأة على الكذب .

□ فلما صار الأمر إلى أبى العباس ، صعد المنبر ، وخطب فى الناس ، فلما وصل إلى قولـه : (فاستعدوا فأنا السفاح المبيح ، والثـائر المنيح) ، وكان موعكا ، فاشتد عليه الوعـك ، فصعد عمه داود بن على ، وأتم خطبة (السفاح) ، ثم قال : (واعلموا أن هذا الأمر فينـا ، ليس بخـارج منا ، حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم ، ﷺ ، والحمد لله على ما أبلانا وأولانا) ـ نهاية الأرب حـ ٢٢ ص ٤٤ .

وهذا القول إن تضمن احتواء دور (المهدى المنتظر) فهو لا يعدو أن يكون لونا من الدعاوى السياسية ، إذ كان يخطب (أهل الشقاق والنفاق) الذين خلّوا بسيد الشهداء ، فدعوه ثم أسلموه لأعدائه ، لكن ـ فى سياق (الغيبيات) التى كثرت خلال أحداث قيام الدولة العباسية ـ لا يملك المرء إلا أن يعجب لكثرتها ، وبخاصة أن تدوينها تمّ بعد حدوثها بزمن طويل ، دون أن تحظى بقدر من النخل والاختيار أو النقد !! .

وما أشك فى أن (الأعرابية) التى لقيت (القوم) على الماء ، لو أنها سمعت خطبة داود بن على لرأته الأحق بالخلافة من بعد السفاح .

□ كان إبراهيم بن عثمان بن بشار بن سدوس بن جودزده من ولد بزر جمهر ـ صبيا فى السابعة من عمره ، (فلما اتصل بإبراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس الإمـام ، قـال له ، غيّر اسمك ، فإنه لا يتم لنا الأمر إلا بتغيير اسمك ، على ما وجدته فى الكتب ، فسمى نفسه عبد الرحمن بن مسلم ، وكان يكنّى أبا مسلم) ـ الخرسانى ـ نهاية الأرب حـ ٢٢ ص ١٦ .

كأن الأحداث مرهونة بالأسماء لا بالأشخاص ، أو بالأفعال ، وكأن أبا مسلم لو لم يغير اسمه لما حدث شىء ، وتوقف الفلك الدائر ، ومن أدرى إبراهيم بن محمد أن هذا الصبى إبراهيم بن عثمان هو الذى سيقيم دولة العباسيين ؟! ومن أدراه أن هذا الصبى سيغير اسمه فيصير عبد الرحمن بن مسلم بدلا من مسلم بن عبد الرحمن ، ويكنى بأبى عبد الرحمن مثلا ؟! ولماذا لم يقل له : (كن عبد الرحمن بن مسلم ، وتكنّ بأبى مسلم ، وانتسب إلى خراسان ، لأنك ستلى قيادة أبناء خراسان) ، وبهذا يأمن جانب التغيير ؟! . وما علامة هذا الصبى حتى إذا ادخل على إبراهيم عرفه ؟! وماذا فعل لإعداده لهذه المهمة الشاقة التى وكلت إليه ؟! وماذا كان يفعل إبراهيم بن محمد لو أن هذا الطفل من ولد (سليط) بن عبد الله ابن عباس ، من أمة مولدة صفراء ، كانت تخدم عبد الله بن عباس ؟! ألم يكن هو الأحق

بالخلافة ، إذ كان صاحب الدور الأكبر فى إدالة دولة بنى أمية ؟! ألا يدل هذا كله على (عبثية) الأخبار التاريخية التى يقوم عليها جماعة لا يحسنون التحرى والتدقيق ؟! .

□ فى سنة ثمان وعشرين ومائة ، وجه إبراهيم بن محمد الإمام أبا مسلم الخراسانى إلى خراسان ، وعمره تسع عشرة سنة ، وكتب إلى أصحابه : (إنى قد أمرته بأمرى ، فاسمعوا له وأطيعوا ، فإنى قد أمّرته على خراسان ، وما غلب عليه بعد ذلك ، فأتاهم فلم يقبلوا قوله) .

تدخل إبراهيم بن محمد ، فعبّد له الطريق ، ومهد لقبوله ، وقال له فيما قال : (واقتل من شككت فيه ، وإن استطعت ألا تدع بخراسان من يتكلم العربية فافعل ، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله) ـ المصدر السابق ص ١٨ / ١٩ .

أهذا أسلوب من يجمع أنصارا ، ومن يعدّ العدة للخروج على دولة قائمة فى هذه الديار ؟! وإذا كان سيتخلص ممن يتكلم العربية ، فكيف يدعو لإمامة قرشية هاشمية ، تقوم دعوتها على كتاب العربية الأكبر ؟! وكيف لا يخشى أن يثور به العرب ، ولم يكونوا قلة ، وبوسعهم أن يلعبوا دورا كبيرا فى مناصرة بنى أمية ، وبخاصة أن نصر بن سيار كان لا يزال فى خراسان على رأس جيش أموى قوى ؟! .

□ حتى قحطبة بن شبيب ، حين خرج لقتال ابن هبيرة بالعراق ، قال لأصحابه : (إن الإمام أخبرنى أن لى بهذا المكان وقعة يكون النصر لنا) ـ المصدر السابق ص ٣٣ .

قد يقال : إنها وسيلة لتقوية معنويات الجند ، وإرهاب العدو ، والموقف يستدعى هذا ، لكن أحداث القتال لا تصغى لهذا الاستهواء ، فما لبث أن انكشف ظهر قحطبة ، فوجد فى جدول قتيلا !! .

(٢)

(السفاح المبيح المبير) أصابته وعكة ، وهو على المنبر ، فصعد عمه داود بن على المنبر ليقول : (اعلموا أن هذا الأمر فينا ، ليس بخارج منا ، حتى نسلمه إلى عيسى ابن مريم . ﷺ) ، ولم يقل إن شاء الله ، لا لأنه نسى ، أو قال هذا فى سره (!!) ، أو لأنه مفهوم بداهة ، بل لأنه لم يكن يعنى ما يقول على أساس دينى ، لأن داود بن على من المعروفين بالزندقة ، فهو يقول ما لا يعقل ، إذ إن الطريق طويلة جدا إلى قيام الساعة ، و (الدنيا دول) ، و(الدهر قلّب) ، و :

لكن المؤرخين الكبار بحثوا عن (آلة الزمن) التى تكشف نبوءة هذا الزنديق .

قالوا : إن أبا جعفر المنصور ـ مؤسس الدولة العباسية ـ حصل على (مرآة يرى فيها عدوه من صديقه) ، وبها يكشف مستقبل الدولة التى جهد فى إقامتها .

وقصة هذه المرآة ـ كما روى الطبرى حـ ٧ص ٥٣٥/٥٣٤ ـ (لما أهبط الله آدم من الجنة رفَعَه على أبى قبيس) فرفع له الأرض جميعا ، حتى رآها ، وقال : هذه كلها لك ، فقال : أى رب ، كيف أعلم ما فيها ؟ ... فكان يعلم ذلك بالنجوم ، ثم إن ذلك اشتد عليه ، فأنزل الله ـ عز وجل ـ مرآة من السماء يرى بها ما فى الأرض ، حتى إذا ما مات آدم ، عمد إليها شيطان يقال له : فقطس ، فكسرها ، وبنى عليها مدينة بالمشرق ، يقال لها « جابرت » ، حتى إذا كان عهد سليمان ، أتى بها ، فكان يجبر بعضها إلى بعض ، ثم يشدها فى أقطارها بسير ، و (توارثتها بنو إسرائيل ، حتى صارت إلى رأس الجالوت ، ودفعها إلى جارية له ، فجعلتها فى كرسفة ، ثم جعلتها فى حجر ، فلما استُخلف أبو جعفر سأل عنها ، فكان يحكها ويجعلها على مرآة أخرى فيرى ما فيها ، وكان يرى محمد ابن عبد الله) ، يقصد (العلوى) الخارج عليه .

وفى حـ ٧ ص ٦٢٤ يقول الطبرى : (وكانت لأبى جعفر مرآة ينظر فيها ، فيرى عدوه من صديقه) !! .

ألا تعنى هذه القصة أن مروان بن محمد كان مغفلا كبيرا ، أو (أبله) ، مع أن الأخبار تتحدث عن شجاعته وصبره ودهائه ، لولا أنه وُجد فى بناء آيل للسقوط ، فكان من ضحاياه .. أيمكن لقائد يرى العباسيين يكيدون له ، ويأتمرون به ، ويؤلبون عليه ، ويجيّشون الجيوش ، وينقضّون على جنده ، ومعه هذه المرآة ، فلا يرى كمائن العدو ، ونقاط ضعفه ، وتحركاته ، ثم يكسرها ، ويعطيها جاريته ؟! ولماذا جاريته ؟ لماذا لم يحطمها أو يخفيها حتى لا ينتفع بها غيره ؟! .

قد نتجاوز فنقول : إن المؤرخين كانوا على حظٍّ من (الخيال العلمى) ، لأن هذه المرآة أشبه بجهاز تليفزيون ، وإن كانت مكتفية بقدراتها ، فهى لا تحتاج إلى إرسال ، ولعل قدرة أبى جعفر على أعدائه ، أمكنت الخيال الشعبى من صنع هذه المرآة ، وجاء الشيخ الطبرى فجعل لها (سندا) ، وحقق لها تاريخا !! .

ولو أن هـذه (الأسـطورة) نشـأت فى عهد أبى جعفر حقـا لتبناهـا ، ورعاهـا حـق رعايتهـا .

ولو أن خياله ، أو خيال أصحابه ، كان قادرا على صنع مثلها لما تردد فى ذلك .

إن الحكام يسعون إلى الاستهواء بقدر ما يملكون من دهاء ، وما كان المهدى المنتظر والمسيخ الدجال إلا صناعة (رسمية) ، لصرف الجماهير الغفيرة عن (دسْت الحكم) ، وما يدور به ، ومعه ، وفيه .

يقول صاحب نهاية الأرب حـ ٢٢ ص ٩٠ : حين شرع المنصور فى بناء بغداد ، قال طبيب المدائن لبعض الجند : (إنا نجد فى كتاب عندنا أن رجلا يدعى مِقْلاصا ، يبنى مدينة بين دجـلة والصَّراة ، تدعى الـزوراء ، فـإذا أسسهـا وبنى بعضـهـا أتاه فتق من الحجاز ، فقطع بناءهـا ، وأصلح ذلك الفتقِ ، ثم أتاه فتق من البصرة أعظم منـه ، فلم يلبث الفتقـان أن يلتئما ، ثم يعـود إلى بنائها فيتمه ، ثم يعمر زمنـا طـويلا ، ويبقى الملك فى عقبـه) ، فقـدم جـندى على المنصـور ، وأخـبره الخـبر ، فقـال ، (أنـا والله كنت أُدعَى مقلاصـا ، ثم زال عنى) !! .

☐ عقب أحـداث هـزيمة ١٩٦٧ كان الانفعال الشعبى فى قمة سخطه وازدرائه للذين كـانوا يملكون من المقـدرات أكـبر من إمكاناتهـم على الفعل ، فـمالت بهم هـذه المقدرات ، فضلّوا ، فلا يستطيعون سبيلا .

وكما صنع الدهاة المحترفون لفاروق وهو فى قمة فساده ــ شرف النسب إلى الرسول ، وكرامة لياذ الجمل به ، صنع هؤلاء الدهاة المحترفون لورثة فاروق ــ وهم فى قعر النكبة ــ ظهور السيدة العذراء بكنيسة الزيتون ، مشرقة فى ليل الكآبة ، لتبارك عهد الظلام ، ولتقول : إن (الفرج مع الصبر) ، و (إن مع العسر يسرا) !! .

وسـيقت الجماهير ــ من أنحاء البلد الطيب ــ لتشهد العذراء البتول فى مـرآة أبى جعفـر المنصـور .

ولعل أصحاب (العذراء) المفترى عليها مِمّن تخرّجوا فى مدرسة (اليمن السعيد) ، إذ كان الإمام أحمد يوهم شعبه أن جبريل يوحى إليـه ، عن طريق (شـريط تسجيـل) يخفيه عن أعين الحاضرين ، وكان يطلى جسمه بالفُسفـور ، ليُرى شعبَه وارث الحضارات كيف يحلل الروح القدس فيه فيضىء !! .

حدّث نصر بن قديد بن نصر ، قال : (لما ظهر محمد بن عبد الله بن حسن ، أمر أبو جعفر بضرب عنق محمد بن عبد الله بن عمرو ، ثم بعث به إلى خراسان ، وبعث معه الرجال يحلفون بالله إنه لمحمد بن عبد الله بن فاطمة بنت رسول الله ، ﷺ ، قال عمر : فسألت محمد بن جعفر بن إبراهيم : فى أى سبب قتل محمد بن عمرو ؟ قال : احتيج لرأسه) !! الطبرى حـ ٧ ص ٥٤٨ .

وهكذا كلما اشتدت الحاجة انفتقت الحيلة ، وسيان أن تكون الحيلة فى قطع رأس ابن عمرو ، أو فى الحصول على مرآة آدم ، أو فى شريط تسجيل ، أو فى زيارة البتول !! .

(٣)

تحدث الشيعة عن (الجفر) الذى كتب فيه الإمام على (ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة) .

وجاء فى خطبة المنصور ـ بعد أن أخذ (عبد الله بن حسن وإخوته والنفر الذين كانوا معه من أهل بيته) ـ أن محمد بن على ـ عم عبد الله بن حسن ـ ناشد زيد بن على فى الخروج ، (وسأله ألا يقبل أقاويل أهل الكوفة ، وقال له : إنا نجد فى بعض علمنا أن بعض أهل بيتنا يصلب بالكوفة ، وأنا أخاف أن تكون ذلك المصلوب) .

ثم جاء فى وصية المنصور ابنه المهدى : (انظر هذا السَّفَط ، فاحتفظ به ، فإن فيه علم آبائك ، ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة ، فإن أحزنك أمر فانظر فى الدفتر الأكبر ، فإن أصبت فيه ما تريد ، وإلا فالثانى والثالث ـ حتى بلغ سبعة ـ فإن ثقل عليك فالكراسة الصغيرة ، فإنك واجد فيها ما تريد) ـ الطبرى حـ ٨ص ١٠٣ [(١)] .

من كاتب هذه الكراسات ؟ وهل خص الله بعلم الغيب آل العباس ، كما فعل مع آل أبى طالب ؟ وإذا صار للغيب كتب وكراسات ، فلم نهاجم المنجمين (ولو صدقوا) ؟ ألا يحتمل أن يكون قد تسرب إليهم علم هذه الكتب والكراسات ، مع ما تسرب إليهم من علم قرانات النجوم ، فتمازجا ، ثم نسب الأمر جملة إلى النجوم ، لأن علمها متجدد ، وله تاريخ يضرب فى الزمان البعيد ؟ ألا تكون هذه الكراسات ـ إذا صدقنا خبرها ـ مجرد مذكرات واستنتاجات وتوقعات زاد الرواة فيها ؟ .

١ـ يقول أخنوخ : (فراقبت كل شئ على الألواح المقدسة ، وقرأت كل ما بها ، وفهمت كل شىء ، وقرأت سفر أعمال البشر الذى سيحدث على الأرض حتى نهاية الدهور) ـ أخنوخ الأول ٨١ : ١ و ٢ عن سفر الرؤيا لباركلى ص ١٨٨ .

لقد روى أن الخليفة المنصور كان يقرب المنجمين ، وكان يعمل بأحكام النجوم ، وكان في مجلسه نُوبخت المجوسى المنجم ، وأسلم على يديه ، وإبراهيم الفزارى المنجم ، وعلى بن عيسى الاسطرلابى المنجّم ، وكان أول خليفة ترجمت له الكتب فى علوم التنجيم وغيرها .. أما كانت مواريثه من الكتب والكراسات مغنية عن علم النجوم ؟ أم أن التعلق بأخبار الغيب آفة تصيب الذين يقيمون حكمهم على قواعد من الجماجم ، فهم لا يطمئنون إلى قراءة الأحداث ، ومتابعة سنن الله فى خلقه ، وأن كل شيء بقضاء وقدر ، وأن الدنيا لو اجتمعت على أن تمنعك من شيء قد كتبه الله لك فلن تفلح ، ولو اجتمعت على أن تمنحك ما لم يرده الله لك فلن تستطيع .. ومن ثم هم فى لهفة على معرفة ما وراء الغيب ، حرصا وخوفا ؟! .

حكى عبد العزيز بن مسلم قال : دخلت على المنصور يوما ، فإذا هو باهت لا يُحير جوابا ، فوثبت لأنصرف ، لما أراه منه ، فقال بعد ساعة : إنى رأيت فى المنام كأن رجلا ينشدنى .

أأخيّ أخفض من مناكا فكأن يومك قد أتاكا
ولقد أراك الدهر من تصريفه ما قد أراكا
فإذا أردت الناقص الـ ـعبد الذليل فأنت ذاكا
مُلكت ما مُلكته والأمر فيه إلى سواكا

فهذا ما ترى من قلقى وغمى ، فقلت : خيرا رأيت يا أمير المؤمنين ، ولم يلبث أن خرج إلى مكة .

وروى الربيع (وزير المنصور) : أن المنصُور ـ وهو فى قصره ببغداد ـ تنبه ذات ليلة من النوم مرعوبا ، ثم عاوده النوم قليلا ، فانتبه فزعا مرعوبا ، ثم مرة ثالثة ، فلما انتفض فيها نادى الربيع ، فقال له : (لبيك يا أمير المومنين) ، قال : (رأيت فى منامى عجبا ، رأيت كأن آتيا أتانى فهيْنم بشيء لم أفهمه ، فانتبهت فزعا ، ثم عاودت النوم ، فعاودنى يقول ذلك الشيء ، ثم عاودنى يقول حتى حفظته وفهمته ، وهو :

كأنى بهذا القصر قد باد آهله وعُرّى منه أهله ومنازله
وصار رئيس القوم من بعد بهجة إلى جدث تُبنى عليه جنادله

وما أحسبنى يا ربيع إلا حانت وفاتى ، وحضر أجلى ، وما لى غير ربى ، قم فاجعل لى غسلا ، ففعل الربيع ، وقام المنصور فاغتسل ، وصلى ركعتين ، وقال : أنا عازم على الحج ، فَهَيِّئْ لى آلة الحج) .

و (لما دخل المنصور) آخر منزل نزله من طريق مكة ـ وهو ذاهب للحج ـ نظر فى صدر البيت الذى نزل فيه فإذا فيه مكتوب : بسم الله الرحمن الرحيم :

أبا جعفر ، حانت وفاتك ، وانقضت سنوك ، وأمر الله لا بد واقعُ
أبا جعفر ، هل كاهن أو منجم لكَ اليوم من حَرِّ المنية مانعُ ؟

فدعا بالمتولى إصلاح المنازل ، فقال له : ألم آمرك ألا يدخل المنزل أحد من الدعّار ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، والله ما دخلها أحد منذ فُرغ منها ، فقال : اقرأ ما فى صدر البيت مكتوبا ، قال : ما رأى شيئا يا أمير المؤمنين ، قال : فدعا برئيس الحجبة ، فقال : اقرأ ما على صدر البيت مكتوبا ، قال : ما أرى على صدر البيت شيئا ، فأملى البيتين فكتبا عنه) .

وهتف بأبى جعفر هاتف من قصره بالمدينة ، فسمعه يقول من أبيات :

ما اختلف الليل والنهار ، ولا دارت نجوم السماء فى الفلك
إلا بنقل السلطان من ملك إذا انقضى ملكه إلى ملك
حتى يصيرا به إلى ملك ما عزّ سلطانه بمشترك

الطبرى حـ ٨ والنويرى حـ ٢٢ .

ومثل هذه الأخبار يدخل فى باب الخواطر (الأدبية) ، ومن باب الهواجس المؤذنة بالموت ، فقد حدث أن قال لابنه المهدى : (يا أبا عبد الله ، إنى ولدت فى ذى الحجة ، ووليت فى ذى الحجة ، وقد هجس فى نفسى أنى أموت فى ذى الحجة من هذه السنة) .

وبما أن أبا جعفر كان على حظٍّ من الفصاحة والبلاغة ، وعلى دراية بالشعر ، فإنه لا يصعب أن يجول فى خاطره شعر كهذا ، وهو مشحون نفسيا بأمر الموت ، ومن اليسير أن يجرى هذا الأمر مجرى السمع والبصر ، وبخاصة أن الرجل كان دائم التفكير فى الدولة التى أقامها ، وكان يخشى أن تضيع من دونه ، بعد ما جهد فى إقامتها ، كما كان يخشى أن يعاجله الموت ، قبل أن يطمئن على قدرة المهدى للنهوض بتبعاتها .

وإذا كانت آلام المعدة والأمعاء أفرزت مثل هذه الهواجس عند المنصور ، فإن آلام المعدة والأمعاء (التاريخية) اعتادت أن تفرز مثل هذه الهواجس ، بدليل أن الطبرى روى عن المهدى مثل هذه الأخبار .

قال على بن يقطين : (كنا مع المهدى بماسَبَذَان) فأصبح يوما فقال : إنى أصبحت جائعا ، فأتى بأرغفة ولحم بارد مطبوخ بالخل ، فأكل منه ، ثم قال : إنى داخل إلى البهو ونائم فيه ، فلا تنبهونى حتى أكون أنا الذى أنتبه ، ودخل البهو فنام ، ونمنا نحن فى الدار فى الرواق ، فانتبهنا ببكائه ، فقمنا إليه مسرعين ، فقال : أما رأيتم ما رأيت ؟ قلنا : ما رأينا شيئا ، قال : وقف على الباب رجل ، لوكان فى ألف أو فى مائة ألف رجل ما خفى علىّ ، فأنشد يقول :

كأنى بهذا القصر قد باد آهلُه ... و أوحشَ منه ربْعه ومنازله
وصار عميد القوم من بعد بهجة ... ومُلكٍ إلى قبر عليه جنادله
فلم يبق إلا ذكره وحديثه ... تنادى عليه مُعولاتٍ حلائله

قال : فما أتت عليه عاشرة حتى مات) ـ الطبرى حـ ٨ ص ١٧٠ / ١٧١ .

وكان المهدى يقول : وُصف لى يعقوب فى منامى ـ يقصد يعقوب بن داود ـ فقيل لى استوزره ، فلما رأيته رأيت الخلقة التى وصفت لى ، فاتخذته وزيرا .

وقيل : إن سبب نكبة البرامكة أن يقطين بن موسى كان من أكابر الشيعة ، ممن كان مع إبراهيم الإمام ، فقال يوما للرشيد : حدثنى مولاى إبراهيم الإمام أن الخامس من خلفاء بنى العباس يَغْدر به كتّابه ، فإن لم يقتلهم قتلوه ، فقال له الرشيد : الله ، يحدثك الإمام بهذا ؟! قال : نعم .

وقيل : إن الرشيد مات وقد رأى مثل ما رأى أبوه وجده .

وهذه الأخبار جميعا توحى بأن بنى العباس كانوا يستندون إلى (حائط الغيب) ، وهم يفسرون الأحداث ، أو يصنعونها .



المنصور ..

قـال شبيب بن شيبـة الأهتمى ، صاحب خالـد بن صفوان المحدث البارع ، يصف أبا جعفر المنصور ، إذ لقيه فى موسم الحج سنة ١٢٥ هـ :

(فتى أسمر ، رقيق السمرة ، موفر اللمة ، خفيف اللحية ، رحب الجبهة ، أقنى بيّن القنى ، أعْين كأن عينيه لسانان ينطقان ، يخلط أبّهة الأملاك بزى النساك ، تقبله القلوب وتتبعه العيون ، يُعرف الشرف فى تواضعه ، والعتَق فى صورته ، واللب فى مشيته) .

وجرى حديث بينهما قد يكون دليلا على صحة الإمامة فى غير بنى هاشم .

قال شبيب : قلت : (ما ترى فيمن على الموسم ؟) ، وكان عليه يوسف بن محمد ابن يوسف الثقفى .

فتنفس الصعداء ، وقال : (عن الصلاة خلفـه تسـألنى ؟ أم كرهتَ أن يتـأمر على آل الله من ليس منهم ؟) .

قلت : (عن كلا الأمرين) .

قال : (إن هذا عند الله لعظيم ، فأما الصلاة ففرض لله تعبّد بها خلقه ، فأدّ ما فرض الله تعالى عليك فى كل وقت ، مع كل أحد ، وعلى كل حال ، فإن الذى ندبك لحج بيته وحضور جماعته وأعياده ، لم يخبرك فى كتابه بأنه لا يقبل منك نسكا إلا مع أكمل المؤمنين إيمانا ، ولو فعل ذلك بك لضاق عليك الأمر ، فاسمح يسمح لك) .

قلت : (يزعم أهل العلم أنها ستكون لكم دولة) !! .

فقال : (لا شك فيها ، تطلع طلوع الشمس ، وتظهر ظهورها ، فنسأل الله خيرها ، ونعوذ بالله من شرها ، فخذ بحظ لسانك ويدك منها إن أدركتها) .

قلت : (أو يتخلف عنها أحد من العرب وأنتم سادتها ؟) .

قال : (نعم ، قوم يأبون إلا الوفـاء لمن اصطنعهم ، ونأبى إلا طلبا بحقنا ، فننتصر ويخذلون ، كما نُصر بأولنا أولهم ، ويخذل بمخالفتنا من خالف منهم) .

قال شبيب : (فاسترجعت) .

فقال : (سهّل عليك الأمر ، سنة الله التى قد خلت من قبل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، وليس ما يكون منهم بحاجز لنا عن صلة أرحامهم ، وحفظ أعقابهم ، وتجديد الصنيعة عندهم) .

قلت : (كيف تسلم لهم قلوبكم وقد قاتلوكم مع عدوكم ؟) .

قال : (نحن قوم حُبب إلينا الوفاء ، وإن كان علينا ، وبغض إلينا الغدر ، وإن كان لنا) .

قلت : (أترقب لظهور الأمر وقتا ؟) .

قال : (الله المقدر الموقت ، فإذا قامت النّوحتان بالشام فهما آخر العلامات) .

والنوحتان موت هشام العام وموت محمد بن على - عن أبى جعفر المنصور لعلى أدهم - أعلام العرب ص ٥٢/٥٦ .

وفى رواية شبيب دلالة صادقة على ما كان يتمتع به أبو جعفر من ذكاء ودهاء وصحة توقع ، وإن كان فيما يتصل بالغدر والخيانة نظر ، إذ يمكن الاتفاق والاختلاف ، لأن للسياسة أوجها ، ولها التزامات تخفى على الرؤية القريبة ، فكيف بالبعيدة !! .

(٢)

قال طريف بن تميم العنبرى :

إن قناتى لنبع لا يؤيّسها ... غمز الثقاف ولادُهن ولانار
متى أجرْ خائفا تأمن مسارحه ... وإن أخف آمنا تقلق به الدار
إن الأمور إذا أوردتها صدرت ... إن الأمور لها وِرد وإصدار

قال أبو جعفر لمن أنشده هذه الأبيات : (ويحك ! وما كان طريف فيكم حيث قال هذا الشعر ؟) .

قال : (كان أثقل العرب على عدوه وطأة ، وأدركهم بثأر ، وأعينهم نقيبة ، وأعساهم - أصلبهم - قناة لمن رام هضمه ، وأقراهم لضيفه ، وأحوطهم من وراء جاره .. اجتمعت العرب بعكاظ ، فكلهم أقرّ له بهذه الخلال ، غير أن امرءاً أراد أن يقصّد به ، فقال : والله

، ما أنت ببعيد النجعة ، ولا قاصر الرمية ، فدعاه ذلك إلى أن جعل على نفسه ألا يأكل إلا لحم قنص يقتنصه ، ولا ينزع كل عام عن غزوة يُبعد فيها أثره) .

قال أبو جعفر : (يا أخا بنى تميم ، لقد أحسنت إذ وصفت صاحبك ، ولكننى أحق ببيتيه[1] منه ، أنا الذى وصف لا هو) .

وذكروا (أن المنصور كان شغله فى صدر نهاره بالأمر والنهى والولايات والعزل وشحن الثغور والأطراف وأمن السبل والنظر فى الخراج والنفقات ومصلحة معاش الرعية ، لطرح عالتهم ، والتلطف لسكونهم وهدوئهم ، فإذا صلى العصر جلس لأهل بيته إلا من أحب أن يسامره ، فإذا صلى العشاء الآخرة نظر فيما ورد عليه من كتب الثغور والأطراف والآفاق ، وشاور سُماره من ذلك فيما أرب ، فإذا مضى ثلث الليل قام إلى فراشه ، وانصرف سماره ، فإذا مضى الثلث الثانى ، قام من فراشه ، فأسبغ وضوءه ، وصفّ فى محرابه حتى يطلع الفجر ثم يخرج فيصلى بالناس ، ثم يدخل فيجلس فى إيوانه) ـ الطبرى حـ ٨ ص ٧٠ .

كان رجل دولة فى الدرجة الأولى ، فما هو من شأن تدعيم الدولة نهض به ، مهما غلت التضحيات ، ومن هنا كان على حذر دائم ، وكان أقرب إلى سوء الظن ، حتى بأقرب الناس إليه ، وكان على علم بأقدار الرجال ، ومن ثم لم يكن ليفرط فى رجل وثق بالاستفادة منه ، كما أنه لم يكن ليبقى على من لا يطمئن إليه .

(٣)

قال يحيى بن سُليم ، كاتب الفضل بن الربيع : (لم يُر فى دار المنصور لهوٌ قط ، ولا شئ يشبه اللهو والعبث) .

وقال إبراهيم بن صالح : (كنا فى مجلس ننتظر الإذن فيه على المنصور ، فتذاكرنا الحجاج ، فمنا من حمده ، ومنا من ذمه ، فكان ممن حمده معن بن زائدة ، وممن ذمه الحسن ابن زيد ، ثم أذن لنا فدخلنا على المنصور ، فانبرى الحسن بن زيد ، فقال : يا أمير المؤمنين ما كنت أحسبنى أبقى حتى يذكر الحجاج فى دارك ، وعلى بساطك ، فيُثنى عليه ، فقال أبو جعفر : وما استنكرت من ذلك ؟ رجل استكفاه قوم فكفاهم ، والله لوددت مثل الحجاج ، حتى أستكفيه أمرى ، وأنزله أحد الحرمين) ـ الطبرى ٨ ص ٦٣ و ٦٩ .

---

١ ـ هناك من يستخدم المثنى للدلالة على الجمع ، والعامية عندنا تفعل هذا ، وقد يكون المراد البيتان الأولان .

لم تمنعه عداوته للأمويين أن يقول الحق فى رجل أقام دولتهم ، ولعله أراد بهذا أن يكشف للآخرين عن مشروعية اتخاذ سياسة الحجاج فى إقامة دولة العباسيين .

وقد روى عنه قوله : (ما أحوجنى أن يكون على بابى أربعة نَفَرٍ ، لا يكون على بابى أعفّ منهم ، هم أركان الدولة ، لا يصلح الملك إلا بهم ، أما أحدهم فقاض لا تأخذه فى الله لومة لائم ، والآخر صاحب الشرطة ، ينصف الضعيف من القوى ، والثالث صاحب خراج ، يستقصى ولا يظلم الرعية ، ثم عضّ على إصبعه السبابة ثلاث مرات ، يقول فى كل مرة : آه ، آه ، قيل : ما هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : صاحب بريد يكتب خبر هؤلاء على الصحة) ـ أى جهاز استخبارات .

وهذا يعنى أن الرجل على علم تام بالإدارة ونظام الحكم .

(٤)

كان وجود يزيد بن عمر بن هبيرة فى واسط ـ من قبل الأمويين ـ شوكة فى جنب العباسيين ، وكانت المناوشات قائمة حول أبواب المدينة وأسوارها ، وأَبَى ابن هبيرة الاستسلام ، بعد موقعة الزّاب ، وهزيمة مروان بن محمد ، وكان أبو جعفر المنصور على رأس الجيش الذى وجهه أبو العباس لتحرير واسط ، فلما طال حصار المدينة أرسل أبو جعفر إلى ابن هبيرة يقول : (ما لكم تتسترون وراء الخنادق والأسوار مثل النساء ؟) .

فرد عليه ابن هبيرة يقول : (إنى خارج يوم كذا بنفسى ، وداعيك إلى المبارزة أمام الناس ، إن كنت تفعل) .

فكتب إليه المنصور : (إنك متعدّ طورك ، جار فى عنان غيك ، يعد الله ما هو مصدقه ، ويمنّيك الشيطان ما هو مكذبه ، ويقرب ما الله مباعده ، فرويدا يتم الكتاب أجله ، وقد ضربت مثَلى ومثَلك : بلغَنى أن أسدا لقى خنزيرا ، فقال له الخنزير : قاتلنى ، فقال الأسد : إنما أنت خنزير ، ولست بكُفْءٍ لى ولا نظير ، ومتى قاتلتك فقتلتك ، قيل لى : قتل خنزيرا ، فلا أعتقد فخرا ولا ذكرا ، وإن نالنى منك شىء كان سُبّة علىّ ، فقال الخنزير : إن لم تفعل أعلمت السباع أنك جبنت عن قتالى ، فقال الأسد ، احتمال عار كذبك علىّ أيسر من تلطيخ شاربى بدمك) .

لم يكن أبو جعفر ليقع فى مصيدة ابن هبيرة ، لا عن جبن ، ولكن عن حسن تقدير ، فابن هبيرة (بطل) فى دولة زائلة ، محاصر لا يلبث أن يستسلم ، كالثمرة التى أصابها عطب ، وأبو جعفر رجل دولة قائمة ، بل هو رجلها الأحق بها من أبى العباس ، فهو الأكبر سنا وقدراً وتجربة ، لكن أبا العباس ابن الحارثية العربية ، وأبو جعفر ابن سلامة الجارية المجلوبة من المغرب ، من قبيلة صنهاجة ، ومن ثم فالتورط فى مبارزة حمق ، ولا ريب فى أن ابن هبيرة يعرف من خصمه ما يعرف خصمه منه ، ولم يكن عرض المبارزة إلا جواب التستر خلف الخنادق كالنساء ، أى أنه كلام مقابل كلام .

والواقع أن حصار أبى جعفر كان شديدا على ابن هبيرة ، حتى ليروى أنه قال : (ما رأيت رجلا قط فى حرب ، ولا سمعت به في سلم ـ أنكر ، ولا أمكر ، ولا أشد تيقظا ، من أبى جعفر ، لقد حصرنى تسعة أشهر ، ومعى فرسان العرب ، فجهدنا بكل الجهد أن ننال من عسكره شيئا ، فما تهيأ لنا ، وقد حصرنى ، وما فى رأسى شعرة بيضاء ، فخرجت إليه وما فى رأسى شعرة سوداء) .

وجرت السفارة بينهما ، حتى جعل له أبو جعفر أمانا ، مكث يشاور فيه العلماء أربعين يوما ، حتى رضيه ، فأنفذه إلى أبى جعفر ، وأنفذه أبو جعفر إلى أخيه أبى العباس ، فأمره بإمضائه ، ثم شاور أبا مسلم فى الأمر ، فكتب إليه : (إن الطريق السهل إذا ألقيت فيه الحجارة فسد ، ولا يصلح طريق فيه ابن هبيرة) .

فكتب أبو العباس إلى أبى جعفر : (والله لتقتلنه ، أو لأرسلن إليه من يخرجه من حجرتك ، ثم أتولى قتله) .

فلم يجد أبو جعفر مناصا من النزول على رأى أبى العباس ، (وقتل ابن هبيرة ، وقتل معه جماعة من صناديد العرب ، ولم ينج غير معن بن زائدة الشيبانى)[١] .

وكان لمعن هذا دور كبير فى الذود عن أبى جعفر ، يوم خرج لقتال الراوندية ، وكادوا يفتكون به ، ومن ثم حفظ أبو جعفر له هذه المأثرة ، وجعله بين رجاله ، وغفر له من زلاته ، ولو أنه عفا عمن قتل من (صناديد العرب) ، لوجد لهم مآثر ، وازداد بهم عزة ومنعة ، ولم يحوجه الأمر إلى قتل أبى مسلم وآلاف من أنصار أبى مسلم ، وممن خرجوا للثأر

١ ـ النصوص من كتاب (أبو جعفر المنصور) لعلى أدهم ـ سلسلة أعلام العرب .

له ، ولم يكن حفدته فى حاجة إلى قتل البرامكة ، أو استبدال قوة الترك بقوة الفرس ، إذ كان سيحدث توازنا بين القوات يساعد على حقن الدماء .

(٥)

حين خرج محمد بن عبد الله (العلوى) بالمدينة ـ بإيعاز من أبى جعفر ، توطئة للقضاء عليه ـ صعد فى منبر الرسول ، وقال :

(أما بعد ، فإنه كان من أمر هذا الطاغية ، عدو الله ، أبى جعفر ، ما لم يخفَ عليكم من بنائه القبة الخضراء التى بناها معاندة لله فى ملكه ، وتصغيرا للكعبة الحرام ، وإنما أخذ الله فرعون حين قال : ﴿ أنا ربكم الأعلى ﴾ ، وإن أحق الناس بالقيام بهذا الدين أبناء المهاجرين الأولين والأنصار المواسين ، اللهم إنهم قد أحلوا حرامك ، وحرموا حلالك ، وأمّنوا من أخفت ، وأخافوا من أمّنت ، اللهم فأحصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تغادر منهم أحدا) .

كلام يخلو من المنطق السليم والحجج المقبولة ، فما زاد عن اتهامات وشتائم ، وكان أحرى به أن يبين للناس الأخطاء الحقيقية للنظام القائم ، وأثر هذه الأخطاء فى حياة القوم ، وأن يبين ماذا يقدم للناس حين يلى هذا الأمر بمناصرتهم إياه ، وإلا فما جدوى أن تراق دماء فى سبيل من لا يعرفون من أمر ولايته ، ألأنه ابن الأكرمين ؟ لا ريب فى أن كثيرين يشاركونه فى هذا النسب الشريف ، فكيف يفضلون رجلا على آخر ؟! .

☐ أرسل المنصور إلى عمه عبد الله بن على ـ وهو محبوس عنده ـ (إن هذا الرجل قد خرج ، فإن كان عندك رأى فأشر به علينا) .

لم يكن المنصور يفتقد الرأى والحيلة ، وهو الذى أوحى بخروج هذا (العلوى) ، فلا شك فى أنه قبل أن يعمل على خروجه كان قد أعد للقضاء عليه ، إنما ـ شأن الداهية الحازم الحكيم ـ أراد أن يستفيد من خبرة عمه اللدود ، وأيضا أن يتعرف على مخزون هذا العم الطموح .

فأرسل إليه عبد الله : (إن المحبوس محبوس الرأى) .

قال المنصور : (لو جاءنى حتى يضرب بابى ما أخرجتك ، وأنا خير لك منه ، وهو ملك أهل بيتك) .

قال عبد الله : (ارتحل الساعة حتى تأتى الكوفة ، فاجثم على أكتافهم ، فإنهم شيعة هذا البيت وأنصاره ، ثم احففها بالمسالح ، فمن جرّه منهم إلى وجه من الوجوه فاضرب عنقه ، وابعث إلى سلم بن قتيبة ينحدر إليك ـ وكان بالرى ـ واكتب إلى أهل الشام ، فمرهم أن يحملوا إليك من أهل البأس والنجدة ما حمل البريد ، فأحسن جوائزهم ، ووجههم مع سلْم) .

ففعل المنصور ما أشار به .

وكتب إلى محمد بن عبد الله : (ولك علىّ عهد الله وميثاقه وذمة رسوله ـ ﷺ ـ إن تبتَ ورجعت من قبل أن أقدر عليك ، أن أؤمنك على نفسك وولدك وإخوتك وأهل بيتك ومن اتبعكم ، على دمائكم وأموالكم ، وأسوّغك ما أصبت من دم أو مال ، وأعطيك ألف ألف درهم ، وما سألتَ من الحوائج ، وأنزلك من البلاد حيث شئت ، وأن أطلق من فى حبسى من أهل بيتك ، وأن أؤمن كل من جاءك وبايعك واتبّعك أو دخل معك فى شىء من أمرك ، ثم لا أتبع أحدا منهم بشىء كان منه أبدا ، فإن أردت أن تتوثق لنفسك توجّه إلى من أحببت يأخذ لك من الأمان والعهد والميثاق ما تثق به) .

لو أن أبا جعفر صادق فيما قدم لدلّ على خوفه من خروج العلوى ، لكن أبا جعفر كان على غير ذلك ، لهذا جاء رد محمد بن عبد الله : (وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذى عرضت علىّ ، فإن الحق حقنا ، وإنما ادعيتم هذا الأمر بنا ، وخرجتم له بشيعتنا ، وحظيتم بفضلنا ، وإن أبانا عليّا كان الوصى ، وكان الإمام ، فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ، ثم قد علمت أنه لم يطلب هذا الأمر أحد له مثل نسبنا وشرفنا وحالنا وشرف آبائنا) .

فكتب أبو جعفر : (وأمّا ما فخرت به من علىّ وسابقته ، فقد حضرت رسول الله ـ ﷺ ـ الوفاة فأمر غيره بالصلاة ، ثم أخذ الناس رجلا بعد رجل فلم يأخذوه ، وكان فى الستة فتركوه كلهم دفعا له عنها ، ولم يروا له حقا فيها ، أما عبد الرحمن بن عوف فقدم عليه عثمان ، وقتل عثمان وهو له متهم ، وقاتله طلحة والزبير ، وأبى سعْد بيعته ، وأغلق دونه بابه ، ثم بايع معاوية بعده ، ثم طلبها بكل وجه ، وقاتل عليها ، وتفرق عنه أصحابه ، وشك فيه شيعته قبل الحكومة ، ثم حكّم حكمين رضى بهما ، وأعطاهما عهده وميثاقه ، فاجتمعا على خلعه ، ثم كان حسن فباعها من معاوية بخرق ودراهم ، ولحق بالحجاز ، وأسلم شيعته بيد معاوية ، ودفع الأمر إلى غير أهله ، وأخذ مالا من غير ولاته

ولا حلّه ، فإن كان لكم فيها شيء فقد بعتموه وأخذتم ثمنه ، ثم خرج عمك الحسين ابن علىّ علَى ابن مرجانة ، فكان الناس معه عليه ، حتى قتلوه ، وأتوا برأسه إليه ، ثم خرجتم على بنى أمية ، فقتلوكم وصلبوكم على جذوع النخل ، وأحرقوكم بالنيران ، ونفوكم من البلدان ، حتى قتل يحيى بن زيد بخراسان ، وقتلوا رجالكم ، وأسروا الصبية والنساء ، وحملوكم بلا وطء فى المحامل كالسبى المجلوب إلى الشام ، ثم خرجنا عليهم ، فطلبنا بثأركم ، وأدركنا بدمائكم ، وأورثناكم أرضهم وديارهم وأموالهم) .

فلما قرب جيش المنصور من المدينة تحت قيادة عيسى بن موسى وحميد بن قحطبة خطب محمد بن عبد الله فى أنصاره : (إن هذا الرجل قد قرب منكم فى عدد وعدة ، وقد حللتكم من بيعتى ، فمن أحب المقام فليقم ، ومن أحب الانصراف فلينصرف) .

غالى الرجل فى (مثاليته) فخانته ، وانصرف عنه خلق كثير ، وفُتّ فى عضد من وقفوا معه ، ولم يزل يقاتل حتى ضربه رجل دون شحمة أذنه ، فبرك لركبته ، وجعل يذبّ عن نفسه ، فطعنه حميد بن قحطبة فى صدره ، فصرعه ، ثم نزل إليه فأخذ رأسه ، وأتى به عيسى ، فأرسل إلى المنصور ، فأمر أن يطاف به فى الكوفة ، وفى الآفاق ، وأرسل معه رءوس بنى شجاع الذين ناصروه .

☐ يعلق الأستاذ على أدهم على هذه الأحداث بقوله : (كانت مثالية على بن أبى طالب العالية تعيش فى نفوس أبنائه وذريته ، ولذلك كانت تغلب عليهم النزعة الروحية ، وإيثار العدالة ، واتباع الحق ، ومجافاة الدسائس ، واستغلال نواحى الضعف فى الطبيعة الإنسانية ، وكانوا يطلبون المجد المؤثل ، ويسعون لبلوغ المكانة اللائقة بهم ، والجديرة بماضيهم[1]) .

على حين التزم العباسيون برنامجا دينيا وسياسيا واجتماعيا ساروا بمقتضاه ، ومن ثم فشلت كل المحاولات التى قام بها العلويون منذ الحسين ، حتى قامت دولة الفاطميين باسمهم ، حين ضعف العباسيون والأمويون بالمغرب ، وسهل جذب قبائل البربر بشعارات ذات بريق .



١ ـ أبو جعفر المنصور ـ أعلام العرب ـ عدد ٨٢ ص ١٢٦ .

رجل دولـــة ..

قال ابن طباطبا في الفخرى ص ١٥٥ : (لم تكن الوزارة في أيام المنصور طائلة ، لاستبداده واستغنائه برأيه وكفاءته ، مع أنه كان يشاور في الأمور دائما ، وإنما كانت هيبته تصغر لها هيبة الوزراء ، وكانوا لا يزالون على وجل منه وخوف ، فلا يظهر لهم أبهة ولا رونق) .

كان أبو أيوب سليمان بن مخلد المورياني وزير أبي العباس ، بعد أبي سلمة الخلال ، ثم قلده المنصور الدواوين مع الوزارة ، وغلب عليه غلبة شديدة ، وصرف أهله جميعا في الأعمال، حتى قالت العامة : إنه قد سحر أبا جعفر ، واتخذ دهنا يمسحه على وجهه ، إذا أراد الدخول عليه .

وكان للحبْل الذى مده أبو جعفر أن ينقطع ، فحبسه ، وحبس أخاه خالدا وبني أخيه ، مسعودا وسعيدا ومخلدا ومحمدا ، وطولبوا بالأموال ، وعذبوا ، وضيق عليهم ، حتى استرد ما أخذوه ، ومات أبو أيوب وأخوه في السجن ، وقُتل بنو أخيه .

كان أبو جعفر يغلو في الانتقام ، وبخاصة فيما يتصل بالدولة التى نذر نفسه لقيامها وتدعيم أركانها ، حتى قال له عمه عبد الصمد بن على : (لقد هجمت بالعقوبة ، حتى كأنك لا تسمع بالعفو) .

قال أبو جعفر : (لأن بنى مروان لم تبلَ رممهم ، وآل أبي طالب لم تغمد سيوفهم ، ونحن بين قوم رأونا أمْس سوقةً ، واليوم خلفاء ، فليس تتمهد هيبتنا في صدورهم إلا بنسيان العفو ، واستعمال العقوبة) .

ولا شك في أن هذا الفهم للدولة الجديدة يعمى عما هو ـ عرفا وشرعا ـ حق وعدل ، وثمة أمثلة كثيرة تؤكد أن أبا جعفر شغلته (الدولة) عن كل قيمة ، حتى تخلى عن واجباته نحو نفسه ، بحجة أن (من قل ماله قل رجاله ، ومن قل رجاله قوى عليه عدوه ، ومن قوى عليه عدوه اتضع ملكه ، ومن اتضع ملكه استبيح حماه) .

لكن ليس إلى حد أن يسمى في الناس (أبا الدوانيق) ، وتحكى عنه حكايات تؤلف كتابا في البخل .

قالوا : إنه كان يحاسب العمال والصناع على الحبة والدانق .

وكتب إلى عامله بالمدينة يقول : (بِعْ ثمار الضياع ، ولا تبعها إلا من تغلبه ولا يغلبنا ، فإنما يغلبنا المفلس الذى لا مال له ، ولا رأى لنا فى عذابه ، فيذهب بمالنا قبله ، ولو أعطاك جزيلا ، وبعْها من الممكن بدون ذلك ، ممن ينصفك ويوفيك) .

وهذا قد يمثل حذقًا اقتصاديا ، يُقبل من ولاته وعماله والقائمين على جَمْع الخراج ، أمّا من الخليفة فالأمر مختلف .

وحدث أثناء بناء بغداد أن كان يقف على رأس البنائين ، ويُحصى عليهم عدد اللَّبنات .

ولما أراد بناء سور الكوفة وحَفْر خندق لها ، أمر بقسمة خمسة دراهم على أهل الكوفة ، ليحصى عدد السكان ، فلما عرف عددهم أمر بجبايتهم أربعين درهما من كل فرد ، فجُبوا ، ثم أمر بإنفاق ما جمع على السور والخندق ، وفى هذا قال شاعرهم :

يا لقومى ما لقينا ... من أمير المؤمنينا
قسم الخمسة فينا ... وجبانا الأربعينا

عمل أقرب إلى النصب والاحتيال وطيب المزاح !! .

واتفق أنه كان منصرفا من الحج ، ومر بالمدينة ، فطلب حاديا يحدوه بشعر طريف العنبرى :

إني - وإن كان ابن عمى كاشحا - ... لمزاحم من دونه وورائه
ومُمِدّه بصرى ، وإن كان امرءاً ... متزحزحا فى أرضه وسمائه

وأعجب المنصور بحدائه ، مع أن معنى البيتين يخالف سياسة المنصور ، وأمر للحادى بدرهم .

قال الحادى : (يا أمير المؤمنين ، حدوتُ بهشام بن عبد الملك ، فأمر لى بعشرين ألف درهم ، وتأمر لى أنت بدرهم ؟!) .

فقال المنصور : (إنا لله ، ذكرت ما لم نحب أن نذكره ، ووصفت رجلا ظالما ، أخذ مال الله من غير حِلّه ، وأنفقه فى غير حقه) .

ثم أشار إلى الربيع : (اشدد يديك به حتى يرد المال) .

فبكى الرجل ، وقال : (يا أمير المومنين ، قد مضت هذه السنون ، وقُضيت به الديون ، وتمزقته النفقات ، ولا والذى أكرمك بالخلافة ما بقى عندى منه شىء) .

ولم يستجب المنصور لبكاء الرجل ، حتى تشفّع له رجال حاشيته .

كتب إليه زياد بن عبيد الحارثى يسأله الزيادة فى عطائه وأرزاقه ، وتأنق فى الكتابة وأبلغ ، فوقّع المنصور فى الكتاب : (إن الغنى والبلاغة إذا اجتمعا فى رجل أبطراه ، وأمير المؤمنين يشفق عليك من ذلك ، فاكتفِ بالبلاغة) .

ورفع إليه رجل من العامة رقعة فى بناء مسجد فى محلته ، فوقّع فى رقعته : (من أشراط الساعة كثرة المساجد ، فزد فى خُطَاكَ تزدد من الثواب) .

وهذا رأى قد يكون حميدا ، إذا غالى الناس فى بناء المساجد ، كما فى أيامنا هذه ، مع انتشار الجهل والفقر والمرض ، ومع كثرة ديون الحاكم والمحكوم .

☐ ومهما كثرت الروايات فى هذا الجانب ، فإنها لا تطبع أكثر من ابتسامة رقيقة على الشفاه ، وبخاصة أن الرجل كان (يعرف بلباس جبة هروية مرقوعة ، وأنه يرقع قميصه) .

روى الطبرى ــ حـ ٨ ص٨٠ وما بعدها ــ أن محمد بن سليمان الهاشمى عاده ــ وقد أخذ الدواء فى يوم شديد البرد ــ فوجده فى (حجيرة صغيرة ، فيها بيت واحد ، ورواق بين يديه فى عرض البيت وعرض الصحن ، على أسطوانة ساج ، وقد سدل على وجه الرواق بدارى ــ حصير منسوج ــ كما يصنع بالمساجد) ، قال : (فدخلت ، فإذا فى البيت مِسْح ليس فيه شىء غيره إلا فراشه ومرافقه ودثاره ، فقلت : هذا بيت أربأبك عنه ، فقال : يا عم ، هذا بيت مبيتى ، قلت : ليس هنا غير هذا الذى أرى ؟! قال : ما هو إلا ما ترى) .

فلما استشعر الموت وأراد أن يوصى ابنه المهدى ، قال : (وعلىَّ دين ، فأحبّ أن تقضيه وتضمنه ، قال : هو علىّ ، يا أمير المؤمنين ، قال : فإنه ثلاثمائة ألف درهم ونيف ، ولست استحلها من بيت مال المسلمين ، فاضمنها عنى ، وما يفضى إليك من الأمر أعظم منها ، قال : أفعل ، هو علىّ ، قال : وهذا القصر ليس هو لك ، هو لى ، وقصرى بنيته بمالى ، فأحب أن تصيّر نصيبك منه لإخوتك الأصاغر ، قال : نعم) .

وصية تثير أكثر من تساؤل ، لكنها فى الظروف التى عاشها المنصور ، ظروف نشأت فى حضن إسراف وبذخ دولة بنى أمية ، وفى حضن خراج دولة يجرؤ صاحبها على أن يقول للسحابة : (أمطرى حيث شئت ، فسيأتينى خراجك) ـ يمكن أن نعظم من شأن رجل غضب على محمد بن جُميْل الكاتب ، فأمر ببطحه ، فقام بحجته ، فأمر بإقامته ، ونظر إلى سراويله ، فإذا هو كتان ، فأمر ببطحه ، وضربه خمس عشرة دِرّة ، وقال : لا تلبس سراويل الكتان ، فإنه من السرف ـ المصدر السابق .

☐ ومع هذا ، فالرجل لم يكن يبخل بشىء فى سبيل الجيش ، وفى سبيل كسب من يعين على قيام الدولة وتماسكها .

(وعد محمد بن عبد الله ـ لما خرج عليه ، إذا رجع إلى طاعته ، من قبل أن يقدر عليه ـ أن يعطيه ألف ألف درهم) .

آثر أن يحقن الدمـاء ، ويعطى أجـزل العطاء ، على أن يبعث البعوث ، وينفق فى تجهيزهـا .

(أنفق ثلاثة وستين ألف درهم على جيش واحد ، كان مؤلفا من خمسين ألفا ، وجهه إلى أفريقية لقتال الخوارج) ـ الإسلام والحضارة العربية ـ محمد كرد على ـ حـ ٢ ص ١٩٧/ ١٩٨ .

أى أن الرجل كان يحدوه الحزم فى التقتير والإغداق .

قرأ الهيثم عنده : ﴿ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ﴾ ، فقال لمن حضروا مجلسه : (لولا أن الأموال حِصْن السلطان ، ودعامة للدين والدنيا ، وعزهما وزينتهما ، ما بتّ ليلة وأنا أحرز منه دينارا ولا درهما ، لما أجد لبذل المال من اللذاذة ، ولما أعلم فى إعطائه من جزيل المثوبة) ـ الطبرى حـ ٨ ص ٨٨ .

عن زيد مولى عيسى بن نَهيك قال : دعانى المنصور بعد موت مولاى ، فقال : يا زيد قلت : لبيك يا أمير المؤمنين ، قال : كم خلّف أبو زيد من المال ؟ قلت : ألف دينار أو نحوها ، قال : فأين هى ؟ قلت : أنفقتها الحرة فى مأتمه ، قال : فاستعظم ذلك ، وقال : أنفقت الحرة فى مأتمه ألف دينار !! ما أعجب هذا !! ثم قال : كم خلّف من البنات ؟ قلت : ستًا ، فأطرق مليا ، ثم رفع رأسه ، وقال : اغدُ إلى باب المهدى ،

فغدوت ، فقيل لى : أمعك بغال ؟ قلت : لم أومر بذلك ولا بغيره ، ولا أدرى لم دعيت ! قال : فأُعْطِيت ثمانين ومائة ألف دينار ، وأُمِرت أن أدفع إلى كل واحدة من بنات عيسى ثلاثين ألف دينار ، ثم دعانى المنصور ، فقال : أقبضت ما أمرنا به لبنات أبى زيد ؟ قلت : نعم ، يا أمير المؤمنين ، قال : اغدُ علىّ بأكفائهن ، حتى أزوجهن منهم ، قال : فغدوت عليه بثلاثة من ولد العكّى ، وثلاثة من آل نهيك . من بنى عَمهن ، فزوج كل واحدة منهن على ثلاثين ألف درهم ، وأمر أن تحمل إليهن صدقاتهن من ماله ، وأمرنى أن أشترى بما أمر به لهن ضياعا يكون معاشُهن منها ، ففعلت ذلك ـ الطبرى حـ ٨ ص ٨٤ .

قال الهيثم : فرّق أبو جعفر على جماعة من أهل بيته فى يوم واحد عشرة آلاف درهم ، وأمر للرجل من أعمامه بألف ألف ، ولا نعرف خليفة قبله ولا بعده وصل بها أحدا من الناس ـ المصدر السابق .

وجاء فى وصيته المهدى : (وأوصيك بأهل بيتك ، أن تظهر كرامتهم وتقدمهم ، وتكثر الإحسان إليهم ، وتعظم أمرهم ، وتوطئ الناس أعقابهم ، وتوليهم المنابر ، فإن عِزّك عزهم ، وذكرهم لك .. وانظر مواليك ، فأحسن إليهم ، وقربهم ، واستكثر منهم ، فإنهم مادتك لشدة إن نزلت بك) ـ المصدر نفسه ص ١٠٣ .

(٢)

خطب المنصور فى يوم عرفة على منبر بغداد :

(أيها الناس : إنما أنا سلطان الله فى أرضه ، أسوسكم بتوفيقه وتسديده ، وأنا خازنه على فيئه ، أعمل بمشيئته ، وأقسمه بإرادته ، وأعطيه بإذنه ، قد جعلنى الله عليه قفلا ، إذا شاء أن يفتحنى لأعطياتكم وقسم فيئكم وأرزاقكم فتّحنى ، وإذا شاء أن يُقفلنى أقفلنى ، فارغبوا إلى الله ، أيها الناس ، وسلوه فى هذا اليوم الشريف الذى وهب لكم فيه من فضله ما أعلمكم به فى كتابه ، إذ يقول تبارك وتعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، وضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ ـ أن يوفقنى للصواب ، ويسددنى للرشاد ، ويلهمنى الرأفة بكم والإحسان إليكم ، ويفتحنى لأعطياتكم وقسم أرزاقكم بالعدل عليكم ، إنه سميع مجيب) .

هذه الخطبة قالها أبو جعفر ليلة عيد الأضحى ، أى الليلة التى استجاب فيها الرسول إبراهيم لأمر الله ـ فى رؤياه ـ أن يذبح ابنه ، وهذا يعنى منتهى التسليم بأن الإنسان لا يملك من أمره شيئا ، فالخلق مشدودون إلى الخالق بخيوط رفيعة لا تلبث ـ إذا جلء أجلها ـ أن تنقطع ، وتصبح فى عالم الناس نسيا منسيا ، أو مجموعة من التراب ، قد تصبح سمادا ، أو فى حائط ، أو فى دولاب فخار ، أو تذروها الرياح .

والناس ليلة العيد يطلبون الأعطيات ، وقد يبالغون فى طلبها ، فكل منهم يريد أن يقدم أضحيته ، ويوسّع على أهله ومن يلوذون به .

والمعروف أن أبا جعفر كان حريصا على مال المسلمين ، لا ينفقه إلا بحقه ، فى الصالح العام ، وفى حدود الحاجة الماسة ، فالمال فى رأيه ـ وفى رأى ذوى الحزم والتدبير ـ (حصن السلطان ، ودعامة الدين والدنيا) .

رفع رجل من العامة إليه رقعة فى بناء مسجد ، فقال : (من أشراط الساعة كثرة المساجد) .

كان بوسعه أن يهمل الرقعة ، وألا يسجل على نفسه هذا القول الذى يثير أقاويل ، لكنه يعلم أن الأرض جعلت للمسلمين مسجدا وطهورا ، ومن ثم فكثرة أبنية المساجد سرف ، لا حاجة إليه .

فإذا قال فى خطبته أنه ـ وقد تولى أمر المسلمين ـ لا يملك أن يقضى فى (مال الله) الذى أفاء به على المسلمين إلا بإرادة الله وتوفيقه ، إذ إنه ليس إلا (خازنه على فيئه) ـ انبرت قرون الشيطان تعلن أن أبا جعفر ادعى أنه (ظل الله فى أرضه) ، وخلع على الخلافة لونا من القداسة ، إذ قال : (أنا سلطان الله فى أرضه) ، مع أن الرجل يريد أن يقول : أنا لا أملك من الأمر شيئا ، فالسلطان سلطان الله ، والأرض أرض الله ، والمال مال الله ، وما أنا بتوليتى هذا الأمر إلا خازن ، ليس لى أن أفعل إلا ما يريد الله ، مجرد (قفل) ، (إذا شاء أن يفتحنى فتحنى ، وإذا شاء أن يقفلنى أقفلنى) ، وهذه المشيئة مدوّنة فى كتاب الله وسنة رسوله ، إذاً فهو مقيد بطاعة الله وطاعة رسوله .

أيكون أبو جعفر بهذا قد قال هُجرا ، ونطق كفرا ؟! أيكون قد خلع على نفسه خلعة غير (بشرية) ، وهو يلبس (جبة هروية مرقعة) ، ويبيت فى بيت من الحصير ؟! .

ألم يقل الرسول الكريم ما معناه : (أنا قاسم والله معط) ؟! .

أليس الله مالك الملك كله ، ونحن من ملك الله ، فى ملك الله ، لا نملك إلا ما يريد الله أن يكون ؟! .

ألم يقرأ أبو جعفر فى كتاب الله : **﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير ﴾** ؟! .

وهل إذا طلب المنصور - (فى هذا اليوم الشريف) - من المسلمين ، أن يسألوا الله أن (يوفقه للصواب ، ويسدده للرشاد) ، يكون قد تحول إلى (طوطم) ، أو إلى (وثن) ، أو إلى (نبى الله ستالين) ، كما قال أحد رجال الدين (المتحررين) سنة ١٩٥٣ ؟! .

من العجيب أن قرون الشيطان هذه تمسك بتلابيب معاوية أيضا ، بسبب عبارة كهذه ، ليدينوا مؤسس الدولة الأموية ، بما أدانوا به مؤسس الدولة العباسية .. ولأن معاوية حصل على الخلافة من خلال مقتل عثمان ، فقد أدانوا عثمان أيضا بمثل هذا القول !! .

ألا ترون كيف تدب الحياة فى عظام (الشياطين) بعد أن انهدم معبد (الشمولية) على (جثث) كهنته ، وبعد أن نفضت الأوهام أثقالها ، وهى تمزق أسمالها ، وتخوض أوحالها ؟! .

(٣)

كيف نفترى على المنصور أنه يؤمن بنظرية حق الملوك الإلهى التى سادت فى العصر الوسيط ، لعبارة قالها فى موقف دينى ، لا تخرج عن حدود (النص) الدينى ؟! .

أمن كان هذا شأنه يمكن أن يكون موقفه من (الرعية) ، ومن رجال الدين خاصة ما تحكيه هذه الأخبار ؟! .

كتب إلى سوار بن عبد الله قاضيه على البصرة : (انظر إلى الأرض التى اختصم فيها فلان القائد وفلان التاجر ، فادفعها إلى القائد) .

فكتب إليه سوار : إن البيّنة قد قامت عندى أنها للتاجر ، فلست أخرجها من يده إلا ببينة) .

فكتب إليه المنصور : (والله الذى لا إله إلا هو لتدفعنها إلى القائد) .

فلم يتردد سوار أن يكتب إليه : (والله الذى لا إله إلا هو لا أخرجها من التاجر إلا بحق) .

فلما جاءه الكتاب سُرّ به ، وقال متفاخرا : (ملأتها والله عدلا ، وصار قضاتى تردّنى إلى الحق) .

هذا خبر رواه السيوطى فى تاريخ الخلفاء ص ٢٦٥ ، وهو ـ إن صح ـ يكشف عن ضعف المنصور وقوة القاضى ، بالرغم من العبارة الأخيرة التى تكشف عن (انخذال) المنصور ، ومحاولة تبرير هذا الانخذال .

واتفق ـ أثناء حضور سوار مجلسه ـ أن عطس ، فلم يشمّته سوار ، فقال له المنصور : (ما يمنعك من التشميت ؟) ، فأجاب سوار : (لأنك لم تحمد الله) ، فقال : (قد حمدت الله فى نفسى) ، فقال سوار : (وأنا شمتُّك فى نفسى) .

الذى يحرص على (حق الملوك الإلهى) لا ينزل إلى هذا المستوى من التبسط ، حتى مع القضاة ، بل يجعل بينه وبين الآخرين حاجزا ، بقدر ارتباطه بالله ، سبحانه .

وهذا سفيان الثورى الفقيه ، يلتقى فى الطواف بأبى جعفر ، فيقول له : (ما الذى يمنعك أبا عبد الله أن تأتينا ؟) ، فيجيب الثورى : (إن الله نهانا عنكم ، فقال : ﴿ **ولا تركنوا إلى الذين ظلموا ، فتمسكم النار** ﴾ .

أراد أبو جعفر أن يستميله ، فأرسل إليه ، فلما دخل عليه قال له : (سلنى حاجتك أبا عبد الله) ، قال : (وتقضيها يا أمير المؤمنين ؟) ، قال : (نعم) ، قال : (إن حاجتى ألا ترسل إلىّ حتى آتيك ، ولا تعطينى شيئا حتى أسألك) ، ثم خرج .

قال أبو جعفر لحاضرى مجلسه : (ألقينا الحبَّ إلى العلماء فلقطوا ، إلا ما كان من سفيان الثورى ، فإنه أعيانا فرارا) .

ثم أرسل إليه ، فلما دخل عليه قال : (عظنى أبا عبد الله) ، فقال : (وما عملت ـ يا أمير المؤمنين ـ بما علمت ، فأعظك فيما جهلت ؟) .

يجب أن نعلم أن أبا جعفر لم يكن يلتقى بالقضاة والفقهاء على انفراد ، فالمجلس عام ، والناس يسمعون ، ويتحدثون بما يسمعون فى مجالسهم ، وقصته مع أبى حنيفة

روّجتهـا المجـالس ثم الكتب ، وكذلك الشـأن مع الإمـام مالك الـذى أفتى بعدم طلاق المكره ، مما يعنى عدم جواز البيعة بالإكراه ، ومن بايع مكرهاً فهو فى حل من بيعته .

والأمر ليس مقصورا على كبار الأئمة والقضاة .

أقبل المنصور يوما ، والفرج بن فضالة جالس عند باب الذهب ، فقام الناس إليه ، ولم يقم الفرج ، فاستشاط المنصور غيظا وغضبا ، ودعا به ، فقال (ما منعك من القيام مع الناس حين رأيتنى ؟) ، قال الفرج : (خفت أن يسألنى الله تعالى : لم فعلت ؟ ويسألك عنه لم رضيت ؟ وقد كرهه رسول الله ﷺ) ، فسكن غضب المنصور ، وقضى حوائجه ـ العقد الفريد جـ ٢ ص ١٤٦ .

وهذا الموقف ينفى نفيا قاطعا أى دعوى بالتميز وبالحق الإلهى ، فإذا كان الرسول الأعظم بشرا من البشر ، يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ، ويقول **﴿ لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة ﴾** ، ويصفه البارئ سبحانه بقوله : **﴿ ما عليك إلا البلاغ ﴾** ، **﴿ لست عليهم بمسيطر ﴾** ، **﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم ﴾** ـ والمنصور ممن ينتسبون إلى الرسول ، فكيف يطلب ما لم يطلبه الرسول ؟! .

صحيح أن الخليفة العباسى حرص على ارتداء بردة الرسـول ـ ﷺ ـ عند تولى الخلافـة ، وفى الحفلات الدينية ، وتلقب بلقب (الإمام) ، وقد يكون ادّعى أنه نائب عن الرسـول فى حكم المسلمين ـ لكن كل هذه المظاهر لا تدخل إلا فى إطار (سياسى) ، لإيهام الناس ، وكسب تأييدهم ، وبخاصة أن الفُرس كان لهم دور كبير فى قيام الدولة ، و (الحق الملكى المقـدس) من موروثـاتهم عن الأكاسـرة ، فالأمـر بعيـد عن المعتقـد العبـاسى ، وإلا نافسهم فيه العلويون .

وإذا كانت الدعوة العلوية التبست بمفاهيم فارسية وإسرائيلية ، فتلك مرحلة متأخرة ، خلت منها أقوال وخطب الإمام على وأبنائه وحفدته ، وإن اختلطت بألسنة الذين أكلوا على موائدهم ، وركبوا ظهور خيولهم .

ولم يصل هـذا (الدجـل) إلى (سُدّة) الخلافة العباسية إلا بعد أن صار الخلفاء (لعبة) فى أيدى قادة الأتراك والديلم والسلاجقة .

ولو أن ثمة أثـارة من هـذا (الحـق الإلهى المقـدس) فى رأس المنصور لمـا حـارب (الراوندية) الذين زعموا أن الـروح التى كانت فى عيسى ابن مريـم قد انتقلت إلى على

ابن أبي طالب ﷺ ثم حلت في الأئمة العلويين على التوالى ، حتى انتهت إلى الإمام إبراهيم ابن محمد ، أول دعاة الدولة العباسية ، ولاستغلّ هذه الدعوة ، أو عمل على تطويرها ، بدلا من محاربتها ، ومن قبلُ قاتل الإمام على السبئية ، وحرّقهم ، ومع هذا لم يزدهم التحريق إلا بهتانا ، وكفرا ، فقالوا : إنه لا يملك التحريق إلا الله ، ومن ثم فالله قد حلّ في على !! .

ولو أن ثمة أثارة من هذا (الحق الإلهى المقدس) ما جلس المنصور إلى المنجمين ، ولا قربهم منه ، ألم يكن الأجدر أن يعتمد على الوحى ، أو على الإلهام ، أو الإشراق ؟! .

لقد روّج العباسيون لفكر المعتزلة ، ابتداء من المأمون ، والمنصور ذاته كان حريصا على ترجمة العلوم ، والمعروف أن فكر المعتزلة (عقلانى) ، يعتمد على (اختيار) الإنسان لفعله ، وأنه بما كسب رهين ، ومن ثم ، فكل إنسان ـ بدون استثناء ـ قادر على فعل الخير والشر ، بنص قول الله ـ سبحانه ـ **﴿ وهديناه النجدين ﴾** ، وقوله : **﴿ ونفس وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها ﴾** ، أى أنه غير معصوم ، فكيف يتفق هذا الفكر مع ما روّج له (المغالون) من ضعفاء القلوب والعقول وأصحاب الأهواء .

إن محنة (خلق القرآن) وحدها ـ وقد امتد زمنها خلال حكم المأمون والمعتصم والواثق ، وأوذى فيها علماء أفذاذ مثل أحمد بن حنبل ، وأحمد بن نصر بن مالك ، وأبو يعقوب البويطى ، وأشياعهم كثيرون ـ أكبر دليل على أن فكر الحكم العباسى (الأول) كان بعيدا كل البعد عن هذه الدعوى (الفاجرة) .

أبو مسلم الخراساني ..

لأن التاريخ لا يهتم بالرجال إلا إذا حققوا وجوداً تاريخيا ، فإن أوليات أكثر العظماء تخضع لروايات مصطنعة ، واستنتاجات غير يقينية ، وهذا ما كان بشأن أبي مسلم .

قيل : إنه كان في خدمة عيسى بن معقل العجلي ، وإن بكير بن ماهان توسم فيه الذكاء والنشاط وبُعْد الهمة ، فاشتراه بأربعمائة درهم .

وقيل : إنه من قرية (الخطرانية) من سواد الكوفة ، تلك القرية التي كان للمختار الثقفي فيها ضيعة .

وقيل : إنه كان حرا ، واسمه إبراهيم بن عثمان ، من ولد بزرجمهر ، وإنه ولد في أصفهان ، ونشأ في الكوفة ، وكان أبوه أوصى به إلى عيسى بن موسى السراج : يحمله إلى الكوفة ، وكان عمره سبع سنوات ، فلما اتصل بمحمد بن علي ، قال له : (غيّر اسمك فإنه لا يتم لنا الأمر إلا بتغيير اسمك على ما وجدته في الكتب) ، فغير اسمه ، وتسمى عبد الرحمن ، وتكنى بأبي مسلم ، وزوّجه إبراهيم الإمام ابنة عمران بن إسماعيل الطائي ، المعروف بأبي النجم ، وهي بخراسان مع أبيها .

وبما أن إبراهيم توسم فيه الذكاء والقدرة العملية الفائقة ، فقد رعاه ، وجعله موضع ثقته ، وأفضى إليه بأسرار الدعوة ، ورأى أنه خير من يمثله في خراسان ، وأنه يمكن الاعتماد عليه في النهوض بهذه المهمة الخطيرة ، وحين أمره بالتوجه إلى خراسان قال له : إنك رجل منا أهل البيت ، احفظ وصيتي ، انظر هذا الحي من اليمن فأكرمهم ، وأما مضر فإنهم العدو القريب الدار ، واقتل من شككت فيه ، وإن استطعت ألا تدع في خراسان من يتكلم العربية فافعل ، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله)[1] . وفي سنة تسع وعشرين ومائة كتب إبراهيم الإمام إلى أبي مسلم يستدعيه ، فسار في النصف من جمادى الآخر مع سبعين من النقباء) ، وهو العدد الذي خرج مع موسى لميقات ربه (!!) .

وصار أبو مسلم الرجل الأول ، داعية وقائدا ، من أجل قيام الدولة ، وقد عرف له أبو العباس قدره ، ولم يفلح المنصور في إيغار صدر أخيه الخليفة ضده ، إذ كان لا يقضي

---

١ ـ سبقت مناقشة هذه الأخبار .

هاما دون الرجوع إلى أبى مسلم : مع بعد الشقة بينهما ، حتى إذا تبين أن أبا سلمة الخلال ـ أول وزراء الدولة ـ يكنّ ميلا للعلويين ، لم يجرؤ الخليفة على الخلاص منه ، وترك الأمر لأبى مسلم الذى أرسل إليه من خراسان من قتله .

ولا ريب فى أن أبا مسلم كان على ثقة من نفسه ، ومن أهمية دوره ، لهذا لما (دخل على أبى العباس ، وعنده المنصور ، فسلم على أبى العباس ، قال له : يا أبا مسلم ، هذا أبو جعفر ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، هذا موضع لا يقضى فيه إلا حقك) ـ العقد الفريد حـ ١ ص ١٧ .

وقيل : إن أبا العباس أرسل أبا جعفر إلى خراسان ، يستطلع الأمر ، ويشارك فى قتال الخارجين ، فلم يحتفل به أبو مسلم ، ولم يولِه ما كان يتوقع أبو جعفر من توقير وتبجيل .

ولعل أبا جعفر حسد مكانة الرجل فى قومه وبين جنوده ، فوهم إهمال شأنه .

على أى حال فقد انبثت فى صدر أبى جعفر بذور ما فتئت تنمو .

□ من عادة القادة والدعاة أن يزنوا جهودهم وانتصاراتهم بميزان قد يتجاوز الإنصاف ، فيفرضون لأنفسهم حقوقا قد تطغى على مصلحة الدولة ، وقد تعدّل من مسيرتها .

وهذا ما يفسر لنا خبرا يقول : (لما وافى عيد الفطر أمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يصلى به وبالشيعة ، ونصب له منبرا فى العسكر ، وأمره أن يبدأ بالصلاة قبل الخطبة ، بغير أذان ولا إقامة ، وكان بنو أمية يبدءون بالخطبة قبل الصلاة بأذان وإقامة ، وأمره أيضا أن يكبّر ست تكبيرات تباعا ، ثم يقرأ ويركع بالسابعة ، ويكبر فى الركعة الثانية خمس تكبيرات تباعا ، ثم يقرأ بالسادسة ، ويفتتح الخطبة بالتكبير ، ويختمها بالقرآن ، وكان بنو أمية يكبرون فى الأولى أربع تكبيرات ، وفى الثانية ثلاثا)[1] ـ نهاية الأرب حـ ١٢ ص٢٠ .

هكذا غير أبو مسلم (القائد) فى الصلاة ، دون الرجوع إلى (فقهاء) ، كأن الدين صناعة أموية ، فأراده صناعة عباسية !! .

وعلى فرض أن صلاة العيد سنة من السنن الواجبة ، فإن عظمة المناسبة تضفى على السنة الواجبة ما هو أخطر من الفرض ، لكثرة الشهود ، ولخطر التغيير فى نفوس حديثة العهد بالدين

---

١ ـ فى سنة إحدى وأربعمائة أصدر الحاكم بأمر الله أمرا (بإعادة حىَّ على خير العمل فى الأذان ، وإسقاط الصلاة خير من النوم ، والنهى عن صلاة التراويح والضحى) نهاية الأرب حـ ٢٨ ص ١٨٩ .

أو قوية التسليم لما آمنوا به ، وأى (حدث) يمكن أن يتحول فى فكر الجماعة إلى (زلزلة) لها ما بعدها ، ثم إن مدلول كلمة (سنة) اتباع ما فعل الرسول ، والاقتداء به ، دون ابتداع ، أو تعديل :

لكن يبدو أن أبا مسلم نسى أن له دورا محددا ، فطغى به طموحه .

ومن هذا الطغيان أنه طمع فى أن يكون أمير الناس على الحجّ ، مما يكسبه أفقا دينيا ، يساعد على علو شأنه ، لكن أبا العباس أدرك خطر هذا الأمر فأسرع بتولية أبى جعفر هذه الإمارة ، وقال لأبى مسلم : لولا أنى أذنت لأبى جعفر بالإمارة لكنت صاحبها .

وبينما كان أبو جعفر وأبو مسلم مُفيضين من الموسم مات أبو العباس ، ووصل كتاب بموته إلى أبى جعفر .

وفى طريق العودة من الحج كتب أبو جعفر إلى أبى مسلم يستدعيه ، (فأقبل إليه ، فلما جلس ألقى إليه الكتاب ، فقرأه وبكى واسترجع ، ونظر إلى أبى جعفر ، وقد جزع جزعا شديدا ، فقال : ما هذا الجزع وقد أتتك الخلافة ؟ فقال : أتخوف شر عمى عبد الله وشيعة على ، فقال : لا تخفْه ، فأنا أكفيكه إن شاء الله تعالى ، إنما عامة جنده ومن معه أهل خراسان ، وهم لا يعصوننى ، وبايع له أبو مسلم ، وأقبلا حتى قدما الكوفة) .

كان أبو مسلم هو الذى جعل عبد الله بن علىّ على الصائفة ، وسيّر معه أهل الشام وخراسان ، ولو أن أبا مسلم يريد الغدر بأبى جعفر لكانت هذه فرصته ، ولو أنه يريد أن يساوم لكان مجاله واسعا ، لكن الرجل كان أمينا منصفا ، (فقال للمنصور : إن شئت جمعت ثيابى فى منطقتى وخدمتك . وإن شئت أتيت خراسان وأمددتك بالجنود ، وإن شئتَ سرت إلى حرب عبد الله بن على ، فأمره بالمسير لحرب عبد الله ، فسار نحوه فى الجنود ، ولم يتخلف عنه أحد) .

وكان أن (انهزم أصحاب عبد الله وتركوا معسكرهم ، فحواه أبو مسلم ، وكتب بذلك إلى المنصور) .

لم يحمد أبو جعفر لأبى مسلم هذا الانتصار ، (فأرسل أبا الخصيب ـ مولاه ـ يحصى ما أصابوا من العسكر ، فغضب أبو مسلم) ، لأن معنى هذا أن أبا جعفر (لا يستأمنه على المال وقد استأمنه على الرجال) .

(أراد أبو مسلم قتله ـ أبي الخصيب ـ فكُلّم فيه ، فخلّى سبيله ، وقال : أنا أمين على الدماء خائن في الأموال ؟ وشتم المنصور ، فرجع أبو الخصيب ، وأخبر المنصور ، فخاف أن يمضى أبو مسلم إلى خراسان ، فكتب إليه : إنى قد وليتك مصر والشام ، فهى خير لك من خراسان ، فوجّهْ إلى مصر من أحببته ، وأقم بالشام ، فتكون بقرب أمير المؤمنين ، فإن أحب لقاءك أتيته من قرب ، فلما أتاه الكتاب غضب ، وقال : يولينى مصر والشام ، وخراسانُ لى ؟! فكتب الرسول إلى المنصور بذلك) .

☐ ولما أخذ المنصور فى الخلاص من أبى مسلم ، سأل سالم بن قتيبة : ما ترى فى أمر أبى مسلم ؟ قال : ﴿ **لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا** ﴾ فقال : حسبك ، لقد أودعتها أذنا واعية ـ مروج الذهب ٣٠١/٣ .

وأخذ فى تمزيق شمل أبى مسلم ، فولّى خراسان أكثر من واحد من رجال أبى مسلم ، ليوقع بينهم الفتنة ، وبهذا حاصر أبا مسلم ، مما اضطره للسير إليه ، وعزم المنصور على قتله ، بتدبير عثمان بن نَهيك وأربعة من الحراس ، فلما مثل أبو مسلم بين يديه ، جعل أبو جعفر يحصى مآخذه عليه ، وأبو مسلم يبرر هذه المآخذ ، (فلما طال عتاب المنصور له قال : لا يقال لى هذا بعد بلائى وما كان منى ، قال : يا بن الخبيثة ، والله لو كانت أمَةٌ مكانك لأجزأت ، إنما عملت فى دولتنا وبريحنا ، ولو كان ذلك إليك ما قطعت فتيلا ، فأخذ أبو مسلم يد المنصور يقبلها ويعتذر إليه ، فقال : والله ما رأيت كاليوم ، والله ما زدتنى إلا غضبا ، فقال أبو مسلم : دع هذا ، فوالله قد أصبحت ما أخاف إلا الله ، فشتمه المنصور ، وصفق بيده على الأخرى ، فخرج إليه الحرس) ، وأخذته سيوفهم ، (حتى قتلوه ، وهو ينادى : العفو ، العفو ، فقال المنصور : يا بن اللخناء ، والسيوف قد اعتورتك ؟! .

وأنشد المنصور :

اشرب بكأس كنت تسقى بها ... أمرّ فى فيك من العلقم
زعمت أن الدَّين لا يُقتضى ... كذبت ، والله ، أبا مجرم

وكأن صاحب (نهاية الأرب) يؤيد موقف المنصور ، فيقول : (وكان أبو مسلم قد قتل ستمائة ألفِ صبرا)[1] .

---

١ ـ النصوص التى لم يُشَرْ إلى مصادرها هى من نهاية الأرب جـ ٢٢ ص ٦٦ / ٧٥ .

كأنما لم تكن هذه تعليمات السفاح الذى قال له : (إن استطعت ألا تجعل فى خراسان من لا ينطق العربية فافعل) .

وكأن صاحب (نهاية الأرب) لا يعلم أن أبا العباس السفاح قتل مئات الألوف من الأمويين فى غير معركة الزاب ، وتتبع الأمويين حتى فى مقابرهم !! .

وما كاد أبو جعفر ينتهى من أبى مسلم ، ويقضى على معظم قادته ، حتى صعد المنبر ، وهو لا يزال بالمدائن ، وقال :

(أيها الناس ، لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية ، ولا تُسرّوا غشّ الأئمة ، فإنه لم يسرّ أحد قط منكرة إلا ظهرت فى آثار يده ، أو فلتات لسانه ، وأبداها الله لإمامه ، بإعزاز دينه ، وإعلاء حقه .. إنا لن نبخسكم حقوقكم ، ولن نبخس الدين حقه عليكم ، إنه من نازعنا عروة هذا القميص أجزرناه خَبِىء هذا الغمد ، وإن أبا مسلم بايعنا وبايع الناس لنا ، على أنه من نكث بنا فقد أباح دمه ، ثم نكث بنا ، فحكمنا عليه حكمه على غيره لنا ، ولم تمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحق عليه) .

معروف أن أبا مسلم كان صاحب شوكة فى قومه ، فخشى أبو جعفر أن يصير شوكة فى ظهر الدولة التى أقامها ، فأحكم تدبيره ، وعجل به .

وقد خطب هذه الخطبة ــ وهو على أرضه وبين المخلصين من رجاله ــ يتهدد ويتوعد ، فى حنكة الداهية ، وبصر الخبير ، فقارن بين (أنس الطاعة ووحشة المعصية) .. بين أن يعيش القوم فى أمن ودعة ، وقد استوفوا حقوقهم ، وبين أن يشقوا العصا ، فتشق صدورهم عما يسرّون من غش الأئمة .

أعلن أن للإمامة حقوقا ، حقوقا دينية ، تستبيح دم من ينازع فيها ، ولو كان عروة (القميص) الذى ألبسه الله إياه .

إن أبا مسلم بايع الناس (على أنه من نكث بنا فقد أباح دمه ، ثم نكث بنا ، فحكمنا عليه حكمه على غيره لنا) ، وسنفعل بكل من ينكث بنا ما فعلناه بأبى مسلم ، (ولم تمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحق عليه) .

لقد أحسن أبو جعفر (المقابلة) بين موقفى الطاعة والمعصية ، بين الوعد والوعيد ، فى دقة بالغة ، وفى حزم صارم .

وقد حمد له المؤرخون هذا الموقف ، لأنه صدّ تيار النفوذ الفارسى الذى كاد يستفحل ، وتجربة البرامكة مع الرشيد ، ثم مع المأمون معروفة ، وإن كان الثلاثة لم يوفقوا فى تغيير مجرى الأحداث ، إذ إن ثمة تيارات كثيرة خفية تقوى على مبادرة الرجال ، ولو كانوا من طراز المنصور والرشيد والمأمون .

لقد ظل أبو جعفر حفيا بآل خراسان ، متخذا منهم السند والعون .. وفى هذا يقول لابنه المهدى : (وأوصيك بأهل خراسان خيرا ، فإنهم أنصارك وشيعتك الذين بذلوا أموالهم فى دولتك ، ودماءهم دونك ، ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم ـ أن تحسن إليهم ، وتتجاوز عن مسيئهم ، وتكافئهم على ما كان منهم ، وتخلُف من مات منهم فى أهله وولده) ، وهذا يؤكد شكه فى الولاء العربى !! .

☐ لقد كان أبو جعفر حريصا على أن يجنب ابنه متاعب كثيرة عاناها ، ورغب فى أن تندمل الجُروح على يدى المهدى ، لكن مقتل أبى مسلم كان جرحا غائرا .

(لما نَمى قتلُ أبى مسلم إلى خراسان وغيرها من الجبال اضطربت الخرمية ، وهى الطائفة التى تدعى المسْلمية ، القائلة بإمامة أبى مسلم) .

ومذهب الخرمية ـ كما يقول الغزالى فى فضائح الباطنية ص ١٤ ـ (راجع إلى طىّ بساط التكليف ، وحطّ أعباء الشرع من المتعبدين ، وتسليط الناس على اتباع اللذّات ، وطلب الشهوات ، وقضاء الوطر من المباحث والمحرمات ، و « خرم » لفظ أعجمى ينبىء عن الشىء المستلذ المستطاب الذى يرتاح الإنسان إليه بمشاهدته ، ويهتز لرؤيته ، وقد كان هذا لقبا للمزدكية ، وهم أهل الإباحة من المجوس الذين نبغوا فى أيام قُباذ ، وأباحوا النساء ، وإن كنّ من المحارم ، وأحلوا كل محظور) .

وهذا يعنى أن انتساب الخرمية إلى أبى مسلم كان مجرد درئية ، ينفثون سمومهم من خلفها .

وقد تنازع الخرمية ... بعد وفاته ، فمنهم من رأى أنه لم يمت ، ولن يموت ، حتى يظهر فيملأ الأرض عدلا ، ومنهم من قطع بموته ، وقال بإمامة ابنته فاطمة ، وهؤلاء يدعون الفاطمية ـ مروج الذهب ٣٠٥/٣ .

وظهر (المقنع الخراسانى) سنة ١٦١ هـ الذى ادعى الألوهية ، وكان يقول : إن الله خلق آدم ، فتحول فى صورته ، ثم فى صورة نوح ، وهكذا إلى أبى مسلم الخراسانى ، وسمى المقنع نفسه هاشما ، وكان يقول بالتناسخ ، وبايعه كثيرون من الذين يسهل استهواؤهم ، وكانوا يسجدون إلى ناحيته ، أين كانوا من البلاد ، وكانوا ينادونه فى الشدة : يا هاشم أعِنّا ـ الفخرى لابن طباطبا ـ ص١٦٢ .

ولأن للمجوسية فى فارس رواسب ، لقيت دعوة المقنع الزائفة هوى فى نفوسهم ، فانتشرت آراؤه ومبادئه فى بخارى وسمرقند ومنطقة بحر قزوين ، والتجأ المقنع إلى قلعة حصينة فى كشّ ، وجمع فيها كمية وفيرة من الطعام ، حتى يمكنه أن يتحمل حصارا طويلا قد يضرب حول القلعة ـ الطبرى ١٣٥/٨ .

وقذف العباسيون القلعة بأحجار المنجنيق .. ولما أدرك قرب نهايته ، وخشى أن يمثل بجثته ، أشعل النيران فى القلعة ، وأحرق كل ما فيها من دواب وثياب ومتاع ، وأذاب النحاس والسكر فى تنور ، وجمع نساءه وأولاده ، وأعدّ شرابا مسموماً ، وسقى الجميع منه ، ثم ألقى بجثثهم فى النار ، وتبعهم ـ الطبرى ٨ / ١٤٤ .



لعبـة الخلافـــة ..

عقد أبو العباس عبد الله بن محمد (السفاح) ولاية العهد لأخيه أبى جعفر عبد الله ابن محمد ، ولابن عمه عيسى بن موسى من بعده .

فلمـا بويـع المنصور بالخلافـة ، عمـل على أن تكون ولايـة العهـد لابنـه محمد (المهدى) ، وأراد أن يتخلص من عيسى بن موسى ، مع أن عيسى لعب دورا كبيرا فى أخذ البيعة لأبى جعفر ، الذى كان فى موسـم الحج ، وأرسـل إليه بخبر وفاة أبى العباس ، ثم أرسل إلى عبد الله بن على بالشـام يخبره بوفـاة السفـاح وبيعة المنصور ، ويأمـره بأخـذ البيعـة لأبى جعفر ، ثم أحرز بيوت الأمـوال والخـزائن والدواوين ، حتى قدم أبو جعفـر ، فسـلم الأمر إليه ـ نهاية الأرب حـ٢٢ ص ٦٧ .

نسى أبو جعفر كل هذا ، مع أنه كان بوسع (عيسى) أن يدعو لنفسه ، وقد انعقدت له ولاية العهد ، ما دام أبـو جعفر غائبـا ، لا حـول له ، وكان بوسعـه أن يتخذ من عمه (عبد الله) عونـا ، بعد أن يمنيه ويشبـع غروره وطموحه ، لكنه آثر الالتزام بعقد (ولاية العهـد) !! .

عمل المنصور على أن يتخلص من عمه (عبد الله) الذى دعـا لنفسـه بالخلافـة ، ومن ابن عمه عيسى الذى لـه حق ولاية العهد من بعده ، بعملية واحـدة ، حتى يخلص الأمـر لابنـه .

فدعـا عيسى بن موسـى (سـرا) إلى أن يقتل عمـه (عبـد الله) ، ثم يحـاكمه (جهـرا) بقتله .

لكن عيسى لم يمكنه من هذه (اللعبة) ، وكشفها أمام أعمامه ، فسعى المنصور إلى تهديد (موسى بن عيسى بن موسى) ، عن طريق عيسى بن على ، (فلما وجل موسى وأشفق وخاف أن يقع به المكروه ، أتى العباس بن محمد) ، وقال : (أرى ما يسام أبى من إخراج هذا الأمر من عنقه وتصيده للمهدى ، فهو يؤذى بصنوف الأذى والمكروه ، فيتهـدد مرة ، ويؤخَّر إذنه مرة ، وتهـدم عليه الحيطان مرة ، وتدس إليه الحتوف مرة ، فأبى لا يعطى على هذا شيئا) .. واحتال موسى للتأثير على أبيه حتى يترك هذا الأمر .

قـال المنصور : (أما والله لأعجلن لك فيه ما يسـوءك ويؤنسـك من بقـائه بعدك ، أيا ربيع ، قم إلى موسى فاخنقه بحمائله ، فقام الربيع فضم حمائله عليه ، فجعل يخنقه بها

خنقا رويدا ، وموسى يصيح : الله الله ، يا أمير المؤمنين فيّ وفي دمي ، فـإني لبعيد مما تظن بي ، وهو يقول : اشدد يا ربيع ، ائت على نفسه ، والربيع يوهم أنه يريد تلفه ، وهو يراخي خناقه ، وموسى يصيح ، فلما رأى ذلك عيسى ، قال : والله ـ يا أمير المؤمنين ـ ما ظننت أن الأمر يبلغ منك هذا كله ، فمر بالكف عنه ، فإني لم أكن لأرجع إلى أهلي ، وقد قتل بسبب هذا عبد من عبيدي ، فكيف بابني) .

(وهذه القصة ـ فيما قيل ـ منسوبـة إلى آل عيسى أنهم يقولونهـا) ، أما غيرهم فيقـول :

(إن المنصور أراد البيعة للمهدي ، فكلم الجند في ذلك ، فكانوا إذا رأوا عيسى راكبا أسمعوه ما كره) .

وكاتب أبو جعفر عيسى بن موسى ، فرد عليه بما أثاره ، (وغضـب غضبا شديدا ، وعاد الجند لأشد ما كانوا يصنعون) .

(كانوا يأتون باب عيسى ، فيمنعون من يدخـل إليه ، فـإذا ركـب مشـوا خلفـه ، وقالوا : أنت البقرة التي قال الله : ﴿ **فذبحوها وما كادوا يفعلون** ﴾) .

واستعـان المنصور بخـالد بن برمك ومعه (ثلاثون رجلا من كبار الشيعـة) ، فقال عيسى : (ما كنت لأخلع نفسي ، وقد جعل الله ـ عز وجل ـ الأمر لي ، فأداره خالد بكل وجه من وجوه الحذر والطمع ، فأبى عليه) .

سار خالد ومن معه إلى أبي جعفر ، (فأعلموه أنه قد أجاب ، فأخرج التوقيع بالبيعة للمهدي ، وكتب بذلك إلى الآفاق) .

(أتى عيسى بن موسى ـ لما بلغه الخبر ـ أبا جعفر ، منكرا لما ادُّعي عليه من الإجابة إلى تقديم المهدي على نفسه ، وذكّره الله فيما قد همّ به) ، لكن خالدا ومن معه قالوا : (نشهد عليه أنه قد أجاب ، وليس له أن يرجع) .

وخضع الرجل للإغراء المادي ، بعد أن عجز عن المواجهة ، ووقف في مقصورة مدينة السلام ليعلن أمام جماعة من أهل خراسان : (نعم ، قد بعت نصيبي من تقدمة ولاية العهد من عبد الله أمير المؤمنين لابنه محمد المهدي ، بعشرة آلاف ألف درهم ، وثلاثمائة ألف بين

ولدى فلان وفلان وفلان ـ سماهم ـ وسبعمائة ألف لفلانة ـ امرأة من نسائه سماها ـ بطيب نفس منى وحبّ ، لتصييرها إليه ، لأنه أولى بها وأحق ، وأقوى عليها وعلى القيام بها ، وليس لى فيها حـق لتقدمته ، قليل ولا كثير ، فما ادعيته بعد يومى هذا فأنا فيه مُبطل ، لا حق لى فيه ، ولا دعوى ، ولا طِلبة) .

(وكسا أمير المؤمنين عيسى وابنه موسى وغيره من ولده كسوة بقيمة ألف ألف درهم ونيف ومائتى ألف درهم) .

☐ وكما قـال شيخ المـؤرخين (الطبرى) حـ ٨ ص ٢٥/١١ لما تولى المهدى الحكم (سأل عيسى أن يخرج من الأمر ، فامتنع عليه ، فأراد الإضرار به) ، كما كان يفعل والده ، لكن الرجل صبر ، فكشف المهدى عن وجـه قبيح ، وقال : (إنك ـ إن لم تجبنى إلى أن تنخلع منها حتى أبايع لمـوسى وهـرون ـ استحللت منك بمعصيتك ما يستحـل من العاصى ، وإن أجبتنى عوّضتك منها ما هـو أجـدى عليك وأعجـل نفعا ، فأجابه ، فبايع لهما ، وأمر له بعشـرة آلاف ألـف درهم ، ويقال : عشرين ألف ألف ، وقطائع كثيرة) ـ حـ ٨ص١٢٢ .

لكن المهدى كان أشد حرصا من أبيه فى (الاستيثاق) ، ولعل هذا يبين فرق ما بين المؤسس والـوارث ، فاستكتب عيسى شـروطا ، أقرب إلى ما يفعل الكتبة الـذين يجلسون اليـوم على أبواب المحـاكم ، وقد أصبح هـذا (العهد) ـ مع غرابتـه ـ نموذجـا متبعا ، وقد جـاء فيه :

(هذا كتاب لعبد الله المهدى محمد أمير المؤمنين ولولى عهد المسلمين موسى بن المهْدى ، ولأهل بيته وجميع قواده وجنوده من أهل خراسان وعامة المسلمين ، فى مشارق الأرض ومغاربها ، وحيث كان كائن منهم) .

(ودخلت فيما دخل فيه المسلمون من الرضا بموسى ابن أمير المؤمنين ، والبيعة له ، والخروج مما كان لى فى رقابهم من البيعة ، وجعلتكم فى حِلّ من ذلك وسعة ، من غير حرج يدخل عليكم ، أو على أحد من جماعتكم وعامة المسلمين) .

(فـإن أنا نكبت أو غيرت أو بدلت أو دخـلت أو نويت غير مـا أعطيت عليه هذه الأيمان ، أو دعوت إلى خلاف شئ مما حملت على نفسى فى هذا الكتاب للمهدى محمد

أمير المؤمنين ، ولولى عهده موسى ابن أمير المؤمنين ، ولعامة المسلمين ، أو لم أف بذلك ، فكل زوجة عندى يوم كتبت هذا الكتاب ـ أو أتزوجها إلى ثلاثين سنة ـ طالق ثلاثا ألبتّة ، طلاق الحرج ، وكل مملوك عندى اليوم ـ أو أملكه إلى ثلاثين سنة ـ أحرار لوجه الله ، وكل مال لى نقد أو عرض أو قرض أو أرض ، قليل أو كثير ، تالد أو طريف ، أو أستفيده إلى ما بعد اليوم إلى ثلاثين سنة ـ صدقة على المساكين ، يضع ذلك الوالى حيث يرى) .

(وعلىّ مِنْ مدينة السلام المشى حافيا إلى بيت الله العتيق الذى بمكة نذرا واجبا ثلاثين سنة) .

(والله ـ على الوفاء بذلك ـ راع كفيل شهيد ، وكفى بالله شهيدا ، وشهيد على عيسى ابن موسى بإقراره بما فى هذا الشرط أربعمائة وثلاثون من بنى هاشم ، ومن الموالى والصحابة من قريش والوزراء والكتاب والقضاة) ـ الطبرى حـ ٨ ص ١٢٦ / ١٢٨ .

☐ وتكررت المهزلة فى ولد المهدى بنفس الأسلوب الذى ابتدعه كل من المنصور والمهدى .

وما دامت مفاتيح بيت المال فى يد من يحكم ، فأبواب المساومة والمناورة والمؤامرة لا يمكن إغلاقها .

والمدهش حقا أنه فى اليوم الذى بايع فيه المنصور لابنه المهدى ، أشاد الشاعر أبو نخيلة الحمانى بما حدث ، فأغضبت القصيدة عيسى بن موسى ، فطلبه ، فهرب ، فبعث خلفه مولى له ، أدركه فى طريق خراسان ، فذبحه ، وسلخ جلده ، ومبالغة فى التنكيل به أقسم ألا يريم مكانه حتى تمزقَ الطير والسباع لحمه !! .

(٢)

كان الهادى بجرجان يحارب أهل طبرستان ، فبايع الرشيد للهادى ، وكتب إلى الآفاق بذلك ، ورد العسكر إلى بغداد ، وسار نصير الوصيف إلى الهادى بجرجان يحمل نبأ مبايعته بالخلافة بعد موت المهدى .

ذكر صالح بن سليمان : (أن الهادى ـ لما أفضت إليه الخلافة ـ أقر يحيى بن خالد على ما كان يلى هرون من عمل المغرب ، فأراد الهادى خلع هرون الرشيد ، والبيعة لابنه جعفر بن موسى الهادى ، وتابعه على ذلك القواد ، منهم يزيد بن مزيد ، وعبد الله

ابن مالك ، وعلى بن عيسى ، ومن أشبههم ، فخلعوا هرون ، وبايعوا جعفر بن موسى ، ودسّوا إلى الشيعة ، فتكلموا فى أمره ، وتنقّصوه فى مجلس الجماعة ، وقالوا : لا نرضى به ، وصعب أمرهم حتى ظهر ، وأمر الهادى ألا يُسار قدام الرشيدة بحرْبة ، فاجتنبه الناس وتركوه ، فلم يكن أحد يجترئ أن يسلّم عليه ، ولا يقربه) .

(وكان يحيى يقوم بإنزال الرشيد ، ولا يفارقه) .

واتخذ يحيى كاتبه إسماعيل بن صبيح عينا له عند إبراهيم الحرانى الذى صار فى موضع الوزارة لموسى ، وكان إبراهيم قد استكتب إسماعيل .

قال محمد بن يحيى بن خالد : (بعث الهادى إلى يحيى ليلا ، فأيِسَ من نفسه ، وودع أهله ، وتحنّط ، وجدد ثيابه ، ولم يشك أنه يقتله ، فلما أدخل عليه ، قال : يا يحيى ، ما لى ولك ؟ قال : أنا عبدك ، يا أمير المؤمنين ، فما يكون من العبد إلى مولاه إلا طاعته ، قال : فلم تدخل بينى وبين أخى وتفسده علىّ ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، من أنا حتى أدخل بينكما ؟ إنما صيرّنى المهدى ، وأمرنى بالقيام بأمره ، فقمت بما أمرنى به ، ثم أمرتنى بذلك ، فانتهيت إلى أمرك ، قال : فما الذى صنع هرون ؟ قال : ما صنع شيئا ، ولا ذلك فيه ولا عنده ، قال : فسكن غضبه ، وقد كان هرون طاب نفسا بالخلع ، فقال له يحيى : لا تفعل ، فقال : أليس يترك لى الهنىء والمرئ ؟ فهما يسعاننى وأعيش مع ابنة عمى ، وكان هرون يجد بأم جعفر وجدا شديدا ، فقال له يحيى : وأين هذا من الخلافة ؟ ولعلك ألا يُترك هذا فى يدك حتى يخرج أجمع ، ومنعه من الإجابة) .

(أمر الهادى بحبس يحيى بن خالد على ما أراده عليه من خلع الرشيد ، فرفع إليه يحيى رقعة : إن عندى نصيحة ، فدعا به ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أخْلنى ، فأخلاه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أرأيت إن كان الأمر ـ أسأل الله ألاّ نبلغه ، وأن يقدّمنا قبله ـ أتظن أن الناس يسلمون الخلافة لجعفر ، وهو لم يبلغ الحلم ، ويرضون به لصلاتهم وحجهم وغزوهم ؟ قال : والله ما أظن ذلك ، قال : يا أمير المؤمنين ، أفتأمن أن يسمو إليها أهلك ، وجِلّتهم مثل فلان وفلان ، ويطمع فيها غيرهم ، فتخرج من ولد أبيك ؟ فقال له : نبهتنى يا يحيى ... قال : لو أن هذا الأمر لم يعقد لأخيك ، أما كان ينبغى أن تعقده له ؟ فكيف بأن تحلّه عنه ، وقد عقده المهدى له !! ولكن أرى أن تُقر هذا الأمر ، يا أمير المؤمنين ، فإذا بلغ جعفر ، وبلغ الله به ، أتيته بالرشيد فخلع نفسه ، وكان أول من يبايعه ، ويعطيه صفقة يده ، قال : فقبل الهادى قوله ورأيه ، وأمر بإطلاقه) .

لكن جماعة من موالى الهادى وقادته حملوه على خلع الرشيد ، سواء أجاب الرشيد إلى الخلع أو لم يجب .

(قال يحيى لهرون : استأذنه فى الخروج إلى الصيد ، فإذا خرجت فاستبعد ، ودافع الأيام) .

أذن المهدى ، (فمضى إلى قصر مقاتل ، فأقام به أربعين يوما ، حتى أنكر الهادى أمره ، وغمّه احتباسه وجعل يكتب إليه ، ويصرفه ، فتعلل عليه ، حتى تفاقم الأمر ، وأظهر شتمه ، وبسط مواليه وقواده ألسنتهم فيه) .

أرسلت (الخيزران) إلى يحيى تقول : (الله ، الله في ابنى ، لا تقتله ، ودعه يجب أخاه إلى ما يسأله ويريده منه ، فبقاؤه أحبّ إلى من الدنيا بجمع ما فيها) .

صاح بها يحيى ، وقال : (وما أنت وهذا ؟ إن يكن ما تقولين ، فإنى وولدى وأهلى سنُقتَل قبله ، فإن اتُهمتُ عليه فلست بمتهم على نفسى ولا عليهم) .

(ولما لم ير الهادى يحيى بن خالد يرجع عما كان عليه لهرون ، بما بذل له من إكرام وإقطاع وصلة ، بعث إليه يتهدده بالقتل إن لم يكف عنه) .

سبق أن المهدى قال : (أريت فى منامى كأنى دفعت إلى موسى قضيبا ، وإلى هرون قضيبا ، فأورق من قضيب موسى أعلاه قليلا ، وأما هرون فأورق قضيبه من أوله إلى آخره ، فدعا المهدى الحكيم بن موسى الضمرى[1] ، فقال له : هذه الرؤيا ، فقال : يملكان جميعا ، فأما موسى فتقلّ أيامه ، وأما هرون فيبلغ مدى ما عاش خليفة ، وتكون أيامه أحسن أيام ، ودهره أحسن دهر) .

ولما اضطر هرون للخضوع لضغوط أخيه ، عاد واستأذن عليه ، (فدخل فسلم عليه ، وقبل يديه ، وجلس عن يمينه ، بعيدا من ناحيته ، فأطرق موسى ينظر إليه ، وأدمن ذلك ، ثم التفت إليه ، فقال : يا هرون ، كأنى بك تحدّث نفسك بتمام الرؤيا ، وتؤمّل ما أنت منه بعيد ، ودون ذلك خرط القتاد ، تؤمل الخلافة ؟! فبرك هرون على ركبتيه ، وقال : يا موسى إنك إن تجبرت وُضعت ، وإن تواضعت رُفعت ، وإن ظلمت خُتلت ، وإنى لأرجو أن يفضى الأمر إلىّ ، فأنصف من ظلمت ، وأصل من قطعت ، وأصيّر أولادك أعلى من أولادى ،

---

١ ـ فى مروج الذهب حـ ٣ ص ٣٤٥ أنه ابن إسحق الصيمرى .

وأزوجهم بناتي ، وأبلغ ما يجب من حق الإمام المهدى ، فقال له موسى : ذلك الظن بك يا أبا جعفر ، ادن منى ، فدنا منه ، فقبل يديه ، ثم ذهب يعود إلى مجلسه ، فقال له : والشيخ الجليل ، والملك النبيل ـ أعني أباك المنصور ـ لا جلست إلا معى ، وأجلسه فى صدر المجلس معه ، ثم قال ، يا حرانى ، احمل إلى أخى ألف ألف دينار ، وإذا افتتح الخراج فاحمل إليه النصف منه ، واعرض عليه ما فى الخزائن من مالنا ، وما أخذ من أهل بيت اللّعنة[1] ، فيأخذ جميع ما أراد) .

(ولم يلبث إلا أياما يسيرة ، ثم اعتلّ موسى) .

(بعثت الخيزران إلى يحيى تعلمه أن الرجل لمآبه ، وتأمره بالاستعداد لما ينبغى) .

فلما مات موسى ، قالت الخيزران : (أعطونى ماء أتوضأ للصلاة ، ثم قالت : أما إنا كنا نتحدث أنه يموت فى هذه الليلة خليفة ، ويملك خليفة ، ويولد خليفة) .

(فمات موسى ، وملك هرون ، وولد المأمون) ـ الطبرى حـ ٨ ص ٢١٢/٢٠٧ .

□ ولم يستفد الرشيد من تجارب آبائه ، فبايع لمحمد (الأمين) ابن زبيدة ، ولعبد الله (المأمون) ابن مراجل (أم ولد) ، وللقاسم (المؤتمن) ابن قصف (أم ولد) ، وقسم البلاد بينهم ، فجعل الشام والعراق للأمين ، ومن همدان إلى آخر المشرق للمأمون ، والجزيرة والثغور والعواصم للمؤتمن .

وفى هذا قال بعضهم :

رأى الملك المهذب شر رأى ... بقسمته الخلافة والبلادا
رأى ما لو تعقّبه بعلم ... لبيّض من مفارقه السوادا
أراد به ليقطع عن بنيه ... خلافهم ، ويبتذلوا الودادا
فقد غرس العداوة غير آلٍ ... وأورث شمل ألفتهم بدادا
وألقح بينهم حربا عوانا ... وسلّس لاجتنابهم انقيادا
فويل للرعية عن قليل ... لقد أهدى لها الكُرب الشدادا
وألبسها بلاء غير فانٍ ... وألزمها التضعضع والفسادا
ستجرى من دمائهم بحور ... زواخر لا يرون لها نفادا

وقد صدق الشاعر فيما توقع .

---

١ ـ لعله يقصد الأموال المصادرة من الأمويين والزنادقة والخارجين على الدولة .

المهـــدى ..

جاء فى الفخرى لابن طباطبا ص ١٤٢ :

(وكان المنصور من أشد الناس شغفا بابنه المهدى ، فكان إذا جنى أحد جناية ، أو أخذ من أحد مالا ، جعله فى بيت المال مفردا ، وكتب عليه اسم صاحبه ، فلما أدركته الوفاة قال لابنه المهدى : يابنىّ ، إنى قد أفردت كل شىء أخذته من الناس ، على وجه الجناية والمصادرة ، وكتبت عليه أسماء أصحابه ، فـإذا وليت أنت فأعده على أربابـه ، ليدعو لك الناس ، وليحبوك) .

افتقد المنصور حب الناس ، فأراده لابنه الذى اختار له أحب الأسماء (محمدا) ، واختـار له أجـلّ لقب (المهدى) ، ورجـا أن يكون (المهدى المنتظـر) الـذى راج فى تراث العلويين .

من أجـل هذا ، جعل يعـدّ لأن يكون ابنـه (المهدى) الصورة المثالية التى كان ينشدها ، وأضاعتها سنوات الكفاح .

أحضر لـه خيـر المعلمين حتى أيفع ، واختـار لصحبتـه أقـدر الرجـال الـذين آزروا (الدعوة) ونصروها .

أساء عبد الرحمن بن عبد الجبار الأزدى ، والى خراسان ، وقتل عددا كبيرا من رؤساء القوم ، فتعالت الشكاوى ، وكان لابد من أن يأسو الجراح ، ويرأب الصدع ، فسيّر المنصور جيشا بقيادة (المهدى) الذى لايعرف من فنون الحرب إلا ما سمع ، أو علم ، وولى إلى جانبه قائدا فـذا ، له خبرة وتجربة ، وهو خازم بن خزيمة ، وتم وأد الفتنة ، وأسر قائدها .. وحتى يزداد (بريق) المهدى ، وجهه أبوه إلى طبرستان ، للقضاء على ثورة الأصبهذ والى الإقليم ، وتحقق الأمن والأمان على يد (ولى العهد) .

وبث المنصـور فى النـاس من يحـدّث بمـآثر ولى العـهـد ، وأزاح من أمامـه كل العقبات ، وبخاصة من ينفس عليه ولاية الأمر .

وجمع لـه من المـال الكثير ، ينفق منـه حيث قتّر أبـوه ، لتكون (الموازنـة) داعية إلى الأمل .

وأوصاه بأهله وبآل خراسان خيرا .. قال :

(احفظ ـ يا بنى ـ محمدا ﷺ فى أمته ، يحفظ الله عليك أمورك ، وإياك والدم الحرام ، فإنه حوْب عند الله عظيم ، وعارٌ فى الدنيا لازم مقيم ، والزم الحلال ، فإن ثوابك فى الآجل ، وصلاحك فى العاجل ، وأقم الحدود ، ولا تعتد فيها فتبور ، فإن الله لو علم أن شيئا أصلح لدينه ، وأزجر عن معاصيه ، من الحدود ، لأمر به فى كتابه .. فالسلطان يا بنى حَبل الله المتين ، وعروته الوثقى ، ودين الله القيم ، فاحفظه ، وحُطه ، وحصّنه ، وذُبَّ عنه ، وأوقع بالملحدين فيه ، واقمع المارقين منه ، واقتل الخارجين عنه بالعقاب لهم ، والمثلات بهم ، ولا تجاوز ما أمر الله به فى محكم القرآن ، واحكم بالعدل ولا تشطط) .

وصية (ظاهرها الرحمة ، وباطنها من قبله (العذاب) ، لأن تاريخ الرجل يخالف ما جاء فى الوصية ، فما أكثر ما أهدرت دماء لا ذنب لها إلا نسبتها إلى (أمية) ، ولا جريرة لها إلا أنها وجدت فى طريق رجاله .

وقد يقال : إن المنصور حرص على إخفاء جرائمه ، لأن جرائم الآباء تزداد جسامة وهَوْلا فى عيون الأبناء ، لكن كيف يوصيه بعقاب الخارجين عنه (والمثلات بهم) ؟ .

إن لفظ (المثلات) ورد مرة واحدة فى القرآن الكريم (الرعد ٦) فى معرض الحديث عن ﴿ **أولئك الذين كفروا بربهم** ﴾ ، الذين يستعجلون ﴿ **بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات** ﴾ فى الأمم من قبلهم ، فهل كان يريد من ابنه (المثل الأعلى) أن ينزل بالخارجين عليه ما أنزل الله بالكافرين من إغراق وخسف وصعق وريح صرصر عاتية ، وأن يجعلهم عصفا مأكولا ؟! .

لقد جاء رسول الله والراشدون من بعده فنهوا عن التمثيل بالجثث ، حتى فى غزوة أحد ، وهى أشد ما كانت على رسول الله ، لم يسمح بالتمثيل بجثث الكافرين ، مع أن هند امرأة أبى سفيان مثلت بجثة سيد الشهداء حمزة عم النبى ، فكيف جرؤ على هذا الخلفاء (الأئمة) الذين تجرى مبايعتهم على النحو الذى سنه المنصور : (إنا نبايع سيدنا ومولانا الإمام المفترض الطاعة على جميع الأنام ، أبا عبد الله محمد بن عبد الله المنصور ، على كتاب الله وسنة نبيه ، واجتهاد أمير المؤمنين ، وأن لا خليفة سواه) ؟! .

كيف تعرض (المثلات) على (كتاب الله وسنة نبيه) ؟! .

أيكون هذا هو (اجتهاد أمير المؤمنين) الذى (لا خليفة سواه) ؟! .

يقال : إنه (حُفِر للمنصور مائة قبر ، ودفن في كلها ، لئلا يعرف موضع قبره الذى هو ظاهر للناس ، ودفن في غيرها ، للخوف عليه ، وهكذا قبور خلفاء ولد العباسيين) ، وذلك للجرائم التى ارتكبها العباسيون بنبْش قبور أعدائهم من الأمويين وغيرهم .

فهل كان أبو جعفر يريد لابنه هذا المصير ؟ أم أنها (زلّة) ، بحكم العادة والإلف ؟ أم أن الراوى عبث بالنص ، إدانة لحكم ظالم ؟! .

على أى حال ، فما من جريمة ليطول سترها ، ويقولون : إن المجرم لا يزال يدور حول موضع أو موضوع جريمته .

حين أراد المنصور أن يحج حجته الأخيرة ، لم يكن المهدى ببغداد ، فلجأ المنصور إلى (ريطة) زوجة المهدى ، وعهد إليها بمفاتيح الخزانة ، وأوصاها ألا تفتح الخزانة إلا بعد موته ، وفي حضور المهدى فقط ، (فلما انتهى إلى المهدى موت المنصور ، ووَلِى الخلافة ، فتح الباب ، ومعه ريطة ، فإذا أَزَج ـ بناء ـ كبير ، فيه جماعة من قتَلاء الطالبيين ، وفي آذانهم رقاع فيها أنسابهم ، وإذا فيهم أطفال ورجال وشباب ومشايخ ، عدة كثيرة ، فلما رأى ذلك المهدى ارتاع لما رأى ، وأمر فحفرت لهم حفيرة ، فدفنوا فيها ، وعمل عليهم دكان) ـ الطبرى حـ ٨ ص ١٠٥ .

لا ريب في أن أمر هذه الخزانة هزت أعماق المهدى ، وقتلت خلايا حية كثيرة ، حتى اختلطت عليه الأمور .

كيف يوفق بين سيرة أبيه وقوله له : (إنى تركت الناس ثلاثة أصناف : فقيراً لا يرجو إلا غناك ، وخائفا لا يرجو إلا أمنك ، ومسجونا لا يرى الفرج إلا منك ، فإذا وليت فأذقهم طعم الرفاهية ، ولا تمددْ لهم كل المد) .

إذا كانت هذه رؤيته لرعيته ، فلم لَمْ يسلك السلوك الذى يأمر به ؟ .

أحسب أن المهدى قد غالى في الإحسان إلى الناس ، لا يقصد الإحسان فحسب ، بل يقصد تغطية سوءات أبيه ، مع أن هذه المغالاة تزيد في كشف عورة أبيه ، وتزيد في التنديد به ، وتشعر الناس بحالة (الفقد) في حياة (الفقيد) !! .

(٢)

(افتتح المهدى أمره بالنظر في المظالم ، والكف عن القتل ، وأَمْن الخائف ، وإنصاف المظلوم ، وبَسطَ يده في الإعطاء ، فأذهب جميع ما خلفه المنصور) من مال (سوى ما حباه في أيامه) ـ مروج الذهب ٣ / ٣٢٢ .

وأمر بإخراج من فى المحابس من الطالبيين وغيرهم ، من سائر الناس ، وأمر لهم بجوائز وصلات ، ولم يطلق أحـدا إلا كساه ووصله على قدره ، حتى بلغ إلى عبد الله بن مروان ابن محمد ، وكان فى الحبس من أيام أبى العبـاس ، فأمـر بتخلية سبيله ، وأعطاه عشـرة آلاف درهم ، وأحسـن إلى زوجـة مـروان بن محمد ، وجعلها من نسـاء بيته ، وسـاوى بينهـا وبينهن .

وأمر بأن (يجرى على المجذّمين وأهل السجـون فى جـميع الآفـاق) ، وأفرط فى الإنفـاق ، حتى قال له يعقوب بن داود : هذا والله السرف ، فقال : ويلك ، وهل يحسن السرف إلا بأهل الشرف ؟ ويلك يا يعقوب ، لولا السرف لم يعرف المكثرون من المقترين ـ الطبرى حـ ٨ ص ١٥٧ .

و (كان من فعله فى ركوبه أن يحمل معـه بـدر الدنانير والدراهم ، فلا يسأله أحد إلا أعطاه ، وإن سكت ابتدأه المفرق بين يديه) ـ مروج الذهب حـ ٤ ص ٣١٥ .

رحل المهدى إلى بلاد الحجاز سنة ١٦٠ هـ ، وقسم فى أهل مكة وأهل المدينة مالا كثيرا ، فقـد حمل معـه من بغـداد ثلاثين مليون درهـم ، كـما وصل إليـه ـ وهو فى الحجـاز ـ ثلاثمائة ألف دينـار ، بعثهـا إليه والى مصر ، ومائتا ألف دينار ، أرسـلها والى اليمن ، وفرق من الثياب مائة وخمسين ألف ثوب ، وعمل المهدى على استمالة أهل الحرمين بالإحسان والتكريم ، وردّ إليهم الوظائف التى أبعدهم أبوه عنها ، واتخذ لهم مآدب اهتم بزخرفتها وتنميقها ، للدلالة على عظمته وأبهته ، وحمل الثلج إليه من الشـام إلى مكة ـ الطبرى حـ ٦ ص ٣٦٦ / ٣٦٧ .

وقد أعانه على هذا كله سعـة خـراج الدولـة ، وقـدرة من تولى وزارتـه .

كان وزيره أبو عبيد الله بن معاوية بن يسـار (كاتب الدنيا ، وأوحد الناس حذقا وعلما وخبرة) ، وقـد (جمع له حـاصل المملكة ، ورتّب الديوان ، وقـرر القواعد) ـ الفخرى لابن طباطبا ص ١٨١ .

فلما غضب عليه المهدى ، كان وزيره يعقوب بن داود ، الذى بلغ من إعجاب المهدى به أن خرج كتاب المهدى إلى الديوان أن أمير المؤمنين آخى يعقوب بن داود ، الذى بلغ من إعجاب المهدى به أن خرج كتاب المهدى إلى الديـوان أن أمير المؤمنين آخى يعقوب بن داود ، فلم يكن ينفـذ شيء من كتب المهدى ، حتى يرد كتاب الـوزير يعقوب معـه إلى أمينه

بإنفاذه ، وكان الوزير يرفع إليه النّصائح فى الأمور الحسنة من أمور الثغور والولايات ، وبناء الحصون ، وتقوية الغزاة ، وتزويج العزّاب ، وفكاك الأسرى ، والمحبّسين ، وإعانة الغارمين ، والصدقة على المتعفّفين .

وقد أعانه وزيراه على أن ينْعَم بحياته ، وأن يعيش عيشة الترف والبذخ ، وأن تتفتح شهيته للحياة .

خرج للصيد ، فدفع إلى خبـاء أعرابى ، وهو جائع ، فقال : يا أعرابى ، هل عندك قِرى ، فـإنى ضيفك ؟ قال : أراك طريرا جسيما عميما ، فإن احتملت الموجود قرّبنا لك ما يحضُرنا ، قال : هات ما عندك ، فأخرج له خبز مَلّة فأكلها ، وقال : طيّبة ، هات ما عندك فأخرج إليه لبنا فى كرش فسقاه ، فشرب ، وقال : طيب ، هات ما عندك ، فأخرج له فضلة نبيذ فى ركوة ، فشرب الأعرابى واحـدا وسقاه ، فلما شرب قال المهدى : أتدرى من أنا ؟ قال : لا والله ، قال : أنا من خـدَم الخاصة ، قـال : بارك الله فى موضعك ، وحياك من كنت ، ثم شرب الأعرابى قدحا وسقاه ، فلما شرب ، قال له : يا أعرابى ، أتدرى من أنا ؟ قال : نعم ، ذكرت أنك من خدم الخاصة ، قـال : لسـت كذلك ، قـال : فمن أنت ؟ قال : أنا أحد قواد المهدى ، قال : رحُبت دارك ، وطاب مزارك ، ثم شرب الأعرابى قدحا وسقاه ، فلما شرب الثالث ، قال : يا أعرابى ، أتدرى من أنا ؟ قال : نعم ، زعمت أنك أحد قواد المهدى ، قال : لست كذلك ، قال : فمن أنت ؟ قال : أمير المؤمنين بنفسه ، فأخذ الأعرابى ركوته فَوكاها ، فقال له المهدى : اسقنا ، قال : لا والله ، لا تشرب منها جرعة فما فوقهـا ، قال : ولم ؟ قال : سقيتك قدحا ، فزعمت أنك من خدم الخاصة ، فاحتملناها لك ، ثم سقيناك آخـر ، فزعمت أنك أحد قواد المهدى ، فاحتملناها لك ، ثم سقيناك الثالث ، فزعمت أنك أمير المؤمنين ، ولا والله ما آمن أن أسقيك الرابع ، فتقول : إنك رسول الله ، فضحك المهدى ، وأحاطت به الخيل ، فنزل إليه أبناء الملوك والأشراف ، فطار قلب الأعرابى ، فلم يكن همه إلا النجاة بنفسه ، وجعل يشتد فى عَدْوِه ، فقال له المهدى : لا بأس عليك ، وأمر له بصلة جزيلة من المال وكسوة وبزة وآلة ، فقال : أشهد أنك صادق ، ولو ادعيت الرابعة والخامسة لخرجت منها ، فضحك المهدى حتى كاد أن يقع عن فرسه ، حين ذكر الرابعة والخامسة ، وجعل له رزقا ، وألحقه بخواصه ـ مروج الذهب حـ ٣ ص ٣٢١ .

قـصة طريفـة تذكر فى كتب الأدب منسـوبة إلى آخـرين ، ولعلهـا من طـرائف الخيـال العربى .

☐ احتفل المهدى بغدوته وروحته ، فكان فى أيام الجمع يبدأ الموكب بسيْر حراس الخليفة ، حاملين الأعلام ، ثم يليهم أمراء البيت العباسى ، على الخيول المطهمة ، ثم الخليفة ممتطيا جوادا شديد البياض ، وبين يديه كبار رجال الدولة ، وكان الخليفة يلبس فى تلك المواكب القباء الأسود ، ويتمنطق بمنطقة مرصعة بالجواهر ، ويتشح بعباءة سوداء ، ويلبس قلنسوة مزينة بجوهرة عالية ، وبيده قضيب الرسول ـ ﷺ ـ وخاتم الخلافة ، ويتدلى على صدره سلسلة ذهبية مرصعة بالجواهر النفيسة ، وكان من مظاهر سيادة الخليفة فى بغداد أن يضرب على باب قصره بالطبول والأبواق فى أوقات الصلاة .

ومن أعظم مواكب المهدى موكبه عند خروجه إلى الحج ، حيث يجتمع ببغداد الحجاج من مختلف الأقطار الإسلامية الشرقية ، وخاصة أهل العراق وفارس وخراسان وغيرها .

وكان يحمل فى موكبه بدَر الدراهم والدنانير ، فلا يتعرض له أحد إلا أعطاه ، حتى كان أرباب الدولة يخافون نفاد ما فى بيت المال .

وتوسع فى احتفالاته ، فاحتفل بعيد النوروز ، أول أيام السنة عند الفرس ، وبعيد المهرجان ، آخر أيام السنة الفارسية ، مجاملة لرعاياه من أهل فارس وخراسان (؟!) ـ المهدى العباسى للدكتور الخربوطلى ـ أعلام العرب ـ ص ٩٢/٩٠ .

☐ ويوم بويع المهدى بالخلافة فى بغداد كان مستويا على عرش مكلل باللؤلؤ والياقوت وأنواع الجواهر ، وعلى رأس العرش قبة تتدلى منها أستار من الديباج ، وعلى يمينه ويساره غلامان قد التحفا بالذهب ، ووقفا بمظلتين من الريش الأسود مرفوعتين على رمحين مكسوين بعروق من الذهب ، قد طعِّمت بالياقوت والزبرجد والفيروز ، ودونهما بنو هاشم على وسائد قد ثنيت لهم ، ولباسهم خز أسود ، وكذلك كان لباس المهدى ، فاللون الأسود هو شعار العباسيين ، وكانت عليه الطرحة ، وعلى كتفه بردة النبى ـ ﷺ ـ التى استصحبها إلى الحج ، وفى يده القضيب ، وفى الأخرى خاتم الخلافة .

وكان المهدى يتنقل بين قصر الذهب الذى أنشأه المنصور فى وسط بغداد ، وبين قصر الخُلد الذى أتم المهدى بناءه على الشاطئ الغربى لنهر دجلة ، واهتم المهدى بزخرفته وتجميله ، وسماه (الخلد) تشبيها بجنة الخلد ، وبنى وجُوه بغداد حوله قصورهم ، حتى قامت ضاحية تسمى الخلد ، وأقام المهدى فى القصر عرشا سماه (مجلس الأمير) قامت فيه أعمدة الرخام المجزّع ، ويحيط بها قضبان من ذهب ، وفرش المهدى هذا المجلس بالبسط

والديباج ، وقد نقش أبياتا من الشعر تمدح الخليفة ، وحول العرش اصطفّت مقاعد مرصعة باللؤلؤ ، يجلس عليها رجالات الدولة ، وكان المهدى يجلس على عرشه داخل قبة مفروشة بأفخر أنواع الحرير المُطعّم بالخيوط الذهبية .

وحينما احتفل بزواج ابنه هارون الرشيد من السيدة زبيدة ، أقام يوم زفافهما وليمة لم يسبق إليها أحد فى العصر الإسلامى ، ووهب للناس فى هذا اليوم أوانى الذهب مملوءة بالفضة ، وأوانى الفضة مملوءة بالذهب والمسك والعنبر ، وزين العروس بكثير من الحلى والجواهر ، حتى إنها لم تقدر على المشى لكثرة ما عليها ، وأنفق على الاحتفال مليونا وثلاثمائة وثمانية وثمانين ألف دينار ، من أمواله الخاصة ، عدَا ما أنفقه هرون ، أما السيدة زبيدة فقد قدرت نفقات ليلة الاحتفال بزواجها بمبلغ يتراوح بين ٣٥ و ٣٧ مليون دينار (!!) [١] المصدر السابق ـ ص ٤٢ و ٨٦ و ٩١ .

☐ ومع هذا ، قيل : إنه عمل على إحياء السنة النبوية ، فأمر بنزع المقاصير من المساجد الجامعة ، وتقصير المنابر ، وتصييرها إلى المقدار الذى عليه منبر رسول الله ﷺ .

وكان معاوية بن أبى سفيان قد ابتدع المقصورة ، يصلى فيها هو وكبار الحاشية ، بعد أن شهد مصرع الخليفتين عمر وعلى أثناء الصلاة بالمسجد .

ورفع الأمويون المنابر لكثرة المصلين .

وإذا المهدى التّقى النّقى يأبى إلا أن يخالف (الأمويين) ، كما فعل أبو مسلم الخراسانى بصلاة العيد ، أو كما يفعل الحمقى من المتطرفين اليوم الذين يرون الدين فى تطويل اللحية وتقصير الثياب .

لقد ارتفعت المنابر كما ارتفعت المآذن ، ليصل الصوت إلى أكبر عدد من المصلين ، ولو أن أحدا نادى اليوم بتقصير المنابر والمآذن لكانت حجته فى ظهور مكبرات الصوت ، وإن كان انقطاع الكهرباء قد يقطع هذه الحجة ، إلا أن يقال بإلحاق مولّد كهربائى مع كل مسجد .

١ـ ولم يكن ولاة الأقاليم أقل سفها من الخلفاء ، فما أنفق فى زواج (قطر الندى) يكاد يبلغ حد الجنون ، حتى إن خمارويه (٨٨٤ ـ ٨٩٥) رصّع جدران قصره بالذهب ، وفرض على شعب مصر الضرائب الباهظة لينشئ لنفسه بركة من الزئبق ليتأرجح على فراش من الجلد المنفوخ ، حتى يغلبه النوم !! . قصة الحضارة : ديورانت حـ ٢ مج ص ٢٦٥ .

ويقال : إن المهدى اشتد على الزنادقة ، وتتبع خطاهم ، وأمر بتأليف المقالات ، وأجرى المناظرات لإقامة الحجة عليهم ، ومع هذا فقد كان أبو العتاهية من المقربين إليه ، مع أن فيه نزعة ثنوية كان ينزعها الفرس قديما ، كما قال الأستاذ أحمد أمين ـ ضحى الإسلام ١٩٥/١ ـ وكان بشار بن برد يتردد على مجلسه ، ولم يُقتلْ على الزندقة إلا بعد أن نيَّف على التسعين ، وكان ـ كما يقول أبو الفدا فى المختصر فى أخبار البشر حـ٢ ص١٠ ـ (يفضل النار على الأرض ، ويصوب رأى إبليس فى امتناعه عن السجود لآدم) ، مع أن لموقف بشّار هذا تفسيرا بعيدا من الزندقة ، على أساس أنه أراد التهوين من أمر الإنسان ، وإنما قتل لسلاطة لسانه ، وجرأته على الخليفة ووزيره يعقوب فى قوله :

بنى أمية هُبوا ، طال نومكم ... إن الخليفة يعقوبُ بنُ داود
ضاعت خلافتكم يا قوم ، فالتمسوا ... خليفة الله بين الزّق والعود

وفيما يقول الطبرى : إن (المهدى كان لا يشرب النبيذ إلا تحرجا ، ولكنه كان لا يشتهيه) ، مع أن الأئمة مالكا والشافعى وأحمد بن حنبل فسروا الخمر بما يشمل جميع الأنبذة .

ويقول الطبرى : (كان أصحاب المهدى ـ عمر بن بزيع والمعلى مولاه والمفضل ومواليه ـ يشربون عنده ، بحيث يراهم) ، وقد لعن ناقل الخمر والمتاجر فيه والمعين عليه ، فكيف بخليفة (إمام) أعدّ ليكون (المهدى المنتظر) ، يأذن به فى مجلسه ، وليس من المعقول أن يحضر القوم الدنان مختّمة ، والكئوس عليها تصاوير كسرى ، ولزوم المجلس من جوار وراقصات ومطربات وعازفات ، مع الورود و (المزّات) من منازلهم ، ثم يفاجأ المهدى بهذا كله ، فيغض الطرف حياء ونكرا ، ويستعيذ بالله من الشيطان وأعوانه ، ثم يكتفى بقدح من النبيذ !! .

إن مجلس (نافخ الكير) ـ كما أشار حديث رسول الله ﷺ ـ يؤذى كل من حضر بدخانه وشرره ، وبالسخام الذى ينشره على الوجوه والثياب .

أيكون هذا أدخل فى باب السماحة والدماثة والسخاء و (سعة الأفق) : كما رأى كثير من المؤرخين ، ومن ينتصرون بروح العصر !! .

أليس المهدى هو القـائل : (لا ينصح لنـا ناصح إلا فـيه رِضَى الله ، وللمسلمين صلاح ، فإنما لنا الأبدان ، وليس لنا القلوب ، ومن استتر عنا لم نكشفه ، ومن بادأنا طلبنا توبته ، ومن أخطأ أقلنا عثرته ، فإنى أرى التأديب بالصفح أبلغ منه بالعقوبة ، والسلامة مع العفو أكثر منها مع العاجـلة ، والقـلوب لا تبقى لـوالٍ لا ينعطف إذا استعطف ، ولا يعفـو إذا قدر ، ولا يغفر إذا ظفر ، ولا يرحم إذا استرحم) ؟! .

فهل يدخل شرب الخمر فى مجلسه تحت إطار العفو والعطف والغفران والرحمة ؟! .

رحم الله أبا جعفـر إذ قـال : (إذا اجتمعت البلاغـة مع الغنى أدت بصاحبهـا إلى البطـر) !! .

وكما قيل عن ابن عباس : إذا اجتمع الفقه مع الولاية أدى بصاحبه إلى (التأويل) وأكل مال المسلمين !! .

وحسب المهدى أنه تخرَّج فى قصره (ولداه ، زينة الدنيا وبهجة عصرهما فى الظرف والغناء : إبراهيم بن المهدى ، وعلية بنت المهدى) !! .



دخل سديف مولى السفاح عليه ، وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك ، وقد أكرمه السفاح ، فقال سديف :

لا يغــرنك مــا ترى من رجــال   إن تحـت الـضـلـوع داء دويًا
فـضع السيف ، وارفع السوط حتى   لا ترى فـوق ظهـرها أمـويًا

فقال سليمان : قتلتنى يا شيخ .. دخل السفاح ، وأخذ سليمان فقتل ، وكانا ــ منذ لحظة ــ يتسامران ويتبادلان أنخاب المودة !! .

ودخل شبل بن عبد الله ، مولى بنى هاشم ، على عبد الله بن على ــ عم السفاح ــ وعنده من بنى أمية نحو تسعين رجلا ، على الطعام ، فأقبل عليه شبل ، وقال :

أصـبح الملك ثابت الأسـاس   بالبـهـاليل من بنى العـبـاس
طلبـوا وِتر هاشم فـشـفـوها   بعـد مـيل من الزمـان وباس
لا تُقيلن عـبـد شـمس عـثـارا   واقطعنْ كل رقلة وغـراس
ذُلهـا أظهـر التـودد منهـا   وبهـا منكم كـحـرّ المواسى
فلقـد غـاظنى وغـاظ سَوائى   قُربهم من نمارق وكـراسى
أنزِلوها بحـيث أنزلهـا الله (م) بذات الهـوان والإتعـاس
واذكـروا مـصـرع الحسين وزيدا   وقـتـيـلا بجـانب المهـراس
والقـتيل الذى بحـران أضحى   ثـاويا بين غـربة وتنـاسى

فأمر بهم عبد الله ، فضربوا بالعُمد حتى قتلوا ، وبسط عليهم الأنطاع ، فأكل الطعام عليها ، وهو يسمع أنين بعضهم ، حتى ماتوا جميعا ، وأمر عبد الله بنبش قبور بنى أمية بدمشق ، فنبش قبر معاوية بن أبى سفيان ، فلم يجدوا إلا خيطا مثل الهباء ونبش قبر يزيد ابن معاوية ، فوجدوا فيه حطاما كالرماد ، ونبش قبر عبد الملك بن مروان ، فوجدوا فيه جمجمة ، وكان يوجد فى القبر العضو بعد العضو ، غير هشام بن عبد الملك ، فإنه وجد صحيحا ، لم يبل منه إلا أرنبة أنفه ، فضربه بالسياط ، ثم صلبه ، ثم حرقه وذراه فى الريح ، وتتبع بنى أمية ، من أولاد الخلفاء وغيرهم ، فأخذهم .

وقتلَ سليمانُ بن على (عم السفاح) بالبصرة منهم جماعة ، وألقاهم على الطريق ، فأكلتهم الكلاب .

وسيّر السفاح أخاه يحيى إلى الموصل فى اثنى عشر ألفا ، فنزل قصر الإمارة ، ولم يُظهر لهم ما يكرهونه ، ولا عارضهم فى أمر ، ثم دعاهم فقتل منهم اثنى عشر رجلا ، فنفر أهل البلد ، وحملوا السلاح ، فأعطاهم الأمان ، فنودى : من دخل الجامع فهو آمن ، فأتاه الناس يُهرعون ، فأقام يحيى الرجال على أبواب الجامع ، فقتلوا الناس قتلا ذريعا ، أسرفوا فيه ، فقيل : إنه قتل عشرين ألفا ممّن له خاتم ـ أى من كبار الناس ـ ومن ليس له خاتم ما شاء الله ، فلما كان الليل ، سمع يحيى صراخ النساء يبكين رجالهن ، فقال : إذا كان الغد ، فاقتلوا النساء والصبيان ، فقتلوا منهم ثلاثة أيام !! .

وقيل : كان السبب فى قتل أهل الموصل ما ظهر منهم من كراهية بنى العباس !! نهاية الأرب حـ ٢٢ ص ٤٩/ ٥٨ .

☐ (قدم عبد الله بن علىّ عَلى السفاح ، فجعله على الصائفة ، وسيرّ معه أهل الشام وخراسان ، فسار حتى بلغ دلوك ، ولم يدْرب ، فأتاه الخبر بوفاة السفاح وبيعة المنصور ، فرجع وبايع لنفسه ، وأعلم الناس أن السفاح ـ لما وجه الجنود إلى مروان ابن محمد ـ دعا أهل بيته ، وقال : من انتدب منكم لقتال مروان ، وسار إليه ، فهو ولى عهدى ، فلم ينتدب غيرى ، وعلى هذا خرجت من عنده ، وقتلت من قتلت ، وشهد له أبو غانم الطائى وخُفاف المروروزى ، وغيرهما من القواد ، فبايعوه ، ومنهم حميد بن قحطبه وغيره ، ثم سار عبد الله ، حتى أتى حَران ، وبها مُقاتل العكى ، قد استخلفه أبو جعفر لما سار إلى مكة ، فتحصّن منه مقاتل ، فحصره أربعين يوما) .

وانهزم عبد الله أمام أبى مسلم ، و (أتى أخاه سليمان بن على بالبصرة ، فأقام عنده زمانا متواريا) .

فأرسل المنصور إلى سليمان وعيسى ابنى علىّ فى إحضار عبد الله ، وأمّنه ، وكان ابن المقفع كاتب الأمان ، فاشتد فيه حتى كان سبب قتله .. وكان الذى شق على أبى جعفر ما جاء فيه :

(يوقع بخطه فى أسفل الأمان : وإن أنا نلت عبد الله بن على ، أو أحدا ممن أقدمه معه ، بصغير من المكروه أو كبير ، أى أوصلت إلى أحد منهم ضررا ، سرا أو علانية ، على الوجوه والأسباب كلها ، تصريحا أو كناية ، أو بحيلة من الحيل ـ فأنا نَفىّ من محمد ابن على بن عبد الله ، ومولود لغير رِشْدة ، وقد حلّ لجميع أمة محمد خلعى وحربى والبراءة

منى ، ولا بيعة لى فى رقاب المسلمين ، ولا عهد ولا ذمة ، وقد وجب عليهم الخروج من طاعتى ، وإعانة من ناوأنى من جميع الخلق ، ولا موالاة بينى وبين أحد من المسلمين ، وهو متبرّى من الحول والقوة ، ومدّع ، إن كان ، أنه كافر بجميع الأديان ، ولقى ربه على غير دين ولا شريعة ، محرم المأكل والمشرب والمناكح والمركب والرق والملك والملبس ، على الوجوه والأسباب كلها ، وكتبت بخطّى ، ولا نية لى سواه ، ولا يقبل الله منى إلا إياه والوفاء به) .

وفى رواية أخرى أن مما كتبه ابن المقفع فى فصول هذا الأمان قوله : (ومتى غدرَ أمير المؤمنين بعمه عبد الله بن على فنساؤه طوالق ، ودوابّه حُبس ، وعبيده أحرار ، والمسلمون فى حِلّ من بيعته) ـ الجهشيارى فى تاريخ الوزراء والكتاب ص ١٠٤ .

ووافق أبو جعفر على دخَن ، فأقبل عليه عبد الله ، مع قواده ومواليه وأصحابه ، فقتل بعضهم بحضرته ، وبعث بقيتهم إلى خالد بن إبراهيم ـ عامل خراسان ـ فقتلهم بها ، وسيق عبد الله إلى السجن ، حتى ينظر فيه .

ولما كان عيسى بن موسى عقَبة فى سبيل تولية (المهدى) ولاية العهد ، وانفراده بالسلطة بعد أبيه ، فقد سعى أبو جعفر فى أن يأتيه رأساً غريميه فى طبق واحد .

كان قد (عزل عيسى بن موسى عن الكوفة وأرضها ، وولى مكانه محمد بن سليمان ابن على ، وأوفده إلى مدينة السلام ، فدعا به ، فدفع إليه عبد الله بن على سرّا فى جوف الليل ، ثم قال له : يا عيسى ، إن هذا أراد أن يزيل النعمة عنى وعنك ، فأنت ولى عهدى بعد المهدى ، والخلافة صائرة إليك ، فخذه إليك ، واضرب عنقه ، وإياك أن تخور أو تضعف ، فتنقض علىّ أمرى الذى دبرت) .

(وكتب إليه أبو جعفر ثلاث مرات يسأله ما فعل فى الأمر الذى أوعز إليه فيه ، فكتب إليه ، قد أنفذت ما أمرت به ، فلم يشك أبو جعفر فى أنه قد فعل) .

(كان عيسى ـ حين دفعه إليه ـ ستره ، ودعا كاتبه يونس بن فروة) يرى رأيه ، (فقال له : أراد أن يقتلك ويقتله ، يأمرك بقتله سرا ، ثم يدعيه عليك علانية ، ثم يقيدك به ، قال : فما الرأى ؟ قال : الرأى أن تستره فى منزلك ، فلا تُطلع على أمره أحدا ، فإن طلبه منك علانية دفعته إليه علانية ، ولا تدفعه إليه سرا أبدا) .

(دسّ المنصور إلى عمومته من يحركهم على مسألته هبة عبد الله بن على لهم ، ويطمعهم فى أنه سيفعل) .

(جاءوا إليه وكلّموه ورققوه ، وذكروا له الرحم ، وأظهروا له رقة ، فقال : نعم ، علىّ بعيسى بن موسى ، فأتاه) .

(قال : يا عيسى ، قد علمت أنى دفعت إليك عمّى وعمك عبد الله بن على ، قبل خروجى إلى الحج ، وأمرتك أن يكون فى منزلك) .

(فقال : قد فعلت ذلك ، يا أمير المؤمنين) .

(قال : قد كلمنى عمومتك فيه ، فرأيت الصفح عنه ، وتخلية سبيله ، فأتنا به) .

(فقال : يا أمير المؤمنين : ألم تأمرنى بقتله ، فقتلته ؟!) .

(قال : ما أمرتك بقتله ، إنما أمرتك بحبسه فى منزلك) .

(فقال : قد أمرتنى بقتله) .

(قال : كذبت ، ما أمرتك بقتله) .

(ثم قال لعمومته : إن هذا قد أقر لكم بقتل أخيكم ، وادعى أنى أمرته بذلك ، وقد كذب ، قالوا : فادفعه إلينا ، نقتله به ، قال : شأنكم به ، فأخرجوه إلى الرحبة ، واجتمع الناس ، وشَهِر الأمر ، فقام أحدهم فشَهر سيفه ، وتقدم إلى عيسى ليضربه) .

قال عيسى لأمير المؤمنين : (إنما أردتَ بقتله أن تقتلنى ، هذا عمك حىّ سَوِىّ ، إن أمرتنى بدفعه إليك دفعته) .

(قال : ائتنا به ، فأتاه به) .

ولم ينجل الغبار عن خجل الجبّار ، بل جعل عمه عبد الله (فى بيت أساسه ملح ، وأجرى فى أساسه الماء ، فسقط عليه ، فمات) - أبو جعفر المنصور لعلى أدهم ص ١٤٩ / ١٥١ .

ووقف طائر الموت على رأس عيسى بن موسى ينتظر أن يحج أمير المؤمنين !! .

□ ولما أخفقت سياسة المنصور في التقرب من عبد الرحمن الداخل ، أمير الأندلس الأموى ، ورأى أن يكيد له بأن يتحالف مع أعدائه ، أرسل سفراء إلى بلاط (ببن) ملك الفرنجة ، وطلب منه أن يساعده ضد عبد الرحمن الداخل ، وأقام سفراء المنصور فى بلاط (ببن) عدة سنين ، ثم عادوا إلى بغداد ، وفى رفقتهم بعض سفراء الفرنجة ، الذين عادوا إلى (ببن) بالهدايا الفاخرة التى تمثل الحضارة العباسية الزاهرة ـ المهدى العباسي للدكتور الخربوطلى ـ أعلام العرب عدد ٥١ ص ١٨٣ .

معنى هذا أن المنصور كان على استعداد لأن يحالف الشيطان فى سبيل السلطان ، وأن يركب بحور الدم وصولا إلى شط الأمان !! .

ولو أننا أخذنا بإحصاءات كتب التاريخ لمن قتل فى عهدى السفاح والمنصور لزاد على عدد سكان دولة بنى العباس ، وهذا لا يفيد كذب الروايات بقدر ما يفيد هول وقع الأحداث على الرواة !! .

□ كان الربيع مولى (المنصور) وكاتبه المقرب ، كما كان أبو عبيد الله الكاتب المقرب من (المهدى) ولى العهد ، فلما مات المنصور ذهب الربيع إلى عبيد الله ووقع فى نفسه أنه لم يحسن استقباله ، فأراد أن ينتقم منه ، وقال : (والله الذى لا إله إلا هو ، لأخلعنّ جاهى ، ولأنفقن مالى ، حتى أبلغ من أبى عبيد الله) .

أرسل الربيع إلى القشيرى الذى كان أبو عبيد الله حَجبه ، وطلب إليه حيلة فى أمره بعد ما أعيته ، فشهد القشيرى لأبى عبيد الله أنه (أحذق الناس) ، وأنه (أعفّ الناس) ، وأنه (لا يخالف السلطان) ، إلا أنه (يميل إلى القدر بعض الميل) ، أى أنه يميل إلى (فكر المعتزلة) ، و (ليس يُقلق عليه بذلك) ، ولكن (هذا كله مجتمع فى ابنه) أى أن ابنه متهم فى فطنته ، وفى عفته ، وفى ولائه ، فما زال الربيع (يحتال ويدس إلى المهدى ، يتهمه ببعض حرم المهدى ، حتى استحكم عند المهدى الظنة بمحمد بن أبى عبيد الله ، فأمر فأحضر ، وأُخرج أبو عبيد الله ، فقال : يا محمد ، اقرأ ، فذهب يقرأ فاستعجم عليه القرآن ، فقال : يا معاوية ـ معاوية بن يسار اسم أبى عبيد الله ـ ألم تُعلمنى أن ابنك جامع القرآن ؟ قال : أخبرتك يا أمير المؤمنين ، ولكن فارقنى منذ سنين ، وفى هذه المدة التى نأى فيها عنى نسى القرآن ، قال : قم فتقرب إلى الله فِي دمه ، فذهب ليقوم فوقع ، فقال العباس ابن محمد : إن رأيت ـ يا أمير المؤمنين ـ أن تعفى الشيخ) ، فأمر به فأخرج ، وتولى العباس ضرب عنقه ـ الطبرى جـ ٨ ص ١٣٧/١٣٩ .

رجل لم يحسن استقبال آخر ، أو كان الاستقبال على غير ما قدّر الآخر ، فحقد عليه ، وسعى فى قتله بقتل ابنه !! .

حاكم لقب (بالمهدى) ليملأ الدنيا عدلا ، بعد أن ملئت جوراً ، يأمر الأب بقتل ابنه ، لأنه لم يحسن قراءة القرآن !! .

جليس يتبرع بمهمة القتل ، إرضاء للحاكم ، وهو لا يرى من الصورة إلا أن (القتيل) لم يحسن القراءة !! .

المحاكمة ـ فى ظاهرها ـ قامت على (سوء) قراءة القرآن ، أو على (سوء) حفظه ، وهذا يعنى أن الحاكم وجلساءه يجيدون القراءة والحفظ ، ومن ثم فهم جميعا على وعى دقيق بما فى آيات الله البينات من الهدى والفرقان ، ومن هذا الفرقان قوله جل شأنه : **﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة ﴾** ، والتبين (إقامة البينة) بالشهود أو بالاعتراف ، **﴿ وجزاء سيئة سيئة مثلها ﴾** ، أى **﴿ العين بالعين والسن بالسن والجروح قصاص ﴾** ، مع مراعاة أن **﴿ من تصدق به ﴾** ـ القصاص ـ **﴿ فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ﴾** ، **﴿ الفاسقون ﴾** ، **﴿ الكافرون ﴾** .

هذا هو الشرع الحكيم الذى قامت (الحكومات الإسلامية) لتنفيذه ، والالتزام بآدابه ، وتشريع يقوم على العدل والرحمة ، والعفو عند المقدرة **﴿ فمن عفا وأصلح فأجره على الله ﴾** .

لكن ، ماذا تقول فيمن يرفعون راية الإسلام ، ويلبسون ملابس الإسلام ، ويترددون على مساجد الإسلام ، ويسلكون سلوك أعداء الإسلام ، وهم يحملون سيوفا وخناجر للانتقام والاغتيال ، أخذا بالشبهة ، وانقيادا للظنة ، ثم يحوقلون ، ويتعوذون ، ويستغفرون ؟! .

أليست (مهزلة) إنسانية ، ولا أقول (إسلامية) أن تُلحق أعمال العتاه المجرمين بأى دين ؟!! .

إننا ننكر على التاريخ اليهودى أن الجرائم التى ارتكبت نسبت إلى رب إسرائيل وشعبه المختار ، فماذا نفعل ، ونحن نقرأ هذه الصفحات السود والدماء المهدرة ، بأيدى (ورثة النبوة) من الأئمة المهديين ، وأمراء المؤمنين ؟! .

وإذا كان هذا حال (ورثة النبوة) ، فماذا يكون حال الحاشية والأتباع ، أوْ حال من لا يملكون من الدين إلا الشهادتين ؟! .

كم ذا باسم الإسلام تنتهك الحُرم ، وتتطاير الهام ، وتتمرد الأحكام ، وتنفجر النزوات والشهوات والآثام !! .

☐ استمرت هذه المهازل بالولوغ فى دماء المعارضين ، واقعا وتوهما ، وتبديد أموال الدولة على كسب الرجال ، أو على القضاء عليهم .

وتوارث أبناء وأحفاد السفاح والمنصور هذه الآفات ، حتى إن الرشيد الذى قيل : إنه كان يصلى فى كل يوم مائة ركعة ، إلى أن فارق الدنيا ، لا يقطعها إلا فى مرض ، وكان يتصدق من صلب ماله (!!) فى كل يوم بألف درهم ، وكان إذا حج حج معه مائة من الفقهاء وأبنائهم ، وإذا لم يحج أحجّ ثلاثمائة رجل ، بالنفقة التامة والكسوة ، وبذل الأمان للطالبيين ، وأخرج الخمس لبنى هاشم ، وقسم للذكر والأنثى خمسمائة ، وفرض لأبناء المهاجرين والأنصار .

حتى هذا (الرشيد) قيل : إنه دخل قبر النبى ﷺ ـ ومعه الناس ، فلما انتهى إلى القبر الشريف وقف ، وقال : (السلام عليك يا رسول الله ، يا بن عم) ، قال ذلك افتخارا على من حوله ، فدنا موسى بن جعفر ، وقال : (السلام عليك يا أبت) ، فتغير وجه الرشيد ، وقال : (هذا الفخر يا أبا الحسن جدا ؟) ثم أخذه معه إلى العراق ، فحبسه عند السندى ابن شاهك ، حتى مات ، وكان موسى رجلا صالحا خيّرا ديّنا ، يقوم الليل كله ، وهو الملقب بالكاظم ، لُقّب به لإحسانه إلى من أساء إليه .

إذا كان هذا حال الرشيد فى حضرة المصطفى ﷺ ، أيطول بنا البحث عن سبب ارتكابه مذابح البرامكة ؟! .

وهل كان ابنه (الأمين) فى تبذله وتهتكه وغلامياته وعلاقته المسرفة بأبى نواس إلا من غراس بيته ؟! .

وهل المذابح العربية الفارسية وحريق بغداد إلا من ثمار ولديه الأمين والمأمون ؟! .

وهل كانت محنة خلق القرآن ـ على مدى ولديه المأمون والمعتصم ـ بأقل خطرا على الإسلام والمسلمين ، من غلاميات الأمين وأبى نواس ؟! .

لقد جلد المعتصم أحمد بن حنبل حتى غاب وعيه ، وتقطع جلده ، وقُيد وحبس ، ولم يكتف بهذا الجرم ، بل سجن الأفشين قائده المظفر الذى أبلى بلاء عظيما فى قتال

بابك الخرّمى ، بعد أن اشتد خطره ، ولما مات فى السجن أخرجه ميتا وصلبه بباب العامة .

وجاء الواثق ، وافتخر بقتل أحمد بن نصر ــ من علماء عصره ــ وصلبه ، وكتب فى أذنه رقعة : (هذا رأس الكافر المشرك الضال ، وهو أحمد بن نصر بن مالك ، ممن قتله الله على يدى عبد الله هرون الإمام الواثق بالله ، بعد أن أقام عليه الحجة فى خلق القرآن ، ونفى التشبيه ، وعرض عليه التوبة ، ومكّنه من الرجوع إلى الحق ، فأبى إلا المعاندة والتصريح ، والحمد لله الذى عجل به إلى ناره وأليم عقابه ، وأن أمير المؤمنين سأله عن ذلك فأقر بالتشبيه ، وتكلم بالكفر ، فاستحل بذلك أمير المؤمنين دمه ، ولعنه) !! .

هذا مع أن من كفّر مؤمنا فقد كفر ، والقول فى خلق القرآن أو فى قدمه مجرد بدعة ضالة مضلة ، لكنها لا تغير من إيمان مؤمن ، ولا تحكم عليه بالخروج من الملّة ، وإلا فقد كان المتوكل على الله ابن الواثق بالله أوْلى الناس باللعنة ، لأنه أدان القائلين بخلق القرآن ، وأفسح للانتقام من المعتزلة الذين اشتهروا بهذه القالة ، وأورث الإسلام والمسلمين فتنة أخرى مضادة ، كما أورث الإسلام والمسلمين نظاما للحكم أخطر وأشد فسادا ، بعد أن استبدل بالفرس جنودا من الترك ، كان أول ضحاياهم ، وكانوا سبب ضياع الدولة ، وتسليمها لقمة سائغة للتتار الذين أحرقوا وأغرقوا ما طالت أيديهم من التراث الإسلامى .

☐ وكانت الخيزران بنت عطاء (يمانية جرشية) أم ولد للمهدى ، استولدها موسى (الهادى) ثم أعتقها وتزوجها سنة ١٥٩ هـ .

و (كانت الخيزران فى خلافة موسى كثيرا ما تكلمه فى الحوائج ، فكان يجيبها إلى كل ما تسأله ، حتى مضى لذلك أربعة أشهر من خلافته ، وانثال الناس عليها ، وطمعوا فيها ، فكانت المواكب تغدو إلى بابها) .

قال يحيى بن الحسن : (فكلمتْه يوما فى أمر لم يجد إلى إجابتها إليه سبيلا ، فاعتلّ بعلة ، فقالت : لابد من إجابتى ، قال : لا أفعل ، قالت : فإنى قد تضمنت هذه الحاجة لعبد الله ابن مالك ، قال فغضب موسى ، وقال : ويل على ابن الفاعلة ، قد علمتُ أنه صاحبها ، والله لا قضيتها لك ، قالت : إذًا والله لا أسألك حاجة أبدا ، قال : إذًا والله لا أبالى ، وحمى وغضب ، فقامت مغضبة ، فقال : مكانك تستوعى كلامى والله ، وإلا فأنا نفىّ من قرابتى من رسول الله ــ ﷺ ــ لئن بلغنى أنه وقف ببابك أحد من قوادى ، أو أحد من خاصتى ، أو خدمى ، لأضربن عنقه ، ولأقبضن ماله ، فمن شاء فليلتزم ذلك ،

ما هـذه المواكب التي تغـدو وتروح إلى بابك في كل يـوم ؟! أمّا لك مغـزل يشـغلك ، أو مصحفٌ يذكرك ، أو بيت يصونك ؟! إياك ، ثم إياك ، ما فتحت بابك لِملّي أو لذمّي ، فانصرفت ما تعقل ما تطأ ، فلم تنطـق عنـده بحـلوة ولا مرة بعدهـا) ـ الطبرى حـ ٨ ص٢٠٥ .

كان للمرأة كبرياؤها بقدر ما كانت لها (حقوق) ماسّة ، إذ كانت (تسرف في شراء ملابسها وتزيينها ، حتى إنها اتخذت ثوبا من الوشي الرفيع ، يزيد ثمنه على خمسين ألف دينـار) ، وهي التي (ابتكرت اتخـاذ المنـاطق والنعـال المرصعـة بالجـواهر) ، فكيف ترعوى لولـد قـامت على حضانته وتنشئته ؟! وكيف تتخلى عن (حقـوق) أوجبها زوجهـا (المهدى) ؟! .

إنه ليس من اليسير أن تعود بالمارد إلى القمقم ، وبخاصة إذا كان هذا المارد امرأة ، ومن ثم كان لابد من خطوة فاصلة .

ذكر الفضل بن سعيد قـال : (فلما كثر عليه مصيرمن يصير إليها من قواده ، قال يوما وقد جمعهم : أيما خـير ، أنا أو أنتم ؟ قـالوا : بل أنت ، يا أمير المؤمنين ، قـال : فأيما خير ، أمي أو أمهاتكم ؟ قالوا : بل أمك ، يا أمير المؤمنين ، قال : فأيكم يحب أن يتحدث الرجـال بخبَرِ أمه ، فيقـولون : فعلت أم فـلان ، وصنعت أم فـلان ، وقـالت أم فلان ؟ قالوا : ما أحدٌ منا يحب ذلك ، قـال : فما بال الرجـال يأتون أمي فيتحدثون بحديثها ؟! . فلما سمعوا ذلك انقطعوا عنها ألبتة ، فشق ذلك عليها ، فـاعتزلته ، وحلفت ألا تكلمه ، فمـا دخلت عليه حتى حضرته الوفـاة) .

وقيل : (بعث موسى إلى أمه الخيزران بأرزّة ، وقال : استطبتها فأكلت منها ، فكلى منها ، قـالت مولاتها خالصة : أمسكي حتى تنتظرى ، فإنى أخاف أن يكون فيها شيء تكرهينه ، فجـاءوا بكلب فأكل منها ، فتسـاقط لحمه ، فـأرسل إليها بعد ذلك : كيف رأيت الأرزة ؟ فقالت : وجدتها طيبة ، فقـال : لم تأكلى ، ولو أكلت لكنتُ قد استرحت منك ، متى أفلح خليفة له أم ؟) .

وذكر بعض الهاشميين أن سبب موت الهادى كان أنه لما جدّ في خلع هرون والبيعة لابنه جعفر ، وخافت الخيزران على هرون منه ، دسّت إليه من جواريها ـ لما مرض ـ من قتله بالغم والجلـوس على وجـهه ، ووجـهت إلى يحيى بن خالد : إن الرجل قد توفى ، فاجدد في أمرك ، ولا تقصر) ـ الطبرى ٢٠٥/٨ ـ ٢٠٧ .

٣ - القرامطة ..

في سنة ٢٧٠ هـ قتل صاحب الزنج ، بعد أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام .

وفي سنة ٢٧٨ هـ ظهر أمر القرامطة بسواد العراق .

قال الشريف أبو الحسين محمد بن على بن الحسين بن أحمد .. ابن الحسين بن على ابن أبي طالب ، في كتاب ألفه[1] :

(لما صار الأمر إلى أحمد بن عبد الله بن ميمون بن ديصان بعد أبيه ، وأحمد هذا هو جد عبيد الله الملقب بالمهدى ، بعث ـ وهو بسَلَمية ـ الحسين الأهوازى عن قرية تعرف بـ « بانبورا » ، من قرى السواد .. قال له حمدان : فما تريد في القرية التي سألتني عنها ؟ قال : دُفع إلىّ جراب فيه علمُ سرّ من أسرار الله تعالى ، وأُمرت أن أشفى هذه القرية ، وأغنى أهلها ، وأستنقذهم ، وأملكهم أملاك أصحابهم) .

ولما أنس إلى حمدان ، ووجده أرضا خصبة ، قال له : (ما أمرت بأن أخرج السر المخزون لكل أحد ، إلا بعد الثقة به ، والعهد عليه ، فقال حمدان : وما عهدك ؟ فاذكره لي ، فإني ملتزم له ، فقال الدعىّ : أن تجعل لي وللإمام علَى نفسك عهد الله وميثاقه أن لا يخرج سر الإمام الذى ألقيته إليك ، ولا تُفشِي سرى أيضا) .

فلما حضرت هذا (الدعىّ) الوفاة جعل مقامه (قرمطا) ، فأخذ على أكثر أهل السواد (العهد) .

كان حمدان قرمط ذكيا خبيثا ، (يظهر الدين والزهد والتقشف ، ويأكل من كسبه ، فأقام على ذلك مدة ، فكان إذا جالسه رجل ذاكره الدين ، وزهّده في الدنيا ، وأعلمه أن الصلاة المفروضة على الناس خمسون صلاة في كل يوم ، حتى فشا ذلك بموضعه ، ثم أعلمهم أنه يدعو إلى إمام من أهل بيت رسول الله ـ ﷺ ـ فاستجاب له جمع كثير) .

(وكان أكبر دعاته « عَبدان » متزوجا أخت قرمط ، أو قرمط متزوجا أخته ، وكان عَبدان رجلا ذكيا فطناً خبيثا ، وكان لا يظهر غير التشيع والعلم ، ويدعو إلى الإمام من

---

١ ـ ذكر الدوا دارى في كتابه (كنز الدرر وجامع الغرر) عن الشريف أبى الحسين ما يؤيد ما نقله النويرى في نهاية الأرب حـ ٢٥ .

آل رسول الله ـ ﷺ ـ محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وكان أحد من تبع عبدان زكرويه بن مهرويه ، وكان شابا فيه ذكاء وفطنة) .

واتخذ حمدان من أتباعه (اثنى عشر نقيبا ، أمرهم أن يدعو الناس إلى مذهبه ، وقال : أنتم كحوارى عيسى ابن مريم) ـ نهاية الأرب حـ ٢٥ ص ١٩٢/١٨٧ .

فرائض قرمط ..

كان أول ما ابتدأ به (قرمط) أن (فرض عليهم ، وامتحنهم بتأدية درهم واحد ، وسمّى ذلك الفطرة ، من كل رأس من الرجال والنساء والصبيان ، فسارعوا إلى ذلك ، فتركهم مُديدة ، ثم فرض عليهم الهجرة ، وهو دينار على كل رأس أدرك الحِنث ، وتلا عليهم قوله تعالى : ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم** ﴾ ، وقال : هذا تأويل هذا ، فتعاونوا عليه ، فتركهم مُديدة ، ثم فرض عليهم البلغة ، وهى سبعة دنانير ، وزعم أن ذلك هو البرهان ، بقوله تعالى ﴿ **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** ﴾ .. وصنع لهم طعاما طيبا حلوا لذيذا ، وجعله على قدر البنادق ، يطعم كل من أدّى إليه سبعة دنانير واحدة منها ، وزعم أنه طعام أهل الجنة ، نزل إلى الإمام ، واتخذ ذلك كالخواتيم ، ينقل إلى الداعى منها مائة بُلغة ، ويطالبه بسبعمائة دينار ، فلما تواطأ له هذا الأمر فرض عليهم أخماس ما يملكون وما يتكسبون ، وتلا عليهم قوله تعالى ﴿ **واعلموا أن ما غنمتم من شئ فأن لله خمسه** ﴾ .. إلى آخر الآية ، قوّموا كل ما يملكونه من ثوب وغيره ، وأدّوا خمسه إليه ، حتى كانت المرأة تخرج خمس ما تغزل ، والرجل خمس ما يكسب ، فلما تم ذلك له ، واستقر ، فرض عليهم الألفة ، وهو أن يجمعوا أموالهم فى موضع واحد ، وأن يكونوا فى ذلك أسوة واحدة ، لا يفضل أحد منهم صاحبه وأخاه فى ملك يملكه ، وتلا عليهم قوله تعالى : ﴿ **واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا** ﴾ .. وذلك كله فى سنة ست وسبعين ومائتين) ـ نهاية الأرب حـ ٢٥ ص ١٩٤/١٩٣ .

□ (أمر الدعاة أن يجمعوا النساء ليلة معروفة ، ويختلطن بالرجال ، وقال : إن ذلك من صحة الود والألفة بينهم ، فربما بذل الرجل لأخيه امرأته متى أحب) .

(فلما تمكن من أمورهم ، ووثق بطاعتهم ، وتبين مقدار عقولهم ، أخذ فى تدريجهم إلى الضلالة ، وأتاهم بحجج من مذهب الثنوية ، فسلكوا معه فى ذلك ، حتى خلعهم من

الشريعة ، ونقض عليهم ما كان يأمرهم به فى مبدأ أمرهم من الخشوع والورع والتقى ، وأباح لهم الأموال والفروج ، والغنَى عن الصوم والصلاة والفرائض ، وأن ذلك كله موضوع عنهم ، وأن أموال المخالفين ودماءهم حلال لهم ، وأن معرفة صاحب الحق الذى يدعو إليه يغنى عن كل شىء ، ولايخاف معه إثم ولا ذنب) .

وكان (يوهم المستمعين أنه قد ظفر بعلم لو صادف له مستمعا لكان ناجيا منتفعا ، وقرر عندهم أن الآفة التى نزلت بالأمة ، وحيّرت فى الديانة ، وشتتت الكلمة ، وأورثت الأهواء المضلة ـ ذهابُ الناس عن أئمة نصبوا لهم ، وأقيموا حافظين لشرائعهم ، ويؤدونها على حقائقها ، ويحفظون عليهم معانيها وبواطنها) .

(وإنما الدين صعب مستصعب ، وأمر مستثقل ، وعلم خفى غامض ، سيّره الله فى حجبه ، وعظم شأنه عن ابتذال الأشرار له ، فهو سر الله ـ عز وجل ـ المكتوم ، وأمره المستور ، الذى لا يطيق حمله ، ولا ينهض بأعبائه وثقله ، إلا ملك مقرب ، أو نبى مرسل ، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان) .

وهذه مقدمة ـ كما يقول الشريف ـ يجعلونها فى نفوس المخدوعين ، ليواطئوهم على ألا ينكروا ما يسمعونه منهم ولا يدفعوه ، فيجعلوا ذلك تأنيسا وتأسيسا ، لينخلع من الشرائع ، وترتيب أصولها ، والحرص على طلبها ، وربما قالوا لهم شيئا يموهون به أن له تفسيرا ، وإنما هو تقليد فى الديانة ـ نهاية الأرب حـ ٢٥ ص ١٩٧/١٩٥ .

شعوذات ..

(يقرر الداعى عند المخدوع أن الذى ينبغى أن يعتقده فى عدد الأئمة أنهم سبعة ، عُظّموا فى أنفسهم وأعدادهم ، ورتبوا سبعة ، كما رُتبت جلائل الأمور : على بن أبى طالب ، ثم الحسن ، ثم على بن الحسين ـ زين العابدين ـ ثم محمد بن على الجليل الرضى ، ثم أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق ، ثم السابع ، وهو عندهم القائم ، وصاحب الزمان الآخر) .

(وبهذا يسْقط موسى بن جعفر ، وعلى بن موسى ، ومحمد بن على ، وعلى ابن أحمد والحسن بن على ، ومحمد المنتظر) .

ويقول حمدان : (إنا وجدنا صاحبنا محمد بن إسماعيل بن جعفر عنده علوم المستورات وبواطن المعلومات ، وفقدنا ذلك عند أحد سواه) .

(ويقرر أن عدد الأنبياء الناسخين للشرائع المبدّلين لها أصحاب الأدوار وتقليب الأحوال الناطقين على الأمور ـ سبعة ، بعدد الأئمة ، سواء ، كل واحد منهم له صاحب يأخذ عنه دعوته ، ويحفظها على أمته ، ويكون معه ظِهريًا فى حياته ، وخليفة له من بعد وفاته ، إلى أن يؤديها إلى آخر ، يكون سبيله معه سبيله هو مع نبيه الذى هو تابعه) .

(أول هؤلاء النطقاء آدم ، وصاحبه وسُوسه شيث ، ثم تمام السبعة ، ثم نوح وسوسه سام ، ثم تمام السبعة ، ثم إبراهيم وسوسه إسماعيل ، ثم تمام السبعة ، ثم موسى وسوسه هرون ، ولما مات هرون صار يوشع بن نون ، ثم تمام السبعة ، ثم عيسى وسوسه شمعون ، ثم تمام السبعة ، والسادس محمد بن عبد الله وسوسه على بن أبى طالب ثم تمام السبعة ، والسابع قائم الزمان محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وهو المنتهى إليه علوم من قبله ، والقائم بعلم بواطن الأمور وكشفها ، وإليه تفسيرها ، وإلى أمره أجرى ترتيب سائر من قبله) ـ نهاية الأرب حـ ٢ ص ٢٠٣ /٢٠٦ .

وبهذا قرر (الداعى) عند المدعو نبُوة نبى بعد محمد ، فكانت هذه الدعوة ـ كما يقول الشريف ـ أول ما أخرج الداعى بها المدعو عن شريعة رسول الله ـ ﷺ ، وأدخله فى جملة الكفار المرتدين عن شريعته ، وهو مع هذا لا يعلم ما خرج منه ولادخل فيه ـ المصدر السابق ص ٢٠٧ .

(ويقرر عنده أن مع كل إمام حججا متفرقين فى الأرض ، وأن عددهم فى كل زمان اثنا عشر رجلا ، كما أن عدد الأئمة سبعة ، وأن دلالة ذلك ظاهرة ، وحجته قاهرة ، بأن تعلم بأن الله ـ جل وعز ـ لا يخلق الأمور مجازفة على غير معان توجبها الحكمة ، وإلا فلم خلق النجوم التى هى قوام العالم سبعة ؟ وجعل السموات والأرض سبعة ؟ وأمثال هذا ، وبالغوا ، وكذلك الاثنا عشر حجة ، عدد البروج المعظمة ، وعدد الشهور المعروفة ، وعدد النقباء من بنى إسرائيل ، ونقباء النبى ـ ﷺ ـ من الأنصار ، وفى كف الإنسان أربعة أصابع ، فى كل إصبع ثلاثة شقوق ، تكون اثنى عشر شقا ، وفى كل يد إبهام ، فيها شقان ، بها قوام جميع كفه ، وسداد أصابعه ومفاصله ، فالبدن كالأرض ، والأصابع كالجزائر الأربع ، والشقوق كالحجج فيها ، والإبهام كالذى يقوم الأرض بعد ما فيها ، والشقّان فيها الإمام وسوسه لا يفترقان ، ولذلك صار فى ظهر الإنسان اثنتا عشرة خرزة كالحجج ، وفى عنقه سبعة عالية كالأنبياء والأئمة ، وكذلك حال السبعة الأنقاب فى وجه الإنسان العالية على بدنه) ـ المصدر نفسه ص ٢٠٨ .

ويعلق الشريف على هذه التخاريف ـ ص ٢١٤ ـ بقوله : (وجميع ما وصفناه من التدريج بالمقدمات إنما يحصل الانسلاخ من شرائع أهل الكتب والنبوة فقط) .

ويضيف ـ ص ٢١٥ ـ أن الداعي يقرر أن جميع منازل الأنبياء (منقوصة ، غير منزلة محمد بن إسماعيل ، صاحب الدور الآخر ، ويرتب له أن جميعهم لا يأتى بوحى من الله عز وجـل ، ولا معجزة ـ كما يقول الظاهرية ـ وإنما يختص بالصفـاء ، فيلقى فى فهمه ما يريد الله ، فيكون ذلك كلاما ، ثم يجسده النبى ، ويظهره للخلق ، فينظم الشرائع بحسب المصالح فى سياسات الناس ، ثم يؤمر بالعمل بذلك مدة) .

(ثم يلقّن المدعُوّ ـ أن الله أبغض العرب لما قتلت الحسين بن على ، فنقل خلافة الأئمة عنهم ، كما نقل النبوة عن بنى إسرائيل ، لما قتلوا الأنبياء ، ولا يقوم بخلافة الأئمة إلا أولاد كسرى) ـ ص ٢١٥ .

وبهذا يكون سبب انتقال الدعوة من محمد بن إسماعيل بن جعفر إلى (من يكون من ولد عبيد الله بن ميمون القـداح الذين ملكوا المغـرب ومصر والشام) ـ ص ٢١٦ ـ وهذا السبب يوجب نقل الإمـامة منذ مقتل الحسين ، فلم تأخر النقل إلى هذا (القـداح) ؟! ألم يكن فى أولاد كسرى من ينهض بهذا الأمر ؟ وإذا كان الفرس قد سكتوا عن حقهم منذ مقتل الحسين حتى الإمام السـابع ، ألا يعد هذا السكوت موافقة على استمرار الأئمة فى بنى هـاشم ؟! .

ومن الدعاوى الفاضحة أن يزعم أحدهم ـ الفرج بن عثمان ـ (أنه داعية المسيح ، وهـو عيسى ، وهـو الكلمة ، وهو المهدى ، وهو أحمد بن محمد بن الحنفيـة ، وهـو جبريل ، وأن المسيح تصور له فى جسم إنسان ، وقال : إنك الداعية ، وإنك الحجة ، وإنك الناقة ، وإنك الدابـة ، وإنك يحيى بن زكريا ، وإنك روح القـدس ، وعرفـه أن الصلاة أربع ركعات ، ركعتان قبل طلوع الشمس ، وركعتان قبل غروبها ـ وهما وقتان تكره فيهما الصلاة عند أهل السنة ـ وأن الأذان فى كل صلاة أن يقول : الله أكبر أربع مرات ، أشهد أن لا إله إلا الله مرتين ، أشـهد أن آدم رسـول الله ، أشهد أن نوحا رسـول الله ، أشهد أن أحمد بن محمد ابن الحنفية رسول الله ، وأن يقرأ فى كل ركعة الاستفتاح ، وهو من المنزّل على أحمد بن محمد بن الحنفية ، والقبلة إلى بيت المقدس ، والجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيه شىء) ـ أورد النويرى فى ص ٢٢٧/٢٢٦ سورة من المنزل .

(ومن شرائعه أن يصوم يومين فى السنة ، وهما المهرجان والنيروز ، وأن النبيذ حرام ، والخمر حلال، ولا غسل من جنابة إلا الوضوء ، كوضوء الصلاة ، وأن من حاربه واجب قتله ، ومن لم يحاربه ممن خالفه أخذ منه الجزية ، ولا يؤكل كل ذى ناب ولا ذى مخلب) ـ ص ٢٢٧ .

كل ما أورده (الشريف) من هذه القرارات أو المبادئ أو العقائد ينطبق عليه المثل الذى يقول (سمك لبن تمر هندى) ، وهو مثل ينفى عن (الداعى) ما وصف به من الذكاء والفطنة والخبث ، ويصور الداعى يعيش فى مجتمع يخلو تماما من أى دين ، بحيث يتقبل كل ما يأتى به الداعى من غير أن يعرض هذا (العبث) على ما بين يديه من مبادئ سماوية اعتنقتها أجيال ، وقام على خدمتها فقهاء ومفسرون ومحدثون ومتكلمون ، حتى تحقّق تراث ليس مثله تراث .

وأغلب الظن أن (الشريف) أراد أن يشوه صورة هؤلاء القوم الذين أمسكوا بزمام المعارضة حقبة طويلة من الزمن .

ولو أننا أخذنا برأى الحكومات (المعاصرة) فى الثورة الإسلامية فى إيران ، وفى النشاط الإسلامى فى السودان والجزائر ومصر وتونس ـ لصح أن نضع رؤية (الشريف) فى الموضع الذى يضعه (الرأى العام) لكتابات من يلوذون بالسلطة ، أو من يستوحون الفكر الغربى فى الصحوة الإسلامية .

إننى لا أؤيد القرامطة ولا أدافع عنهم ، لكننى لا أتقبل هذا (الافتراء) فى مقابل (افتراء) الآخَر ، إن من يضع (شعوذات) حمدان بجوار (شعوذات) الفرج بن عثمان لا يجد خيطا يسلكهما فى سلك واحد ، فقد باعد (الشريف) بينهما كل المباعدة ، مع أنهما من منطلق واحد !! .

إن الخلاف بين داعيين بدعوة (واحدة) لا يمكن أن يسمح بهذا (الاتساع) ، وإلا انفرد كل منهما بدعوة .

لابد أن يوضع فى الاعتبار أن المجتمع لم يكن أعمى أصم أبكم ، إن المجتمع الذى عاش فيه القرامطة كان مجتمعا تتصارع فيه موروثات متعددة الاتجاهات ، وإذا كان القرامطة قد اتسع نشاطهم ما بين البحرين والشام ـ وكما قيل : منهم من أسس الدولة الفاطمية التى استولت على المغرب ومصر والشام والحجاز ـ فلابد أن يكون لهم منهج مقبول يقدم مبدءاً معقولا ،

وما أحسب إلا أن هذه الجماعة كانت صاحبة فكر سياسى ، لا دينى ، وأن الإطار الدينى كان استهوائيا ليس غير ، ومن ثم كان فضفاضا ، يستغل هوى (التشيع) فحسب ، دون أن يقف عند تفاصيل تمس العقيدة والواجبات الدينية .

العهد ..

من العهد الذى يأخذه الداعى على المدعو ، وهو صورة من العهد العباسى الذى ابتدعه ابن المقفع :

(إن خالفت شيئا من ذلك لقيت الله يوم تلقاه ، وهو عليك غضبان ، ولله عليك أن تحج إلى بيته الحرام ثلاثين حجة نذرا واجبا ، ماشيا حافيا ، لا يقبل الله منك إلا الوفاء بذلك ، وإن خالفت ذلك فكل ما تملكه فى الوقت الذى تخالف فيه فهو صدقة على الفقراء والمساكين الذين لا رحم بينك وبينهم ، لا يأجرك الله عليه ، ولا يدخل عليك بذلك منفعة ، وكل مملوك لك ـ من ذكرٍ أو أنثى ـ فى ملكك وتستعبده إلى وقت وفاتك ، إن خالفت شيئا من ذلك ، فهم أحرار لوجه الله عز وجل ، وكل امرأة لك وتتزوجها إلى وقت وفاتك ، إن خالفت شيئا من ذلك ، فهن طوالق ثلاثا بتة ، طلاق الحرج والسُّنة ، لا مثنوية لك فيها ولا اختيار ولا رجعة ولا مشيئة ، وكل ما كان لك من أهل ومال وغيرهما ، فهو عليك حرام ، وكل ظهار فهو لازم لك) ـ نهاية الأرب حـ ٢ ص ٢١٩ .

وقد علق أبو حامد الغزالى على مثل هذا العهد فى (فضائح الباطنية ـ ص ١٦٤ / ١٦٧) بقوله :

(أن يكون الحالف قد تنبه لخطر اليمين ، وإمكان اشتماله على تلبيس وخداع ، فذكر فى نفسه عقيب ذلك الاستثناء ، وهو قوله : « إن شاء الله » ـ فلا ينعقد يمينه ، ولا يمتنع عليه الحنث ، وإذا حنث لم يلزمه بالحنث حكم أصلا .

وإذا ترك الحالف النية والاستثناء ، وترك المحلف لفظ العهد والميثاق ولفظ ولى الله ، وأتى بأيمان صريحة بالله ، وبتعليق الطلاق والعتاق فى مماليكه الموجودين وزوجاته ، وفيما سيملك من بعد إلى آخر عمره ، أو علق بالحنث لزوم مائة حجة وصيام مائة سنة وصلاة ألف ألف ركعة ، والتصدق بألف دينار ، وما جرى هذا المجرى ، فطريقه فى اليمين بالله أن يطعم عشرة مساكين ، أو يصوم عند العجز ، وهذا أيضا يخلصه عن تعليق الصدقة والحج والصيام والصلاة بالحنث ، لأن ذلك يمين غضب ولجاج لا يلزم الوفاء بموجبه ، وأما تعليق الطلاق والعتق

فيما سيملك من النساء والعبيد والإماء فباطل غير منعقد ، فليحنث ولينكح من يشاء متى شاء ، إذ لا طلاق قبل نكاح ، ولا عتاق قبل مِلْك) .

من تاريخهم ..

(لما أرسل زكرويه بن مهرويه ابنه الحسن إلى الشام فى سنة ٢٨٨ هـ أرسل معه رجلا من القرامطة ، من أهالى نهر ملحانا ، يقال له الحسن بن أحمد ، ويكنى بأبى الحسين ، وأمره أن يقصد بنى كلب وينتسب لهم إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر ، ويدعوهم إلى الإيمان من ولده ، فاستجاب له جماعة ، وحققوا بعض الانتصارات) ـ نهاية الأرب حـ ٢٥ ص ٢٤٦ .

(ولما بايع القرامطة الحسن بن زكرويه تسمّى بأحمد ، وتكنّى بأبى العباس ، وأظهر شامة فى وجهه ، وزعم أنها آيته ، وأجابه كثير من أهل البوادى ، وافتتح عدة مدن بالشام ، وقتل خلقا كثيرا من جند المصريين ، وتسمى بأمير المؤمنين على المنابر ، وفى كتبه ، وذلك فى سنة ٢٨٩ هـ وبعض سنة ٢٩٠ هـ ، وساروا نحو الرقة ، وهزموا جيش الخليفة المكتفى بالله ، وقتلوا قائده ، واستباحوا عسكره ، ومضوا يريدون دمشق ، وجعلوا ينهبون جميع ما يمرون به من القرى ، ويقتلون ويسبون ويخربون ، فلما قربوا من دمشق أخرج إليهم طغج جيشا كثيفا ، فهزموه وقتلوا قائده ، وبعث المكتفى بجيش آخر ، فلم يلبث إلا اليسير حتى انهزم ، وركبت القرامطة أكتاف الناس يقتلون وينهبون ، حتى أتوا على عامة العسكر) ـ ص ٢٤٩ / ٢٥٠ .

(ولما دخلت سنة ٢٩١ هـ سار جيش المكتفى بقيادة محمد بن سليمان الكاتب ، وأوقع بالقرامطة ، وأسر قادتهم : الحسن بن زكرويه ، وعيسى ابن أخت مهرويه ، وأربعة وثلاثين من وجوه القرامطة ، وقدموا للقصاص ، وكان كل واحد ينبطح على وجهه ، فتقطع يده اليمنى ، ويرمى بها إلى أسفل ليراها الناس ، ثم تقطع رجله اليسرى ، ثم يده اليسرى ، ثم رجله اليمنى ، ويرمى بها إلى أسفل ، ثم تضرب عنقه ، ويرمى به إلى أسفل ، وحملت الرءوس فصلبت على الجسر ـ فى بغداد ـ وصلب بدن الحسن ، فمكث مصلوبا نحوا من سنة ، ثم سقط عليه حائط ، ودفنت أجساد الأسرى عند الدكّة التى أقامها المكتفى لهذا الغرض ، وهدمت بعد أيام) ـ ص ٢٥١ / ٢٥٦ .

وكان هذا الحسن بن زكرويه يكتب إلى عماله يقول :

(بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله المهدى المنصور الناصر لدين الله ، القائم بأمر الله ، الداعى إلى كتاب الله ، الـذابّ عن حريم الله ، المختـار من ولـد رسـول الله ، أمير المؤمنين ، وإمام المسلمين ، ومذل المنافقين ، وقاصم المعتدين ، ومبيد الملحدين ، وقاتل القاسطين ، ومهلك المفسدين ، وسـراج المنتصرين ، ومشتت المخـالفين ، والقيّم بسنـة المرسلين ، وولد خير الوصيين ، ﷺ وعلى آله الطيبين وسلم ـ كتاب إلى جعفر بن حميد الكردى ، سلام عليك ، فإنى أحمـد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، وأسأله أن يصلى على محمد جدى رسول الله ، أما بعد :ـ) ص ٢٥٦ .

❏ وهنـاك فـرع آخـر بقيادة أبى طاهر سليمـان بن أبى سعيد الحسن بن بهـرام الجنابى ، وهـو الأشـد خطرا ، والأطول عمـرا ، وكان مجـاله العـراق والبحـرين واليمن ، وامتـد إلى قلب الجـزيرة ، حتى غـزا مكة ، فى موسـم الحج ، واسـتولى على الحجـر الأسـود .

وفى سنة ٣٣٩ هـ أراد القرامطة أن يستميلوا أهل الإسلام ، فحملوا الحجر الأسود إلى الكوفة ، ونصبوه فى المسجد الجـامع على الاسطوانة السابعة فى القبلة ، مما يلى صحن المسجد ، حتى يراه الناس ، ثم حملوه إلى مكة ، شرفها الله تعالى ، وقالوا : أخذناه بأمر ، ورددناه بأمر ـ ص ٣٠٣ .

وذكر ابن الأثير فى سبب رده (أحداث سنة ٣١٧ هـ حـ ٨ ص ١٥٣ / ١٥٤) أن عبيد الله المنعوت بالمهدى القائم ببلاد المغرب ، والمستولى عليها ، كتب إلى القرمطى ينكر فعله ، ويلومه ويلعنه ، ويقـول : (أخفقتَ علينا سعينا ، وأشهْرت دولتنا بالكفر والإلحـاد بما فعلت ، ومتى لم ترد على أهل مكة ما أخذته ، وتعيد الحجـر الأسـود إلى مكانه ، وتعيد كسـوة الكعبة ، فأنا برئ منك فى الدنيا والآخـرة) ، فلما وصل هذا الكتاب ، أعيد الحجـر إلى مكة ، شرفها الله .

مع الفـاطميين ..

(كان قد تقرر للقرامطة فى الدولة الإخشيدية ـ فى كل سنة ـ ثلاثمائة ألف دينار ، فلما ملك المعز لدين الله العُبيدى الديار المصرية ، واستولى جعفر بن فلاح على الشام ، علموا أن ذلك يفوّتهم ، فسار الحسن بن أحمد بن أبى سعيد الجنابى إلى الكوفة ، وراسل بختيار الديلمى ، أحد ملوك الدولة البويهية فى طلب السلاح والمساعدة ، فأنفذ إليه خزانة سلاح من بغداد ، وسبّب له على أبى تغلب ابن ناصر الدولة بن حمدان بأربعمائة ألف درهم ، فرحل

الحسن من الكوفة ، حتى أتى الرحبة ، وعليها أبو تغلب بن حمدان ، فحمل إليه المال المسبّب له به عليه ، وحمل إليه العلوفة ، وأرسل إليه يقول : هذا شيء كنت أردت أن أسير أنا فيه بنفسى ، وأنت تقوم مقامى فيه ، وأنا مقيم فى هذا الموضع إلى أن يرد علىّ خبرك ، فإن احتجت إلى مسيرى سرت إليك ، ونادى فى عسكره : من أراد المسير من الجند الإخشيدية وغيرهم إلى الشام مع الحسن بن أحمد فلا اعتراض عليه ، فقد أذنّا له فى المسير ، والعسكران واحد) .

(سار الحسن بن أحمد مع جموع ممن انضموا إليه من الإخشيدية والبدو ، فانهزمت المغاربة ، وأخذهم السيف ، وتفرقوا ، وقتل جعفر بن فلاح) .

وسار الحسن بن أحمد عن يافا نحو مصر .

ثم رحل عنها إلى الأحساء ، ولم يعلم الناس ما كان السبب فى ذلك .

ورحل إلى الرملة ، وطرح مراكب فى البحر ، وجعل فيها رجالا مقاتلة ، وجمع كل من قدر عليه من العرب وغيرهم ، وتأهب للمسير إلى مصر .

كان المعز شديد الخوف من الحسن بن أحمد ، فلما نزل مصر عزم أن يكتب إلى الحسن ابن أحمد كتابا يعرفه فيه (أن المذهب واحد) ، وأنهم منهم استمدوا ، وأنهم سادتهم فى هذا الأمر ، وبهم وصلوا إلى هذه المرتبة .

وكان عنوان الكتاب : (من عبد الله ووليه وخيرته وصفيه معدّ أبى تميم بن إسماعيل المعز لدين الله ، أمير المؤمنين ، وسلالة خير النبيين ، ونجل علىّ أفضل الوصيّين ـ إلى الحسن ابن أحمد) .

وجاء فى الكتاب عن مكانة الفاطميين : (وكان من قضائه فينا ـ قبل التكوين ـ أن خلقنا أشباحًا ، وأبرز أرواحنا بالقدرة مالكين ، وبالقوة قادرين ، حين لا سماء مبنية ، ولا أرض مدحية ، فنحن أول الفكرة ، وآخر العمل ، بقدر ومقدور ، وأمر فى القدم مبرور ، فعندما تكامل الأمر ، وصح العزم ، أنشأ الله ـ جل وعز ـ المنشآت ، فأبدأ الأمهات من هيولانا ، فطبعنا أنوارا وظلمة ، وحركة وسكونا) .

وهذا الكتاب طويل جدا ، لا طائل فيه ، كما قال (الشريف) راوى هذه الأحداث .

وكان جواب الحسن بن أحمد القرمطى الأعصم : (وصل إلينا كتابك الذى كثر تفصيله ، وقلّ تحصيله ، ونحن سائرون على أثره ، والسلام) .

وسار إلى مصر ، فنزل بعسكره عين شمس ، وناشب المغاربة القتال ، وانبثّت سراياه فى أرض مصر ، وبعث عمالا إلى الصعيد تجبى الأموال ، وضيق على المغاربة ، وداومهم القتال على خندق مدينتهم ـ القاهرة المعزية .

ولم يتمكن المغاربة من القرمطى إلا عن طريق الحيلة ، فرشَوا ابن الجراح الطائى ، وكان فى جمع عظيم مع الحسَن ، وبذلوا له مائة ألف دينار ، على أن يفل لهم عسكر القرمطى ، فأجابهم إلى ذلك ، وانهزم القرمطى .

وأقامت القرامطة بالرملة يجبون المال ، فندب العزيزُ بالله نزارُ بن المعز لدين الله ـ وكان قد ولى الأمر بعد وفاة أبيه – جوهرَ القائد إلى الخروج إلى الشام سنة ٣٦٥ هـ ، وحمل إليه خزائن السلاح والأموال ، فانهزم القرمطى إلى طبرية ، وهناك قدم عليه رسول الخليفة العزيز بالله ، يدعوه إلى لقاء الخليفة ، ويؤمّنه على نفسه ، لكن القرمطى رفض هذه الدعوة ، وبعدها توفى ، وتولى أمر القرامطة بعده ابن عمه جعفر ، فآثر الرجوع إلى بلده ، بعد أن اتفق مع العزيز أن يدفع له إتاوة قدرها عشرون ألف دينار ، طوال حياته .

وأخذ نجم القرامطة يأفل ، (وانتقض أمرهم ، وضعفوا ، وكان مدة ظهور مذهبهم إلى هذا التاريخ ـ ٣٧٨ هـ ـ مائة سنة) ـ نهاية الأرب حـ ٢٥ ص ٣٠٤ / ٣١٧ .



إخـوان الصفـاء ..

إخوان الصفاء ، وخلان الوفاء ، هم جماعة يغلب عليهم الفكر الشيعى الإمامى ، إسماعيليا أو جعفريا ، وإن كان أقرب إلى الإسماعيلى المتطرف فى منهجه الباطنى ، لكنهم ألموا بعلوم عصرهم ، وبخاصة ما ترجم منها ، فى نواحى المعرفة المختلفة ، وربما كانت لهم علاقة بالقرامطة الذين أفسدوا فى الأرض ، لكنهم قَدَروا على تكتّم أمرهم ، ورسموا خطوط سياستهم للاستيلاء على الحكم .

يعرفنا هـؤلاء القـوم ـ رسائل حـ ٤ ص ١٦٧ / ١٦٨ دار صادر ، بيروت ـ بسعة ثقافتهم ، وشمول معرفتهم ، وحرصهم على دراسة كافة المهارات العقلية ، فى كافة الميادين النظرية والتجريبية ـ قائلين :

(إن لنا كتبا نقرؤها ، مما شاهدها الناس ، ولا يحسنون قراءتها ، وهى صورة أشكال الموجودات بما عليه الآن من تركيب الأفلاك ، وأقسام البروج ، وحركات الكواكب ، وأمهات الأركان ، واختـلاف جواهر المعادن ، وفنون أشكال النبات ، وعجائب هياكل الحيوان ، ولنا كتاب آخـر لا يشـاركنا فيه غيرنا ، ولا يفـهمه سـوانا ، وهو معرفة جواهر النفوس ، ومراتب مقاماتها ، واستيلاء بعضها على بعض ، وافتنان قواها ، وتأثيرات أفعالها فى الأجسام من الأفلاك والكواكب ، والأركان والمعادن والنبات والحيوانات ، وطبقات الناس من الأنبياء والحكماء والملوك وأتباعهم والسـوقة وأعوانهم) .

لكن هذه الثقافة ـ للأسف ـ لم تؤت إلا ثمرات فجة ، غير قابلة للتمثيل الغذائى ، بل لعل انعكاساتها على العملية الفكرية أضرت ضررا بليغا .

وإليكم صورا من هذه الأفكار الفاسدة المفسدة .

١ ـ يحكى عن هرمس المثلث الحكمة ، وهو إدريس النبى ، عليه السلام ـ أنه صعد إلى فلك زحل ، ودار معـه ثلاثين سـنة ، حتى شـاهد جميع أحوال الفلك ، ثم نزل إلى الأرض ، فـخـبّر النـاس بعلم النجـوم ، قـال الله تعـالى : **﴿ ورفـعناه مكانا عليـا ﴾** ـ حـ١ ص١٣٨ .

٢ ـ إن كواكب الفلك هم ملـوك الله وملوك سمـاواتـه ، خلقهم الله تعالى لعمارة عالمه ، وتدبير خلائقه ، وسياسة بريته ، وهم خلفاء الله فى أفلاكه ، كما أن ملوك الأرض هم خلفاء الله فى أرضه ـ حـ١ ص ١٤٥ .

٣ ـ إن فى الفلك ألفا وتسعة وعشرين كوكبا ، أصغر كوكب منها مثل الأرض ثمانى عشرة مرة ، وأكبرها مائة وسبع مرات ـ حـ١ ص١٦٦ .

٤ ـ قد قام الدليل ، وصح البرهان ، بطريق المنطق الفلسفى ، أن أهل السموات وسكان الأفلاك هم ملائكة الله ، وخالص عباده ـ حـ١ ص ٢٠٦ / ٢٠٧ .

٥ ـ لا تقدّر ـ يا أخى ـ بأن غرض واضعى النواميس فى تحليل ذبح البهائم فى الهياكل إنما هو لأكل لحمها فحسب ، بل غرضهم تخليص نفوسها من دركات جهنم ، عالم الكون والفساد ، ونقلها من حال النقص إلى حال التمام والكمال ، فى الصورة الإنسانية التى هى أتم وأكمل صورة تحت فلك القمر ـ حـ ٢ ص ٢١٢ .

٦ ـ واعلم ـ يا أخى ـ أن الملائكة الحافّين من حول العرش هم حملة العرش ، وهى الكواكب الثابتة الحافة بالفلك التاسع من داخله ـ حـ ٢ ص ١٤٢ .

٧ ـ إذا حدث « الاقتران الأعظم » بين كوكبى زحل والمشترى ـ وهو يحدث فى كل دور زمنى مدته تسعمائة وستون سنة ـ حصل بتأثيره تغيرات مهمة فى الأرض ، يظهر رسول جديد ، ودين جديد ، وتتغير النواميس ـ حـ١ ص ٣٢٣/٣٢٤ .

٨ ـ العقلاء الأخيار ـ إذا انضاف إلى عقولهم القوة بواضع الشريعة ـ لا يحتاجون إلى رئيس يرأسهم ويأمرهم وينهاهم ويزجرهم ، ويحكم عليهم ـ حـ ٤ص١٨١ / ١٨٩ .

٩ ـ أمَر ورخّص واضعو النواميس وأصحاب الشرائع فى سنن الديانات الذهاب إلى قبور الأنبياء والأئمة المهديين والصالحين من عباد الله ، بالصدقات والقرابين والصوم والصلاة والدعاء عند قبورهم ، والسؤال بشفاعتهم ـ حـ٤ ص ١١٢ / ١١٣ .

لقد شغلوا بمعانى الحروف ، وبالأرقام ، وبالأفلاك ، حتى (زعموا أن للحروف أسرارا دالة على معان ، وأن هذه الحروف يمكن أن يفهم منها ميعاد ظهور المهدى ، مقلدين فى ذلك اليهود ، فى قولهم : إن موعد ظهور المسيح يتبع القيمة العددية لكلمة « هستير أستير » ، وقد شاع بين الباطنية وغيرهم ارتباط حركات الأرض وأحداث الكون بحركات النجوم والقرانات) ـ المهدى والمهدوية لأحمد أمين ص ٢٠ / ٢١ .

وقد فصلت رسائل إخوان الصفاء (حـ ٤ ص ٣٣٢ / ٤٠٦) علم النجامة والبحث فى الطالع ، وختمت الرسالة الأخيرة بالنّيرنجيات وألوان السحر والكتابة بالحب والكره ، على أنها علم بعيد من الشعوذات .

ولمكانة هـؤلاء القـوم الذين تكلمـوا فى أشيـاء كثيرة ، وخلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، تتلمذ عليهم كثيرون ، ورفع من ذكرهم أصحاب العقول المدخولة .

فلما نبُه ذكر ميرزا محمد على الشيرازى ـ ولد سنة ١٨٢٠م ـ واعتقد أنه مبعوث من الله لأداء رسالة دينية عالية ، وأعلن أنه (الباب) الذى يدخل الناس منه إلى الإمام المستور الذى هو مصدر كل خير ، ثم تطور أمره ، فأعلن نفسه المهدى المنتظر ، وغيّر وأضاف إلى التعاليم الدينية ، كما فعـل إخـوان الصفاء ، وجعل مثلهم للحـروف دلالات رمـزية ، وقـدّس العـدد (١٩) ، مستندا فى ذلك على قـوله تعـالى فى وصف جهنم : ﴿ **عليها تسـعة عشـر** ﴾ ، وقـال : إنه فى دعوته يقوم مقـام الأنبيـاء والأئمة ، وأنه موضع الوحى الإلهى ـ المهدى والمهدوية ص ٦٤ .

وقد أسـرفوا فى تقديس الرقـم ١٩ ، فجعلوا عدة الشهـور ١٩ شهـرا ، كل شهـر ١٩ يوما ، واليوم ١٩ ساعة ، والساعة ١٩ دقيقة ، بل إن كتاب (البيان) لزعيم البابية يتألف من ١٩ قسما ، كل قسم ١٩ فصلا .

والتقـط الخيـط ، أو الطُعـم ، إمـام مسجـد تُوسـان بالولايـات المتحـدة الأمريكيـة (الدكتور رشاد خليفة)[1] ، فاستعان بالحاسوب (الكومبيوتر) لدراسة الحروف القرآنية ، وتوصل إلى أن (الرقم تسعة عشر يساوى القيمة العددية لكلمة « واحد ») ، وأن جملة (بسم الله الرحمن الرحيم) تتركب من ١٩ حرفـا) ، وأن (عدد سـور القـرآن ١٤٤ هو ستة أضعاف ١٩) ، وأن أول ما نزل من القرآن ١٩ كلمة : ﴿ **اقـرأ باسم ربك الذى خلـق خلـق الإنسـان من علق إقـرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسـان ما لم يعـلم** ﴾ ، وأن عدد حروف الكلمات التسع عشرة ١٩ × ٤ أى ٧٦ حرفا ، وأول ما نزل من السـور (العلق) تتركب من ١٩ آية ، ومن ٢٧٥ حرفا ، أى ١٩ × ١٥ ، وأول ما نزل من السور موقعها فى المصحف من الخلف رقم ١٩ ، إلخ إلخ .. ثم يقول : وبحساب فواتح السور الأربع عشرة نعلم عدد السنين ، منذ بدء التاريخ الهجرى ، حتى نهاية العالم !! .

ويتوصل إلى الرقم ١٧٠٩ (بمعنى أن الرسـالة المحمدية سـوف تستكمل ١٧٠٩ سنة من بـدء التـاريخ الهجـرى ، أى أن (العالم سـوف ينتهى عنـدما يبلغ التـاريخ الهجرى السنة ١٧١٠ هـ) ، وهو ما يساوى ١٩ × ٩٠ ، أى سنة ٢٢٨٠م .

---

١ ـ ادعى النبوة ، ثم اغتيل فى أمريكا سنة ١٩٩١ .

أرأيتم كيف أثمرت بذور اليهود فى الفكر الإسلامى ، وآتت كلها بالكمبيوتر ، وأثبتت أن الله لم يختص وحده بعلم الساعة ، كما ذكر فى قرآنه ؟! .

أليس هذا منطق من اقتلع جذوره ، وصار يبحث عن (الانتماء) فى أوراق الآخرين ، حتى هلل لإخوان الصفاء فلاسفة هذا الزمان ، مستشرقين وجامعيين ، حتى قيل : إن رسائلهم أول دائرة معارف عالمية ، وقال دى بور : كأنهم أرادوا أن يضعوا دينا عقليا يعلو الأديان جميعا .. بينما هى فى رأى أبى حيان التوحيدى (خرافات وتلفيقات وتلزيقات) .

إن الذى يقتلع جذوره طمعًا فى (أمجاد الغزاة) يظل معلقا فى الهواء ، وهذا ليس دعوة إلى العزلة ، فالحضارة ليست ملكا لطائفة أو لإقليم ، لكن من الواجب الانتقاء ، والقدرة على الهضم ، والامتصاص .



نـزوة صوفيــة ..

إذا كانت (الإمامة) قد تأثرت إلى حـد كبير بالفكر اليهودى ـ عن طريق مباشـر (السبئيّة) ، و عن طريق غير مباشر (النصرانية) ، أو قراءة الكتب اليهودية ـ فإن الصوفية قد تأثرت بفكر الإمامة ، عن طريق قادتها الذين عاشوا فى كنف (الطالبيين) ، بيئة وثقافة والتزاما ، أو عن طريق الفكر اليهودى الذى تسلط على الكتابات الفلسفية ، واستقى من التراث الهندى والفارسى .

وإذا كان للفكر المصرى القديم دور عن طريق (ذى النون المصرى) ، فهو لا يعدو أن يكون سـلوكا ، لم يدخـل فى إطار التهويمات الميتافيزيقيـة والميثولوجيـة التى جعلت من (الخضر) أحد أعمدة الفكر الصوفى ، وهذا الخضر الذى حفلت به كتب التفسير والأساطير الشعبية ، باعتباره الرجل الصالح الذى تحدثت عنه سـورة الكهف ، أسـتاذا لموسى عليه السلام الذى (لم يستطع معه صبرا) ، لأن موسى يفكر تفكيرا عمليا واقعيا، وهذا الأستاذ (أوتى من لدن الله رحمة وعلما) ، فهو يفكر تفكيرا مستقبليـا (غيبيا) ، ومن ثم لم تنجح (التجربة) حتى فى المزاوجة بين الواقعى والغيبى .

إن هذا الرجل الصالح لم يصر (الخضر) إلا من خلال (السامرى) الذى جمع ذَهَب بنى إسرائيل فى (التيه) ، وصنع منه **﴿ عجلا جسدا له خوار ﴾** ، وقبض **﴿ قبضة من أثر الرسول ﴾** جبريل ، (فنبذهـا) فى العجـل ، فدبّت الحيـاة فيـه ، (وكذلك سـوّلَت له نفســه) ، وسوّلت للمفسرين أنفسهم أن الرسول هو (الخضر) الذى تخضر الأرض فى خطواته .

ثم اكتشفوا (عين الحياة) التى شرب منها الخضر ، فكتبت له الحياة الخالدة [1] مع أن الله سبحانـه يقـول : **﴿ وما جعلنا لبشـرٍ من قبلك الخلد أ فإن مت فهم الخالدون ﴾** ـ الأنبياء ٣٤ ـ وصارت له (خِرْقة) هى إذْنُ (الوصول) ، وعهد (التبعية) ، كما تفعل (الماسونية) ، وكما تفعل (جماعة الحمير) فى مصر بحافر الحمار .

وقد حكى ابن حـزم عن بعض نَوْكى الصوفية أنهم زعموا أن الخضر وإلياس عليهما السلام ـ حيّان إلى اليوم ، وادّعى بعضهـم أنه يلقى إلياس فى الفلوات والخضر فى المروج والرياض ، وأنه متى ذكر حضر على ذاكره ـ آدم متز حـ ٢ ص ٤٧ .

---

١ ـ يجب الرجـوع إلى مـا قـالـه (العهـد القـديم) عن أخنوخ وإيليـا ، فى سـفـرى (تكوين) و (الملوك الثانى) .

وتوسع القوم فى مفهوم الشيخ والمريد ، فكانت سلسلة طويلة من الأقطاب والنيابات والأئمة والأوتاد والأبدال والنقباء والنجباء والحواريين والرجبيين والمجتبين ورجال علم الأنفاس ، إلخ إلخ[1] .. سلسلة طويلة اختلطت مفاهيمها ومهامها بعلوم الفلك التى عنى بتدوينها إخوان الصفاء ، وخلان الوفاء الإسماعيليون أخذاً عن الفكر اليونانى .

ولما كان علم الفلك يجعل من الأفلاك صورا مادية لملائكة الله الذين يتولون الإشراف على المسيرة الكونية ، ويتدخلون فى كل صغيرة وكبيرة من مصائر المخلوقات ، وكأن الأفلاك قد خرجت عن دائرة المخلوقات ، أو أنها مخلوقات (سوبر) ـ فقد صار للأقطاب وغيرهم منازل فى الأفلاك ، وقدرة عليها وعلى بقية المخلوقات ، وهذا يستدعى إذنا إلهيا خاصا ، وحتى لا يحتاج الأمر إلى تكرار هذا (الإذن) فقد كان (الحلول) ضرورة ، وهو حلول أكسب (الولى) فوق ما اكتسب (النبى) ، ومن ثم كان للأقطاب والأئمة فضل (القداسة) الذى يحتاج إلى طقوس (للوصول) ، لم تتناولها التشريعات السماوية للوصول إلى (الله) الذى هو (قريب) يجيب دعوة الداعى إذا دعاه ، من غير واسطة ولا شفيع ، بل هو **﴿ أقرب إليه من حبل الوريد ﴾** لأنه **﴿ يعلم السر وأخفى ﴾** .

يقول الإصطخرى ـ وهو من معاصرى الحلاج : (كان رجلا حلاجا ، ينتحل النسك ، فما زال يرتقى به طبقا عن طبق ، حتى انتهى به الحال إلى أن زعم أن من هذّب فى الطاعة نفسه ، وأشغل بالأعمال الصالحة قلبه ، وصبر على مفارقة اللذات ، وملك نفسه فى منع الشهوات ، ارتقى إلى مقام المقربين ، ثم لا يزال يتنزل فى درج المصافاة ، حتى يصفو عن البشرية طبعه ، فإذا لم يبق فيه من البشرية نصيب حلّ فيه روح الله الذى كان فيه عيسى ابن مريم ، فيصير مطاعا ، فلا يريد شيئا إلا كان ، من كل ما ينفذ فيه أمر الله ، وأن جميع فعله حينئذ فعل الله ، وجميع أمره أمر الله) ـ آدم متز حـ ص ٥٦ / ٥٧ .

وهذا الحلاج ـ كما قال ابن حوقل ـ كان فى أول أمره داعيا من دعاة الفاطميين .

وقال ابن النديم : إنه كان فى أول أمره يدعو إلى الرضا من آل محمد .

وقال الإصطخرى : إنه استمال جماعة من الوزراء وطبقات من حاشية السلطان وأمراء الأمصار وملوك العراق والجزيرة ومن والاهما ـ المصدر السابق ص ٥٨ .

وهذا ما كان سببا فى قتله .

---

١ ـ انظر الفتوحات المكية جـ٣ وما جاء فى كتابى **﴿ الذين قالوا ربنا الله ، ثم استقاموا ﴾** .

والحلاج فى هذا لا يعبر عن شطحات الإمامية التى يدين بدينها ، والتى تقول : إن الإمام لا يموت ، وإنما يختفى ، وهو يرى الناس ولا يرونه ، وسيعود إلى الظهور ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جوار - بل خطّ له خطا (إشراقيا) أعلى سبَقَه إليه أبو يزيد البسطامى الذى ظل يدور حول الكعبة حتى صارت الكعبة تدور من حوله [1] .

والتقى الصوفية بالإمامية ، فى دعوى أن (من عرف الله سقطت عنه الشرائع ، واتصل بالله تعالى) .

جاء فى (الفِصل) لابن حزم - حـ٤ ص ١٨٨ - أن أبا سعيد أبا الخير الصوفى النيسابورى كان مرة يلبس الصوف ، ومرة يلبس الحرير المحرم على الرجال ، ومرة يصلّى فى اليوم ألف ركعة ، ومرة لا يصلى فريضة ولا نافلة .. ويعلق ابن حزم على هذا بقوله : (وهذا كفر محض ، ونعوذ بالله من الضلال) .

وجاء فى (الفِصل) - حـ ٤ ص ٢٢٦ - أن (طائفة من الصوفية ادعت أن فى أولياء الله من هو أفضل من جميع الأنبياء والرسل ، وقالوا : من بلغ الغاية القصوى من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها من الصلاة والصيام والزكاة وغير ذلك ، وحلت له المحرمات كلها ، من الزنا والخمر وغير ذلك ، واستباحوا بهذا نساء غيرهم ، وقالوا : إننا نرى الله ونكلمه ، وكل ما قذف فى نفوسنا فهو حق) .

وهذا - كما يقول الهجويرى فى (كشف المحجوب) ص ٣٨٣ - (مقالة الزنادقة من القرامطة والشيعة ومن وسوسوا إليهم من الأتباع) .

ويلاحظ أن دعاوى الإمامية والمتصوفة الفاسدة الضالة المضلة هى التى شجعت الشلمغانى الزنديق أن يدعى أن روح الله حل فيه .. وشجعت منصورا العجلى على القول : إن أول من خلق الله عيسى ابن مريم ، ثم خلق بعده عليًا .



١ - انظر عرضنا لفكر البسطامى والحلاج فى كتابى ﴿ الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ﴾ .

٤ - الفـاطميـة ..

كان التشيع قد انتشر فى بلاد المغرب على يد الإمام إدريس بن عبد الله بن الحسن بن على بن أبى طالب الذى فر من العباسيين فى موقعة « فخ » ، فى عهد الخليفـة الهـادى سنـة ١٦٩ هـ فأقام الأدارسـة فى المغرب الأقصى دولة شيعية سنة ١٧٣ هـ ، التف حولها البربر ، ومن ثم أصبحت بلاد المغرب أرضا صالحة للدعوة الإسماعيلية ، مما مهد الطريق أمام الدولة الفاطمية .

ولما قدم سعيد المسمى عبيد الله ، من سَلَمية إلى المغرب ، أول سنة ٢٨٠ هـ ، وجد الأمور ممهدة له ، فقد استقر التشيع فى عقول البربر وقلوبهم ، واعتنقه كثير من وزراء الأغالبة ، الذين قامت دولتهم فى أفريقية (تونس) ، على يد إبراهيم بن الأغلب سنة ١٨٤ هـ .

وانتسب عبيـد الله[١] إلى ولد إسماعيل بن جعفر ، فانتقلت الدعوة إليه ، وتلقب بالمهدى ، وصار هو الإمام .

يقول الإمام الغزالى ـ فضائح الباطنية ص ١٧ : إن لقب التعليمية (هو الأليق بباطنية هذا العصر ، فإن تعويلهم الأكثر على الدعوة إلى التعليم ، وإبطال الرأى ، وإيجاب اتباع الإمام المعصوم ، وتنزيله ـ فى وجوب التصديق والاقتداء به ـ منزلة رسول الله ، ﷺ) .

وتأخـذ الدعـوة فى اعتبارهـا ـ منذ نشـأتهـا ـ مبـدأ (التقيـة) ، هذا المبدأ الذى فرضته محن كثيرة مرت بالدعـاة .. وقد استلزمت (التقية) أن يأخذ الـراعى على المستجيب (عهدا) يقـول :

(جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله ، عليه السلام ، وما أخذ الله على النبيين من عهد وميثاق ـ أنك تسرّ ما سمعته منى وتسمعه ، وعلمته وتعلمه ، من أمرى وأمر المقيم بهذه البلدة ، لصاحب الحق ، الإمـام المهدى ، وأمور إخـوانه وأصحابه وولده وأهل بيته ، وأمور المطيعين له على هذا الدين ، ومخالصة المهدى ، ومخالصة شيعته ، من الذكور والإناث والصغار والكبار ، ولا تظهر من ذلك قليلا ولا كثيرا تدل به عليه ، إلا ما أطلقت

---

١ ـ أهل العلم بالأنساب من المحققين ينكرون ذلك ، وينفونه عن الشرف ، ويقولون : اسم عبيد الله : سعيد ابن الحسين بن أحمد بن عبد الله القداح بن أبى شاكر ميمون بن ديصان بن سعيد الغضبان ، صاحب كتاب (الميدان فى نصر الزندقة) ـ نهاية الأرب ـ حـ ٢٨ ص ٦٤ .

لك أن تتكلم به ، أو أطلق لك صاحب الأمر المقيم فى هذا البلد أو فى غيره ، فتعمل حينئذ بمقدار ما نرسمه لك ولا تتعده إلخ ـ فضائح الباطنية ص ٢٨ .

وطبيعة (التقية) والسرية استتبعت مفاهيم (باطنية) ، هى أخطر على الدين من عناد المشركين ، ومن جدل الزنادقة والملحدين .

من دعاوى الباطنية وأسس المذهب :

١ ـ اتفقوا على أنه فى كل عصر لابد من إمام معصوم قائم بالحق ، يرجع إليه فى تأويل الظواهر ، وحل الإشكالات فى القرآن والأخبار والمعقولات .

واتفقوا على أنه المتصدى لهذا الأمر ، وأن ذلك جار فى نسبهم ، لا ينقطع أبد الدهر ، ولا يجوز أن ينقطع ، إذ يكون فيه إهمال الحق وتغطيته على الخلق ، وإبطال قوله عليه السلام ، (كل سبب ونسب ينقطع إلا سببى ونسبى) ، وقوله : (ألم أترك فيكم القرآن وعترتى) ؟! .

واتفقوا على أن الإمام يساوى النبى فى العصمة والاطلاع على حقائق الحق فى كل الأمور ، إلا أنه لا ينزل إليه الوحى ، وإنما يتلقى ذلك من النبى ، فإنه خليفته وبإزاء منزلته .

ولا يتصور فى زمان واحد إمامان ، كما لا يتصور نبيّان ، تختلف شريعتهما ، نعم يستظهر الإمام بالحجج والمأذونين والأجنحة ، والحجج هم الدعاة ، فقالوا : لابد للإمام فى كل وقت من اثنى عشر حجة ، ينتدبون فى الأقطار متفرقين فى الأمصار ، وليلازم أربعة من جملة الاثنى عشر حضرته ، فلا يفارقونه ، ولابد لكل حجة من معاونين له على أمره ، فإنه لا ينفرد بالدعوة بنفسه ، واسم المعاون (المأذون) عندهم ، ولابد للدعاة من رسل إلى الإمام ، يرفعون إليه الأحوال ، ويصدرون عنه إليهم ، واسم الرسول : (الجناح) .

٢ ـ كل نبى لشريعته مدة ، فإذا انصرفت مدته بعث الله نبيا آخر ينسخ شريعته ، ومدة شريعة كل نبى سبعة أعمار ، وهو سبعة قرون ، فأولهم هو النبى الناطق ، ومعنى الناطق أن شريعته ناسخة لما قبله . ومعنى الصامت أن يكون قائما على ما أسسه غيره ، ثم إنه يقوم بعد وفاته ستة أئمة : إمام بعد إمام ، فإذا انقطعت أعمارهم ابتعث الله نبيا آخر ينسخ الشريعة المتقدمة .

ولكل نبى سوس ، والسوس هو الباب إلى علم النبى فى حياته ، والوصى بعد وفاته ، والإمام لمن هو فى زمانه ، كما قال عليه السلام ، (أنا مدينة العلم ، وعلىّ بابها) .

٣ ـ المقصود من أعمال الجوارح تنبيه القلب لينهض لطلب العلم ، فإذا ناله استعد للسعادة القصوى فيسقط عنه تكليف الجوارح ، وإنما تكليف الجوارح فى حق من يجرى بجهله مجرى الحمر التى لا يمكن رياضتها إلا بالأعمال الشاقة ، وأما الأذكياء والمدركون للحقائق فدرجتهم أرفع من ذلك .

٤ ـ جعلوا لكل ظاهر باطنا ، ومن ثم كان (الزنا) هو إلقاء نطفة العلم الباطن فى نفس من لم يسبق معه عقد العهد ، و (الاحتلام) هو أن يسبق لسانه إلى إفشاء السر فى غير محله ، فعليه (الغُسل) ، أى تجديد المعاهدة : ، و (الطهور) هو التبرى والتنظف من اعتقاد كل مذهب ، سوى مبايعة الإمام ، و (الصيام) هو الإمساك عن كشف السر ، و (الكعبة) هى النبى ، (والباب) على .. إلخ .

وأخذوا يؤولون كل لفظ ورد فى القرآن والسنة ، فقالوا : ﴿ **أنهار من لبن** ﴾ أى معادن الدين ، العلم الباطن ، يرتضع بها أهلها ، ويتغذّى بها تغذيا تدوم به حياته اللطيفة ، فإن غذاء الروح اللطيفة بارتضاع العلم من المعلم ، كما أن حياة الجسم الكثيف بارتضاع اللبن من ثدى الأم ، و ﴿ **أنهار من خمر** ﴾ هو العلم الظاهر ، و ﴿ **أنهار من عسل مصفى** ﴾ هو علم الباطن المأخوذ من الحجج والأئمة .

و (إحياء الموتى من عيسى) معناه الإحياء بحياة العلم عن موت الجهل بالباطن ، و (إبراؤه الأعمى) معناه عن عمى الضلالة ، و (بَرَص) الكفر ببصيرة الحق المبين ، و (إبليس و آدم) عبارة عن أبى بكر وعلى ، إذ أُمر أبو بكر بالسجود لعلىّ ، والطاعة له ، فأبى واستكبر ، (الدجال) زعموا أنه أبو بكر ، وكان (أعور) إذ لم يبصر إلا بعين الظاهر دون عين الباطن ، و (يأجوج ومأجوج) هم أهل الظاهر .

(لا نكاح إلا بولى وشاهدى عدل) أى لا وقاع إلا بذكر و أنثيين .

٥ ـ إن الثقب على رأس الآدمى سبعة ، والسموات سبع ، والأرضون سبع ، والنجوم السيارة سبعة ، وأيام الأسبوع سبعة ، فهذا يدل على أن دور الأئمة يتم بسبعة .

وهكذا ـ كما يقول الإمام الغزالى ـ تصرفوا فى قول محمد رسول الله وفى الحروف وفى أوائل السور ، وأبرزوا ضروبا من الحماقات تضحك المجانين ـ فضائح الباطنية ص ٤٢/ ٦٨ .

ويقول الإمام الغزالي ص ٧٥ : (وقد علم قطعا أنه لا أحد فى عالم الله يدعى أنه الإمام الحق ، والعارف بأسرار الله فى جميع المشكلات ، النائب عن رسول الله فى جميع المعقولات والمشروعات ، العالم بالتنزيل والتأويل علما قطعيا ، لا ظنيا ـ إلا المتصدى للأمر بمصر) .

وهذا القصر لا مبرر له إلا أن تكون الدعوة فى مصر أخذت طابع المدرسة المحكومة بقواعد ونظم يقوم عليها داعى الدعاة ، تحت إشراف الحاخام اليهودى يعقوب بن كلس ، الذى تسمى باسم الإسلام ، وأصبح الفقيه والمشرع والوزير الأول فى الدولة .

☐ وأخذ الغزالى فى تفنيد دعاوى القوم الذين (صرف الله دواعى الخلق عن معارضتهم فى الدعوى لمثلها ، ليستقر الحق فى نصابه ، وينجلى الشك عن قلوب المؤمنين رحمة من الله ولطفا ، حتى إذا فُرض شخص يدّعى لنفسه ذلك فلا يذكره إلا فى معرض هزل أو مجادلة ، فأمّا أن يستمر عليه معتقدا ، أو يعمل بموجبه ، فلا) ـ ص ٧٦ .

قال رحمه الله : ونحن الآن ندل على بطلان نظر العقل بأدلة عقلية وشرعية :

١ ـ إن من يتبع موجب العقل ويصدقه ، ففى تصديقه تكذيبه ، وهو غافل عنه ، لأنه ما من مسألة نظرية يعتقدها بنظره العقلى إلا وله منها خصم اعتقد بنظر العقل نقيضها ، فإن كان العقل حاكما صادقا ، فقد صدّق عقل خصمك أيضا .

٢ ـ نحن نقلد علماء الشرع ـ وهم دعاة محمد ، ﷺ ، المؤيد بالمعجزات الباهرة ـ فأى حاجة إلى المعصوم فيه ؟ وأما الصورة التى ليست منصوصة فيجتهد فيها الرأى ، إذ المعصوم لا يغنى عنها شيئا ، فإنه بين أن يعترف بأنه أيضا ظانّ ، والخطأ جائز فى كل ذى ظن ، ولا يختلف ذلك بالأشخاص ، فما الذى يميز ظنه من ظن غيره ، وهو مجوّز للخطأ على نفسه ؟ وإن ادعى المعرفة فيه ، أيدعيها عن وحى ، أو عن سماع نص فيه ، أو عن دليل عقلى ؟ فإن ادعى تواتر الوحى إليه فى كل واقعة ، فإذاً هو مدع للنبوة ، فيفتقر إلى معجزة ، كيف ولا يتصور تقدير المعجزة ، إذ بان لنا أن محمدا ـ ﷺ ـ خاتم الأنبياء ، فإن جوزنا الكذب على محمد ، فى قوله (أنا خاتم الأنبياء) ، مع إقامة المعجزة ، فكيف نأمن كذب هذا المعصوم ، وإن أقام المعجزة ؟! .

وإن ادعى معرفته عن نص بلغه ، فكيف لا يستحيى من دعوى نص صاحب الشرع على وقائع لا يتصور حصرها وعدها ؟ .

فـإن ادعى المعرفـة بدليـل عقلى ، فمـا أجـهله بالفقهيـات والعقليـات جميعـا ، إذ الشرعيات أمور وضعية اصطلاحية ، تختلف بأوضاع الأنبياء والأعصار والأمم ، كما نرى الشرائع مختلفة ، فكيف تجوز فيها الأدلة العقلية الناطقة ؟ .

والفقهيات لابد فيها من اتباع الظن ، فهو ضرورى ، كما فى التجارب والسياسات وفصل الخصومات للمصالح ، فإن كل الأمور المصلحية تبنى على الظن ، والمعصوم كيف يغنى عن هـذا الظن ، وصاحب الشريعـة لم يغن عنه ، ولم يقـدر عليـه ، بل أذِنَ فى الاجتهاد ، وفى الاعتماد على قول آحاد الرواة عنه ، وفى التمسك بعموميات الألفاظ ، وكل ذلك ظن عمل به فى عصره مع وجوده ، فكيف يستقبح ذلك بعد وفاته ؟! .

المختار عندنا أنه يجب أن يقلّد من يعتقد أنه أفضل القوم وأعرفهم .

والإنسان ــ فى جميع مصالحه الدنيوية ، من التجارة والحرب مع العدو والزراعة ــ يقول على ظنون ، فلا يقـدر على الخلاص من إمكان الخطأ فى تفاصيل الخطأ فيه ، ولا ضرر عليه ، بل لو أخطأ صريحا فى مسألة شرعية فليس عليه ضرر ، بل الخطأ فى تفاصيل الفقهيات معفوّ عنه شرعا ، بقوله ﷺ : (من اجتهد فأصاب فله أجران ، ومن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد) .

٣ ــ أما دعواه ودعوى من سبق من آبائه العصمة عن المعاصى ، وعن الخطأ والزلل والسهو ، ومعرفة الحق فى جميع أسرار العقليات والشرعيات ــ فلم يظهر ذلك لنا ، بل لم تظهر دعواه العلم أصلا بفن من الفنون ، كالفقه أو الكلام أو الفلسفة ، على الوجه الذى يدعيه آحاد العلماء فى البلاد ، فكيف ظهرت دعواه معرفة أسرار النبوة والاطلاع على علوم الدنيا والآخرة ؟! .

٤ ــ الألفـاظ المجملة والمتشابهة كحروف أوائل السور ، لا يمكن أن تدرك معانيها بالعـقل ، إذ اللغـات تعـرف بالاصطلاح ، ولم يسبق اصطلاح من الخلق على حـروف التهجى ، وإن (آلر) و (حـم عسق) عبارة عن ماذا ؟ فالمعصوم أيضا لا يفهمه ، وإنما يُفهَم ذلك من الله تعالى ، إذا بين المراد به على لسان رسـوله ، فيفهم ذلك سماعا ــ فضائح الباطنية ص ٧٦ / ١١٨ .

□ مع أن من مقتضى مذهب الفاطميين البعـد عن أهـل الذمة لم يتلكأ بعض خلفائهم من الاعتماد عليهم فى إدارة مصر والشام ، فقد اعتمد الخليفة المعز لدين الله على

كثير من الموظفين من أهل الذمة ، واتخذ أطباءه منهم .. ووسّد العزيز الفاطمى الأمر لرجل من الأقباط اسمه نسطورس ، وقلد أموال الشام ليهودى اسمه منشّا بن إبراهيم ، يجمعان الأموال ، ويوليان أبناء نحلتهما الأعمال ، ويعدلان عن الكتاب والمتصرفين من المسلمين ، فغضب الناس فى مصر والشام ، وعَمَد بعضهم فى القاهرة إلى مبخرة من حديد ، وألبسها ثياب النساء ، وزينها بأزرار وشِعرية ، وجعل فى يدها قصة على جريدة ، وكتب فيها رقعة ليراها العزيز عند مروره ، وهى (بالذى أعز جميع النصارى بنسطورس ، وأعز جميع اليهود بمنشًا ، وأذل جميع المسلمين بك ، إلا ما رحمتهم ، وأزلت عنهم هذه المظالم) ، فتوسطت (ستّ الملك) ابنة العزيز لنسطورس ، فعفا عنه ، بعد أن حمل إلى الخزانة ثلاثمائة ألف دينار ، وأعاده العزيز إلى ما كان ناظرا فيه ، وشرط عليه استخدام المسلمين فى دواوينه وأعماله ، وأما منشّا فقتل ، ولم يشفع له أحد ـ الإسلام والحضارة العربية ـ محمد كرد على ص ٢٨٥ .

وبرز بين أهل الذمة فى عهد المعز يعقوب بن كلس الذى اعتنق الإسلام ، وتولى بعض دواوين الدولة ، ووضع نظم الدولة السياسية والإدارية .

وتزوج الخليفة العزيز بالله من زوجة مسيحية ، مما جعله يتبع سياسة تسامح مع أهل الذمة ، أو انفتاح ، فأعاد بناء الكنائس ، واحتفل بالأعياد والمواسم الدينية المسيحية ، وسمح للبطريق القبطى أفراهام بإعادة كنيسة أبى سيفين بظاهر الفسطاط ، وولىّ أخوى زوجته المسيحية أبرز المناصب الدينية ، فكان أحدهما بطريقا للملكانيين ببيت المقدس سنة ٣٧٥هـ ، وكان الآخر مطرانا بالقاهرة .

ذكر صاحب (وفيات الأعيان حـ ٢ ص ٤٤١) عن مكانة يعقوب بن كلس فى عهد العزيز بالله ، أنه كان يتخذ مطابخ خاصة له ولضيوفه ، وأخرى لغلمانه وحاشيته وأتباعه ، كما اتخذ بقصره طائفة من الحجاب يرتدون أزهى الملابس الحريرية ، ويتقلدون السيوف .

وكما بسط يعقوب نفوذه على النشاط المالى ، بسط نفوذه على الحياة الدينية ، فألف كتابا يتضمن الفقه (على ما سمعه من المعز لدين الله وابنه العزيز بالله ، وبوّبه على أبواب الفقه ، فبلغ حجمه نصف حجم صحيح البخارى ، وهو يشتمل على فقه الطائفة الإسماعيلية ، وقد بذلت الدولة الفاطمية جهدها فى نشر هذا الفقه بين المسلمين ، حتى كان الوزير ابن كلس يجلس بنفسه لقراءة هذا الكتاب على الطلبة ، وبين يديه خواص الناس وعوامّهم ، وسائر الفقهاء والقضاة والأدباء) .

وصار يعقد مجالسه العلمية بالجامع الأزهر تارة ، وبداره أخرى ، يقرأ فيها مصنفاته .

وقيل : إنه عمل على تحويل الجامع الأزهر إلى جامعة ، ووفّر للعلماء والطلاب المآكل والمسكن .

وتاريخ هذا (اليهودى) النابغة يبدأ فى بغداد التى نشأ بها ، ثم رحل مع أبيه إلى الشام ، ثم إلى مصر ، ونال ثقة كافور الإخشيدى ، فعينه فى ديوانه الخاص ، وازداد نفوذه ، حتى إن كافورا أصدر أوامره إلى رؤساء الدواوين الحكومية ألاّ يصرفوا أى قدر من المال إلا بتوقيع ابن كلس .

وفى سنة ٣٥٦ هـ أعلن اعتناقه الإسلام [1] ، لتحقق مشروعية سلطانه على جميع (المنافذ) ، ومن ثم دخل الجامع ، وازداد قربا من كافور ، ورتب لنفسه شيخا من أهل العلم المتفقهين فى الدراسات الدينية ، كما درس كتب النحو واللغة ـ وفيات الأعيان حـ ٤ ص ٤٦١ .

ولما مات كافور ، وقدم المعز لدين الله إلى القاهرة ، دخل فى خدمته ، وتولى بعض الشئون الإدارية والمالية .

وفى عهد العزيز تولى شئون الإيرادات والمصروفات وفَرْضَ الضرائب أو إسقاطها ، والإشراف على دواوين الحكومة ، وكان يلازم العزيز فى الحفلات الرسمية ، وفى الصلاة ، وأخذ البيعة .

وكان يجلس للمظالم فى كل يوم بعد صلاة الصبح ، واتخذ فى قصره عدة دواوين ، ثم أصبحت كل دواوين الدولة فى قصره ، واحتشد القصر بالحجاب والكتاب وكبار الموظفين .

ووهبه الخليفة خمسمائة غلام وألفا من الموالى المغاربة ـ خطط المقريزى حـ٢ ص ٦ .

وسكن قصرا فخما يُضاهى قصر الخليفة العزيز فى عظمته وأبهته ، وكان يمد كل يوم سماطا كبيرا للعلماء وكبار الموظفين والأتباع والحجاب ، وجعل من داره مقرا لنسخ كتب الحديث والفقه والأدب وبعض العلوم ، كالطب والفلك .

---

١ ـ قيل : إن كافورا أعجب بإدارته المالية ، فقال : (لو كان هذا مسلما لصلح أن يكون وزيرا) ، فبلغه ذلك ، فأسلم على يدى كافور ، وهى طريقة (الدونمة) الأتراك بعد ذلك ـ نهاية الأرب حـ ٢٨ ص ١٦٥ .

ومات ابن كلس سنة ٣٨٠هـ ، فكفنه العزيز بخمسين ثوبا مثقلة ، قيمتها سبعة آلاف دينار ، وأغلق الدواوين ثمانية عشر يوما ، وعطل الأعمال أياما ، واشتملت تركته على مال عظيم ، إذ ترك ضياعا تقدر قيمتها بما يوازى ثلاثين مليون دولار أمريكى ـ قصة الحضارة ـ ديورانت حـ ٢ مج ٤ ص ٢٦٨ .

وبعده عهد الخليفة العزيز بالمسائل المالية إلى عيسى بن نسطورس ، ثم رفعه إلى منصب (الوساطة) ، أى أن كل شىء لا يتم إلا بأمره .

وفى عهد المستنصر بالله تولى أمر الوزارة أحمد بن على الجرجرائى ، رجل قطعت يداه ، حين كثرت (المرافعات) ضده ، حتى قال فيه الشاعر :

أعَلَى الأمانة والتقى قُطعت يداك من المرافق؟!

ولما مات أوصى أن تفوض الوزارة بعده لأبى نصر صدقة بن أبى الفضل يوسف بن على الفلاحى ، فخلع عليه خلع الوزارة ، وكان يهوديا ، ولقّب بالوزير الأجل ، تاج الرئاسة فخر الملك ، مصطفى أمير المؤمنين ، ثم أسلم بعد الوزارة (؟!) ـ نهاية الأرب حـ ٢٨ ص ٢١٥/٢١٦ .

وفى هذا الوقت كان أبو سعيد التُّستَرى اليهودى يتولى ديوان والدة المستنصر ، وقد زاد أذاه فى حق المسلمين ، حتى كانوا يحلفون : وحق النعمة على بنى إسرائيل ـ المصدر السابق ص ٢١٥ / ٢١٧ .

أبهة الخلافة ..

جلس العزيز بالله ـ فى حفل تنصيبه ـ فى الإيوان الكبير ، بالقصر الشرقى ، على كرسى العرش ، وهو سرير الملك ، وقد صنع من الذهب ، وعليه مرتبة مذهبة ، ووضع على رأسه تاج من الذهب ، يسمى التاج الشريف ، وهو تاج مرصع بالجواهر الثمينة ، حذا فيه الفاطميون حذو أكاسرة الفرس ، أما قضيب الملك الذى أمسكه العزيز فى يده ، فى هذا الحفل ، فهو عود طوله شبر ونصف ، ملبس بالذهب المرصّع بالدر والجواهر ـ صبح الأعشى حـ ٣ ص ٤٧٢ .

وهذا السرف الفاحش تمثل فى جميع مظاهر الخلافة !! .

حين احتفل الخليفة المعز لدين الله بختان ابنه العزيز (نزار) وأخويه عبد الله وعقيل سنة ٣٥١هـ ، حرص على أن يكون حفلا لم تشهده الدولة الفاطمية من قبل ، ورأى أن يشرك (الرعية) فى هذا الاحتفال ، فدعا أن يشارك الناس بختان أبنائهم ، ويأخذوا من مال

الدولة مقابل ذلك قدرا من المال ، وبعث إلى ولاته فى سائر المدن ، يأمرهم بمثل ما أمره به أهالى (المنصورية) ـ العاصمة الفاطمية فى تلك الفترة ـ وتدفقت الأموال إلى الولايات ، ليقوم الولاة بدفع النفقات والهدايا والمنح لآباء المختتنين ـ نهاية الأرب حـ ٢٨ ص ١٢١ .

وكان (موكب الخليفة) يعنى إشعار الجماهير بقوة الخلافة وقدرتها ، لهذا كانت تحشد له كل الإمكانات .

كان الموكب يتقدم وحوله الأساتذة والأمراء المطوقون ورجالات الدولة ، ركبانا ومشاة ، على حسب مراتبهم ، وحامل الدواة ، لعل أمراً يَعنّ للخليفة أو وزيره ، وهذه الدواة مصنوعة من الذهب ومحلاة بالمرجان ، تلف فى منديل من الحرير الأبيض ، ويحملها أحد رجال الخليفة المقربين ، وعلى جانبى الخليفة يسير حامل السيف ، وحامل الرمح ، وكلا السيف والرمح محلى بالذهب واللؤلؤ ، وحامل الدرقة المنسوبة إلى حمزة عم الرسول ـ ﷺ ـ وهى درقة كبيرة محلاة بالذهب والحرير ، عليها أمير من أكابر أمراء الموكب ، ومن وراء الخليفة يسير أكثر من ثلاثة آلاف فارس .

وكانت توضع فى وجه فرس الخليفة عند ركوبه فى الموكب قطعة ياقوت أحمر على شكل هلال ، تسمى (الحافر) ، زنتها أحد عشر مثقالا ، تحاط بحرقة ، وبدائرها قضيب زمرد ، وكانت تحمل عند رأس الفرس مِذَبَّتان عظيمتان كالنخلتين ملويتين .

وكانت الرايات البيضاء ترفرف عليها أهلة من ذهب ، فى كل منها صُورة سبُع (؟!) من الديباج الأحمر ، ومنسوج على الرايات بعض الآيات القرآنية والعبارات الدينية ، مثل **﴿ نصر من الله وفتح قريب ﴾** .

وإذا بدأ سير الموكب ضرب رجل ببوق معوج الرأس من الذهب ، يقال له : (الغريبة) ، وهو مخالف لصوت باقى الأبواق ، فتضرب البوقات الأخرى فى الموكب ، وتنشر الألوية ، وأعلاها لواء محمد ، على رمحين طويلين ملبسين بأنابيب من ذهب ، وبأعلاها رايتان من الحرير الأبيض المرقوم بالذهب ، ملفوفتان على الرمحين ، غير منشورتين ، ويخرجان لخروج المظلة إلى أميرين مُعَدّين لحملهما .

أما المظلة فكانت قبة على هيئة خيمة على رأس عمود ، وكانت لها عندهم مكانة جليلة لعلوها رأس الخليفة ، وكان حاملها من أكبر الأمراء ، وكان لونها يشبه دواما لون ثياب الخليفة ، حمراء ، تبعا لثوبه الأحمر الموشّح ، وبيضاء فى صلاة عيد الفطر ، لارتدائه البياض

فى هذه المناسبة ، وكانت المظلة تُتخذ من الديباج أو الخز المحلى بالذهب ، والمرصع بالجوهر .

وكانت الطبول والصنوج تقرع طوال سير الموكب ، وتحمل النقّارات على عشرين بغلا .

وكان موكب صلاة الجمعة من أبرز مواكب الخليفة العزيز بالله ، فكان يركب فى الجُمع الثلاث الأخيرة من رمضان إلى جوامع الحاكم والأزهر وعمرو ، على التوالى ، لصلاة الجمعة ، وجامع الحاكم هو الذى أنشأه العزيز ، وكان صاحب بيت المال - فى صباح كل يوم من هذه الأيام الثلاثة - يشرف بنفسه على تأثيث المسجد الذى يصلى الخليفة الجمعة فيه ، فكان يوضع فى المقصورة ثلاث طنافس ، بعضها فوق بعض ، ويوضع فوق الجميع الحصيرة ، وكان يوضع على جانبى المنبر ستران ، يكتب على الأيمن البسملة والفاتحة وسورة الجمعة ، وعلى الآخر البسملة والفاتحة وسورة المنافقون .

وقبل وصول الخليفة بقليل كان قاضى القضاة يقف وبيده مبخرة ، فيبخّر المنبر والقبة التى كان يقف الخليفة تحتها وقت إلقاء الخطبة .

وكان الخليفة يركب بين قرع الطبول ورنين الصنوج وقراءة القرآن الكريم ، حتى يصل إلى قاعة الخطابة ، التى يحرسها قائد القواد وكبير الأمناء ونخبة من حراس الخليفة .

وحين ينتهى الأذان يدخل قاضى القضاة ، ويقول : (السلام على أمير المؤمنين الشريف ، القاضى ، ورحمة الله وبركاته ، الصلاة يرحمك الله) ، فيخرج الخليفة وحوله الوزير وجماعة من الحرس المدججين بالسلاح ، فينتشرون بين قاعة الخطابة والمنبر ، ويقف الوزير على باب المنبر ووجهه للخليفة ، فإذا أومأ إليه ، صعد فقبّل يدى مولاه ورجليه ، وزرّ السّترين عليه ، وبذلك يكون المنبر والقبة كالهودج ، ثم ينزل الوزير ، وينتظر على باب المنبر(!!) - صبح الأعشى حـ ٣ ص ٤٧٢/٤٧٣/٥١١ .

وفى أيام الجمع الثلاث الأخيرة من رمضان كانت تزدان الدور والحوانيت والأسواق التى يمر بها الخليفة ، فى طريقه إلى الجامع ، كما كان يصطف كثير من الناس على جانبى الطريق .

وفى الاحتفال بجبر الخليج أو وفاء النيل ، كان الخليفة يخرج يحيط به آلاف من الفرسان ، يمتطون الخيول المطهمة الملجمة ، ويلبسون الدروع المحلاة بالذهب والأحجار

الكريمة المكسوة بديباج مطرز باسم الخليفة ، ويلى هؤلاء صفوف من الجمال عليها هوادج مزركشة ، تقودها طائفة من جند الخليفة .

ويتبع فصائل الجند عشرون ألفا من البربر ، من أبناء كتامة ، وخمسة عشر ألفا من المغاربة ، وعشرون ألفا من المصامدة ، من بربر شمال أفريقية .

ويتبعهم عشرة آلاف من الأتراك ، ومثلهم من الفرس ، ثم خمسة عشر ألفا من بدو الحجاز ، وثلاثون ألفا من السودان .

ثم يتبعهم الموظفون على اختلاف مراتبهم ، ثم الشعراء والعلماء والأمراء .

وفى آخر هذا الموكب يسير الخليفة العزيز بالله ، وحوله حرسه الخاص ، وإلى جانبه أحد كبار رجال الدولة يحمل مظلة الخليفة ، ويحف به الخصيان ، يطلقون البخور على جانبى الطريق ، حتى إذا وصل إلى الفسطاط المقام عند فم الخليج سجد له الناس احتراما وإجلالا (!!) . الخطط للمقريزى حـ ٢ص٢٨٠/٢٨١ .

☐ كانت جبايات الفاطميين فاحشة ، والفتن متصلة ، وعمالهم يبالغون فى ارتكاب المظالم ، حتى خربت البلاد ، وجلا عنها أهلها ، وتعطلت الزراعة ، ومع هذا كانت الرواتب والإقطاعات كثيرة ، حتى لتثقل كاهل الحاكم والمحكوم جميعا ، لو أن هذا الحاكم ينظر إلى المستقبل نظرة (واقعية) ، وقد أدى عدم الموازنة بين الدخل والمنصرف إلى اضطراب الأحوال المالية ، وإلى شيوع الفساد داخل (النظام) الحاكم ، فانتشرت الرُشا ، وصارت حقوقا ، بينما ضاعت حقوق الآخرين .

وتبع النهم إلى مزيد من السرف والترف (القبض على من يملكون ، ومصادرة أموالهم ، والخلاص منهم بالقتل أو النفى أو الإهمال فى غيابات السجون) .

وكان الوزير البطائحى أول من عمل إحصاء للسكان ، وتدوينه فى قوائم خاصة ، سماها (ابن ميسر) أوراق (التصقيع) ، ووضع أوراقا للسفر للداخل إلى البلاد والخارج منها ، ووضع الجواسيس ، وخاصة من النساء ، يتسقطن الأخبار ، حتى يمكن الجمع بين أمن (الجباية) ، وأمن (الخلافة) ، وحتى تسهل وسائل القبض والمصادرة ، وحتى يتحقق توفير النفقات الباهظة .

كان يُصنع للخليفة كُسى مختلفة ، يصلح كل منها لاحتفال خاص ، وكانت موشاة بخيوط الذهب والفضة ، وبلغ ثمن بعضها خمسمائة دينار ، وأنفق على المنديل الواحد خمسة دنانير .

وابتكر العزيز لبس العمامة الموشاة بالذهب والأحزمة المرصعة بالجوهرات والمعطرة بالعنبر الأسود ، والسرج الموشاة بالذهب ، وزيّن تاجه بدرّة يتيمة زنتها سبعة دراهم .

كانت خيوله تكسى بالزرد المطعم بالذهب ، وتغطى بأقمشة مرقّشة بالجواهر .

وابتنى العزيز كثيرا من الفنادق والحمامات والدكاكين ، ليمتصّ بقية ما فى السوق من سيولة مالية .

ذكر المقريزى فى (اتعاظ الحنفا ص ٦٥) أن المعز حمل أمواله من المغْرب إلى مصر على ألف بعير ، وسبك الدنانير على شكل الطواحين ، وجعل على كل جمل قطعتين ، واحتشد الجند والناس يرون هذه الأموال الفخمة ، ويتعجبون من أمرها [١] ، فإذا كان هذا مال المعز ، فماذا عن أموال أولاده وأحفاده ووزرائه وقادته ونسائه ومواليه وحاشيته ، وإذا كان هذا شأن المعز بالمغرب فما يكون شأن الفاطميين جميعا ، وقد طال مكثُهم بمصر ، ومصر أرضها ذهب ، ونيلها عجب ، وشعبها طيّع لمن غلب ؟! .

قالوا : كان راتب الوزير الفاطمى فى كل شهر خمسة آلاف دينار ، ومن يليه من ولد أو أخ من ثلاثمائة دينار إلى مائتى دينار ، وربما خمسمائة دينار ، ثم لحواشيه خمسمائة دينار ، إلى أربعمائة دينار ، إلى ثلاثمائة ، خارجا عن الإقطاعات ، ولأكبر أرباب الأقلام فى الشهر مائتان وخمسون دينارا حبشية .

ومن الرواتب والغلّة ما إذا بُسط وثُمّن كان نظير ذلك ، ثم دُون ذلك ، ودون دونه ، ولأعيانهم الرواتب الجارية من اللحم والخبز والعليق والشمع والسكر والكسوة ، ونحو ذلك مما هو جار على العلماء وأهل الصلاح من الرواتب والأرضين المؤبدة ، وما يجرى مجراها ، يتوارثه الخلف عن السلف ، ولا يوجد بمملكة من الممالك ، ولا مصر من الأمصار ، ويبلغ إقطاع الواحد من أكابر الأمراء مائتى ألف دينار حبشية وربما زاد على ذلك .

وقد خلّف الأفضل وزير المستنصر والمستعلى والآمر من العين ستمائة ألف ألف دينار ، ومن الفضة مائتين وخمسين إردبا ، وسبعين ألف ثوب ديباج أطلس ، إلى آخر ما خلّف !! .

---

(١) ـ ومن قبله سبق جوهر إلى مصر (ومعه ألف حمْل من المال ، ومن السلاح والعُدد والكراع ما لا يوصف) ، (ودخل القائد جوهر مصر وبينَ يديه ألف ومائتا صندوق مالا) ـ نهاية الأرب جـ ٢٨ ص ١٢٢ و ١٣٠ .

وكان للنساء نصيب وافر من هذا النهب المستباح ، فلم يكتفين بأنهن يعشْنَ فى كنف الثروة الهـائلة يتمتعن بما هو من بذخ القصور ، بل نافسْـن فى جمع الأموال ، واكتنازها أو استثمارها .

حازت كل من رشيدة وعبدة ـ من أخوات العزيز بالله ـ ثروات كبيرة ، فقد تركت السيدة رشيدة ما يقرب من مليون ونصف من العملة الذهبية ، وتركت السيدة عبدة كثيرا من خزائن الحلى والصناديق التى تحتوى على خمسة أكياس من الزمرد ، وثلاثمائة ألف قطعة فضية ، وثلاثين ألف ثوب صقلى ، وغير ذلك من الذخائر !! .

يقول المقريزى فى (الخطط ٤١٥/١) : ووجد للسيدة رشيدة ابنة المعز ـ حين ماتت فى سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ـ ما قيمته ألفا دينار وسبعمائة ألف دينار ، من جملته ثلاثون ألف ثوب خز مقطوع ، واثنا عشر ألفا من الثياب المصمت ألوانا .. ووجد للسيدة عبدة ابنة المعز أيضا ما لايحصى .. إن خزائن السيدة عبدة ومتاجرها وصناديقها ما يجب أن يختم عليه ذهب من الشمع فى خواتيمه على الصحة والمشاهدة أربعون رطلا بالمصرى ، وإن بطائق المتاع كتبت فى ثلاثين رزمة ورق ، ومما وجد لها أيضا أربعمائة قمطرة ، وألف وثلاثمائة مينا فضة مخرقة ، زنة كل مينا عشرة آلاف درهم ، وأربعمائة سيف مُحلّى بالذهب ، وثلاثون ألف شعلة صقلية ، ومن الجوهر ما لا يحد كثرة ، وزمرد كيلة إردب واحد !! .

وخلفت ست الملك ـ ابنة العزيز بالله ـ ثروة ضخمة ، منها ثمانمائة جارية ، وثمانى جرّات ملأى بالمسك ، وكثير من الأحجار الكريمة ، من بينها قطعة من الياقوت تزن ثمانية مثاقيل ، وكانت مخصصات هذه الأميرة السنوية خمسين ألف دينار !! .

ولما أزال صلاح الدين ملكهم ، وكَل بالمحافظة على قصورهم الطواشى قراقوش ، وتسلم القصور ، وفيها من خزائن ودواوين وأموال ونفائس ما عظم عن الوصف ، وقيل : إن صلاح الدين أمر ببيع ما فى القصور ، فاستمر البيع نحو عشر سنين ، وكان من الموجود فيها مائة صندوق من الكسوة الفاخرة الموشحة المرصعة ، وعقود ثمينة ، وجواهر نفيسة ، وكان فيها آلاف من العبيد والخدم ، وآلاف من الجوارى ، ليس فيهن فحل إلا الخليفة وأولاده ـ المهدى والمهدوية ص٩٠ .

□ وكان لابد أن يتبع هذا السَّفَـه فى تبديد ثروة البلاد سفه آخر فى تبديد كرامة العباد ، فمن يبتز القوت لا يمكن أن يحرص على الحرية والعدالة والشرف وجميع القيم الإنسانية !! .

كان من (المراسيم) أن ينحنى الداخل على الخليفة والخارج من حضرته ، ويقبل الأرض بين يديه ، ويقبل يديه ورجليه ، وكان تقبيل رداء الخليفة شرفا لا يناله إلا وجوه الدولة .

وكان خطاب الخليفة يمثل : سيدنا ، ومولانا ، وسيف الإسلام ، وناصر الإمام ، وكافل قضاة المسلمين ، وهادى دعاة المؤمنين ، وكاشف الغمة ، وغياث الأنام .. إلخ .

وتمتع الوزراء بالألقاب العجيبة ، فكان (الوزير الأجل الأسعد المكين الحفيظ الأمجد الأمين ، عميد الخلافة ، جلال الوزراء ، تاج المملكة ، وزَر الإمامة ، شرف الملة ، كفيل الدولة) .

وكان (الوزير الأجلّ الأوحد ، جلال الإسلام ، ظهير الإمام ، قاضى القضاة ، وداعى الدعاة ، شرف المجد ، خليل أمير المؤمنين وخالصته ، ثقة الدولة وسناؤها) .. إلخ .

وهكذا (ألقاب مملكة فى غير موضعها) . ألقاب تنتفخ بانتفاخ الجريمة ، فالذين لا يملكون من أسباب الخير ـ حين يحكمون ـ يلجئون إلى الألقاب عساها تستر عوراتهم ، وحديثا كان يجرى كل شئ فى مصر بتوجيه الذات الملكية وبرضاه السامى ، مع أن الذات الملكية هذه كانت غارقة فى حمأة الرذيلة المحلية والمستوردة .

تعقيب ..

فى كتابى (دراسة فى التوراة والإنجيل) ، كتبت فصلا عنوانه (إلهٌ من ذهب) ، تحدثت فيه عن (الفرائض) التى فرضها الكهنة على الشعب باسم (الرب) ، ووقع فى ظنى أن القوم بالغوا كل المبالغة فى (فرائضهم الدهرية) . على شعب يعانى كل المعاناة ، من أجل رفاهية أبناء (لاوى) ، أو حفنة منهم اختصوا بالكهانة ، وبخيرات (شعب الله المختار) .

ولم أكن أعلم أن (كهنة) العباسيين والفاطميين تجاوزوا كهنة (اللاويين) ، لدرجة أن صار الاحتفال بموكب الخليفة لم يخطر ببال الكهنة الذين استنزلوا (رب إسرائيل) ، يقود الجنود فى شكل سحابة ، ويرسم ويشارك فى الانتصارات والهزائم ، ويقيم حدود الدولة ، ويعين على بناء الهيكل أكثر من مرة ، ومع هذا لم تشر كتب اليهود إلى الاحتفال بهذا (الإله) إلا من خلال (القرابين) التى يأكلها الكهنة ، أو من خلال (رموز) و (طقوس) لا تكلف (عُشر معشار) ما كلفه ختان أبناء المعز ، أو احتفال العزيز بوفاء النيل ، مع ما فى هذا الاحتفال من وثنية .

لهذا أعتذر لكهنة (لاوى) عما جاء فى هذا (الفصل) من إيحاءات الدهشة والاستنكار ، فلو أنى قرأت من تاريخ العباسيين والفاطميين ، لتغير أسلوبى فى التناول ، ووضعت فى عينى أكثر من حصاة ملح .

وحسبى أنى تعلمت قيمة الحكمة التى تدعو إلى أن أنظف عينى قبل أن أنكر القذى فى عيون الآخرين ، وإذا كان بيتى من زجاج لا أسارع إلى قذف الآخرين بالحجارة !! .

ولا ريب فى أن هذا يعين على تقبُّل ما ينفق اليوم على قصور الحاكمين وتنقلاتهم ، وعلى (مخصصات) ذوى الهيِّل والهيِّلمان من أصحاب الشأن ، بالرغم من كثرة القروض وفداحة الخسائر فى القطاعين العام والخاص !! .



خليفة وشعب ..

يقول الإمام الغزالى فى كتابه (فيصل التفرقة) ، منكرا جرأة الإمامية والباطنية على ادعاء الصلة بالله سبحانه ، على وجه خاص بهم : (وأنّى تتجلى أسرار [1] الملكوت لقوم إلههم هواهم ، ومعبودهم سلاطينهم ، وقبلتهم دراهمهم ودنانيرهم ، وشريعتهم رعونتهم ، وإرادتهم جاههم وشهواتهم ، وعبادتهم خدمتهم أغنياءهم ، وذكرهم وساوسهم ، وكنزهم سوّاسهم ، وفكرهم استنباط الحيل لما تقتضيه حشمتهم) .

ومع هذا وقع الغزالى فيما وقعوا فيه ، وهو يرفع من مقام المستظهر بالله فوق البشر ، مع أنه لم يؤت من فضيلة إلا أنه ورث (خلافة) فقدت دورها .

يقول فى سبب تأليف كتابه (فضائح الباطنية ص ٣) :

(لم أزل مدة المقام بمدينة السلام ، متشوفا إلى أن أخدم المواقف المقدسة النبوية الإمامية المستظهرية ، ضاعف الله جلالها ، ومدّ على طبقات الخلق ظلالها ـ بتصنيف كتاب فى علم الدين ، أقضى به شكر النعمة ، وأقيم به رسم الخدمة .. لكنى جنحت إلى التوانى ، لتحيُّرى فى تعيين العلم الذى أقصده بالتصنيف ، وتخصيص الفن الذى يقع موقع الرضا من الرأى النبوى الشريف) .

(فكانت هذه الحيرة تغير فى وجه المراد ، وتمنع القريحة عن الإذعان والانقياد ، حتى خرجت الأوامر الشريفة المقدسة النبوية المستظهرية بالإشارة إلى الخادم فى تصنيف كتاب فى الرد على الباطنية ، مشتمل الكشف عن بدعهم وضلالاتهم وفنون مكرهم واحتيالهم ، ووجه استدراجهم عوام الخلق وجهالهم) .

وكان الأجدر بالغزالى أن يعرفنا بم يَفضُل هذا المستظهر بالله الفاطميين ، وما حظ المستظهر بالله ومن سبقه فى خلافة المسلمين من العباسيين ـ فى خدمة الإسلام ونصرة المسلمين !! .

---

١ ـ سخر أحدهم من ادعاء المعز العلم (بالماجريات قبل وقوعها) فكتب فى ورقة طرحها فى مجلسه :

بالظلم والجور قد رضينا ... وليس بالكفر والحماقة
إن كنت أوتيت علم غيب ... فقل لنا كاتب البطاقة

نهاية الأرب ـ ٢٨ ص ١٤٣ .

☐ وفى ذى الحجة سنة خمس وسبعين وأربعمائة أرسل الخليفة المقتدى الشيخ أبا إسحق الشيرازى برسالة إلى السلطان ملكشاه بأصفهان ، تتضمن الشكوى من العميد أبى الفتح بن أبى الليث ، عميد العراق ، وأمَره أن يُنهى إليه وإلى نظام الملك ما يجرى على أهل البلاد من النظار ، فسار الشيخ ، وكان كلما وصل إلى مدينة من بلاد العجم خرج أهلها إليه بنسائهم وأولادهم ، يتمسحون بركابه ، ويأخذون من تراب بغلته للتبرك ، وكان فى صحبته جماعة من أعيان أصحابه ، فلما وصل إلى (ساوة) خرج إليه جميع أهلها ، وسأله كل من فقهائها أن يدخل بيته ، فلم يفعل ، ولقيه أرباب الصناعات ومعهم ما ينثرونه على محفته .. ولما وصل الشيخ إلى السلطان وإلى نظام الملك أكرماه ، وأجيب إلى جميع ما التمسه الخليفة ، ولما عاد أُهين عميد العراق ، ورفعت يده عن جميع ما يتعلق بحواشى الخليفة !! نهاية الأرب حـ ٢٣ ص ٢٤٦ .

شعب طيع ، متعلق بكل من ينتسب للحكومة (الدينية) ، خليفة وفقيها ، كان يمكن تشكيله بالحكمة والحزم لبناء دولة قوية ، لكن الخليفة يستمد قوته من سلطان ، هو أحد العاملين فى خلافته ، بحيث لا يستطيع أن ينقل ، أو يفصل ، أو يتحرر من تبعة حاكم بغداد ، إلا بعد اللجوء إلى هذا السلطان ، وإلى وزيره ، أما الفقهاء ، فهم مجرد (شعار) أو (شهود الزفّة) ، يأكلون على موائد الدولة ، ويفتون بما يُحل حراما ، ويحرم حلال ، ويتقاتلون فيما بينهم ، أشاعرة وحنابلة ومعتزلة ، أحنافا وشوافع ومالكية ، حتى كان (الشريف أبو القاسم البكرى المقرئ الواعظ ، وكان أشعرى المذهب .. يذكر الحنابلة ويعيبهم ، ويقول : ﴿ **وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا** ﴾ ، وما كفر أحمد ولكن أصحابه كفروا ـ ص ٢٤٦ .

☐ وفى سنة ثمانين وأربعمائة فى المحرم ، زفّت ابنة السلطان ملكشاه إلى الخليفة ، ونقل جهازها على مائة وثلاثين جملا مجلّلة بالديباج الرومى ، وكان أكثر الأحمال الذهب والفضة ، وثلاث عماريات ، وعلى أربعة وسبعين بغلا مجلّلة بأنواع الديباج الملكى ، وأجراسها وقلائدها من الذهب ، وعلى ستة منها اثنا عشر صندوقا من فضة ، فيها من الجواهر والحلى ما لا تُقدّر قيمته ، وأمام البغال ثلاث وثلاثون فرسا من الخيول السوابق ، عليها مراكب الذهب ، وسار أمام الجهاز (سعد الدولة) والأمير (برسق) وغيرهما ، وكانت ليلة مشهورة ، فلما كان من الغد أحضر الخليفة أمراء السلطان لسماط أمر بعمله ، حُكى

أنه عُمل فيه أربعون ألف مَنّ من السكر ، وخلع الخليفة على جميع أمراء السلطان ، ومن له ذكر في العسكر ، وأرسل الخلع إلى جميع الخواتين !! ـ نهاية الأرب حـ ٢٣ص ٢٤٩ .

هذه الثروة الهائلة ـ مكتنزة أو مهدرة ـ من شعب لا يجد الكفاف ، وكل همه أن يلتمس بركة (المواقف المقدسة النبوية الإمامية) .. ومع هذا فهو مائدة القمار بين الخليفة والسلطان ، السلطان يصاهر الخليفة ليفرض إرادته على الشعب ، والخليفة يصاهر السلطان ليظل جالسا على سرير الخلافة أو غارقا فى ثيابها ، أو سماديرها !! .

☐ ولما توفى السلطان ملكشاه (خُطب للسلطان بركيارق بن ملكشاه ببغداد) ، أى أعلن لجماهير الخلافة أن السلطان الجديد هو الآمر الناهى الذى تجب طاعته !! .

ولهذا حار الشيخ النويرى فى بيان دور الخليفة ، فقال : (كان عظيم الهمة ، شديد العزمة ، ولم يكن له أعوان على ذلك تذبّ عنه ، بل كانت له دعوة مجابة) ـ المصدر السابق ص ٢٥٢ .

خليفة لا يملك إلا الدعاء كالدراويش والمجاذيب ، فكيف تعظم همته ، وتشتد عزمته ، وهو لا يجد من يحميه ، ويذبّ عنه ؟! .

ومع هذا بقى خليفة (تسع عشرة سنة وخمسة أشهر ويومين) ، ولا يبقى على المزاود إلا شَرُّ البقر !! .

لقد أمضى غيره فى الخلافة أشهرا ، أو أياما ، أو أقل من يوم ، وانتهى أمر كثيرين إلى القتل ، أو سمل العينين والقتل ، أو سمل العينين والقتل والتمثيل بالجثة ، ذلك لأنهم كانوا على حَظّ من الهمة وشدة العزمة ، أو لأنهم جرءوا على قول (لا) ، ومعروف أن النباتات الطفيلية اللدنة هى الأقدر على مواجهة العواصف ، فأرجُل العواصف لا تعثر بها ، وفى هذا سر بقاء (المقتدى) هذا العمر الطويل .

☐ وتولى الأمر من بعده ابنه المستظهر بالله (وله من العمر ست عشرة سنة وشهران) .

وبعد ثلاث سنوات من حكمه (خَطَب الملك رضوان بولايته بالشام للمستعلى صاحب مصر ، ثم رجع عن ذلك ، وأعاد الخطبة للدولة العباسية) ـ المصدر نفسه ص ٢٥٣ .

هكذا ، كأن الأمر خاضع لمزاجه ، أو لتقدير موقفه من الدولتين الإماميتين : العباسية أو الفاطمية ، ودراسة جدوى الولاء لأيهما !! وقد يكون السبب في هذا (التردد) ضعف الثقة بإحداهما ، أو عدم الاقتناع بأيهما !! .

إن كل ما استطاع هذا المستظهر بالله أن يحققه في خلافتــه أنه أمر (بفتح جامع القصر ، وأن يصلى فيه التراويح ، ولم تجر عادة بذلك ، وأمر بالجهر بالبسملة ، وبالقنوت على مذهب الإمام الشافعي) .

وكما فعل والده تزوج ابنة السلطان ملكشاه ، أخت زوجة أبيه ، (وتولى قبول العقد بوكالـة الخليفـة نظام الملك ، وزير السلطان ، والصداق مائة ألف دينار ، ونثرت الجواهر والدنانير ، وكان العقد بأصفهان) .

(وفي سنة خمس وخمسمائة توفى الإمام أبو حامد الغزالى) ، ولم ير من أمر خليفته إلا ضياع الشام على يد الفرنجة !! .

وكأنّ حسب الخليفة أنه (ما من شخص يقدر مخالفته فى أمر من الأمور إلا وهو بعينه إذا انتهى إلى العتبة الشريفة صُفع على الأرض خاشعا ، وعفر خده فى التراب متواضعا ، ووقف وقوف أذل العبيد على بابه ، وانتهض ماثلا على رجليه عند سماع خطابه) ــ فضائح الباطنية ص ١٨٣ .

ولا أدرى من أين أتى (الإمام حجة الإسلام) بهذه الصفات التى تجعل من المسلم (أذل العبيد ، يصفع على الأرض خاشعا ، يعفر خده فى التراب متواضعا) لأنه فى حضرة (العتبة الشريفة) !! .

ومن أين كان لإمام الأئمة ، أو قطب الأقطاب ، أو داعى الدعاة ، أو قاضى القضاة (عتبة شريفة) ؟! .

إن بيت رسول الله ــ ﷺ ــ لم يوصف فى القرآن الكريم إلا بأنه (حجرات) ، ولم يطلب من المسلمين فى حضرته بأكثر من ألا يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبى ، وألا يقدموا بين يدى الله ورسوله ما لا يرضاه الله ورسوله ، وإذا صح أن خلوا بالرسول فى (مناجاة) فليتطهروا بالصدقة ، إن وجدوا ما يتصدقون به ، فذلك خير وأطهر ، ولم نسمع بأحد (صفع على الأرض) ساجدا ، لأن السجود والركوع خاصان بالله جل جلاله ، ومن يفعل ذلك لإنسان

ما ـ مهما ارتفعت منزلته بين النـاس ـ فإنه لاشك آثم ، إن لم يدخل فى دائرة المشرك ، ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ ، فكيف يُعز الله المؤمن ، ويُذله المستظهر بالله ، هذا الخليفة الذى لا يملك إلا (اسم) الخلافة أو (إثمها) ، لأنه يستمد وجوده من وجود الترك ، (فالشوكة فى عصرنا هذا من أصناف الخلائق للترك ، وقد أسعـدهم الله تعالى بموالاته ومحبته ، حتى إنهم يتقربون إلى الله بنصرته وقمع أعداء دولته ، ويتديّنون باعتقاد خلافته وإمامته ووجوب طاعته ، كما يتدينون بوجوب أوامر الله وبتصديق رسله فى رسالته ، فهذه نجدة لم يثبت مثلها لغيره ، فكيف يتمارى فى نجدته ؟) ـ فضائح الباطنية ص ١٨٢ .

ألا يشبه قول (الإمـام حجة الإسلام) قول القيصر : أنا أحكم الدنيا ، وزوجتى تحكمنى ، وطفلى يحكم زوجتى ، فطفلى يحكم الدنيا ؟! أو قول من يقول : أنا ابن من تطأطئ له الرءوس ، وهو ابن حلاق ؟! أو ذلك الذى يفخر بأنه ابن من يمد السماط لكبار القوم ، وهو ابن طباخ أو سفرجى ؟! .

إن هذا الخليفة (العظيم) ـ كما يزعم الإمام حجة الإسلام ـ (صار أكابر العقلاء يتعجبون فى معضلات الوقائع من رأيه الصائب ، وعقله الثاقب ، وتفطنه للدقائق ، يشذ عن درك المحنكين من ذوى التجارب) ـ المصدر نفسه ص ١٩٤ .

ومن أجـل هذا كثرت فى عهده المحن ابتلاء وتكفيرا عن ذنوب هى من (حسنات الأبرار) !! .

(فى سنة اثنتين وخمسمائة فى نيسـان ، زادت دجلة زيادة عظيمة ، انقطعت منها الطرق ، وغرقت الغلال الشتوية والصيفية ، وحدث غلاء عظيم بالعراق ، وعُدم الخير ، وأكل الناس التمر والباقلاء الأخضر ، وأما أهل السواد فإنهم لم يأكلوا فى شهر رمضان ونصف شوال إلا الحشيش والتوت) ـ نهاية الأرب حـ ٢٣ص ٢٥٨ .

وفى هذه السنة تزوج الخليفة (ونثرت الجواهر والدنانير) ـ المصدر السابق .

(وفى سنة ثمان وخمسمائة ـ فى جمادى الآخرة ـ كانت زلزلة شديدة بديار الجزيرة والشام وغيرها ، فخرّبت كثيرا من الرُّها وحرّان وسميساط وبالس وغيرها ، وهلك كثير من الخلق تحت الردْم) ـ نفسه ص٢٥٩ .

(وفى سنة إحدى عشرة وخمسمائة غرقت مدينة سنجار ، وفيها تناثرت النجوم بديار الجزيرة جميعها) ، وفى يوم عرفة من نفس السنة (كانت زلزلة بالعراق والجزيرة وكثير من البلاد ، وخربت بغداد) ـ نفسه ص٢٥٩/٢٦٠ .

وشغل الناس بالنكبات عن الإصلاحات ، بدليل أن المؤرخين لم يذكروا عملا واحدا ، أو صورة واحدة من صور الإصلاح ، (حتى خرجت الأوامر الشريفة المقدسة النبوية المستظهرية بالإشارة إلى الخادم فى تصنيف كتاب فى الرد على الباطنية ، مشتمل على الكشف عن بدعهم وضلالاتهم ، وفنون مكرهم واحتيالهم) ـ فضائح الباطنية ص ٣٠ .



جنـاية تقديس الأفــراد ..

ذكر ابن الطقطقا [1] في (الفخرى ص ١٧) أنه (لما فتح السلطان هولاكو بغداد فى سنة ست وخمسين وستمائة ، أمر أن يستفتى العلماء : أيما أفضل ؟ السلطان الكافر العادل ، أم السلطان المسلم الجائر ؟ ثم جمع العلماء بالمستنصرية لذلك ، فلما وقعوا على الفتيا أحجموا عن الجواب ، وكان رضىّ الدين على بن طاووس حاضرا هذا المجلس ، وكان مقدّما محترما ، فلما رأى إحجامهم تناول الفتيا ، ووضع خطّه فيها بتفضيل العادل الكافر على المسلم الجائر ، فوضع الناس خطوطهم بعده) .

ولهذا الخبر أبعاد : سخرية الغازى من فكر المغزو ، مع كثرة دعاواه !! ثقة الغازى من أن سيفه وسوطه أجدى على الأمة (الغافلة) من كثرة اللحى والمسابح !! قلة من يجرءون على إعلان كلمة الحق ، فضلا عن إعلائها !! سهولة التقليد على من لا يملكون روح المبادرة أو المخاطرة !! الوقوف بالنشاط الفكرى وبواجب العلم والعلماء عند حدود (الفتوى) !! .

ويتجلى هذا الموقف الانهزامى فى سلوكيات تاريخية متعددة ، تستند فى جملتها إلى نصوص أسىء فهمها ، أو إلى نصوص أجيد (وضعها) .

ولعل دور (الإمامة) كان أفدح الأثر فى هذا الجانب ، وتبعه أو استفاد منه كثيرا جماعة التصوف ، وبخاصة أن أكثر أفكار وسلوكيات المتصوفة خرجت من عباءة الإمامة .

يقول ابن الطقطقا ص ٣٣ : من حقوق (الملك) ترك اغتيابه فى ظهر الغيب ، لأن الرسول ـ ﷺ ـ قـال : (لا تسبوا الـولاة ، فإنهم إن أحسـنوا كان لهم الأجـر ، وعليكم الشكر ، وإن أسـاءوا فعليهم الوزر ، وعليكم الصبر ، وإنمـا هى نقمـة ينتقم الله بهـا ممن يشـاء ، فلا تستقبلوا نقمة الله بالحمية والغضب ، واسقبلوها بالاستكانة والتضرع) !! .

هذا ، مع أن أحاديث كثيرة تبين أن الطاعة لهؤلاء الولاة مشروطة بالتزامهم بما أوجب الله ، وعلى هذا كانت خطبة أبى بكر يوم تولى الخلافة ، وكانت خطبة عمر ، والرسول ـ ﷺ ـ هو الذى بين أن (كلمة حق فى وجه سلطان ظالم) خير ما ينهض به الرجال من صنوف الجهاد ، أو من (أعظم الجهاد) !! .

فماذا يكون موقفنا من حاكم (يُلبس الكلاب الجلال الأطلس الموشاة ، ويسوّرها بالأساور) ـ الفخرى ص ٥٦ ـ بينما الناس يعانون الجوع والمرض والعرى والجهل ؟! .

---

١ ـ ابن الطقطقا هو ابن طباطبا .

وماذا يكون موقفنا من حاكم (استفتح فألا فى المصحف ، فخرج ! ﴿ واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد ﴾ فألقاه ، ورماه بسهم ، وقال :

تهـــددنى بجـــبـــار عنيـــد نعم ، أنا ذاك جـــبـــار عنيـــد
إذا مـــا جـــئتَ ربك بعـــد بعث فـــقل : يارب ، خرّقنى الوليـــد ؟

ـ الفخرى ص ١٣٤ .

وماذا يكون موقفنا من خلفاء بنى العباس الذين كل همهم التنكيل بالأمويين والعلويين ، والتنديد بهم ، والتندير عليهم ؟! .

وماذا يكون موقفنا من خلفاء الفاطميين الذين كل همهم التنكيل بالعباسيين ، والتنديد بهم ، والتندير عليهم ؟ .

ألا نخاصم الفريقين فى تبديد مال الدولة على وسائل الترف والبذخ ، وعلى أتباعهم ، وحرمان الشعب الكادح من ثمار كدحه ؟! .

ذكر الخطيب البغدادى ـ (تاريخ بغداد حـ١ ص١٠٠/١٠٥) ـ أن الخليفة المقتدر استقبل سفير الامبراطور قسطنطين السابع ، وكان على جانبى الطريق مائة وستون ألف فارس ، وطاف به أبهاء القصر ليشاهد خزائن الثياب والسلاح ، وانتهى إلى (دار الشجرة) ، حيث تقوم شجرة من الفضة ، وزنها خمسمائة ألف درهم ، فى بركة مدورة صافية الماء ، وللشجرة ثمانية عشر غصنا ، لكل غصن أهداب كثيرة عليها الطيور من كل نوع ، مذهبة ومفضضة وأكثر قضبان الشجرة فضة ، وبعضها ذهب ، وهى تتمايل فى أوقات لها ، وللشجرة ورق مختلف الألوان ، ويتحرك كما تحرك الريح ورق الشجر ، وكل من هذه الطيور يصفر ويهدر .

ماذا يكون موقفنا من هذا الخليفة ومن خليفة (بلغ من كلفه بالخصيان أنه طلبهم ، وابتاعهم ، وغالى بهم ، وصيّرهم لخلْوته ، فى ليله ونهاره ، وقوام طعامه وشرابه ، وأمره ونهيه وفَرض لهم فرضا سماهم الجرادية ، وفرضا من الحبشان سماهم الغرابية ، ورفض النساء الحرائر والإماء ، حتى رُمى بهن) ؟ ـ الطبرى حـ٨ ص٥٠٨ ألا نقول ما قاله الشاعر فيه :

إذا كـــان الرئيس كـــذا ســـقـــيـــمـــا فكيف صـــلاحنا بعـــد الرئيس ؟!

ماذا يكون موقفنا من خليفة (إمام) (أسر أحد الثوار ، فسلخ جلده ، وهو حيّ ، وحشاه بالتبن ، وصلبه) ، وأسر آخر ، فسبقه إلى الموت ، لكن حرمة الموت لم تحل دون سلخه ، (وحشْو جلده تبنا ، وصلبه) ؟! . آدم متز حـ ٢ ص ١٨٨ .

وماذا يكون موقفنا من أمير ، حين مات (غسل تسع مرات ، أولاها بالماء ، ثم بزيت النيلوفر ، ثم بالصندل ، وبعد ذلك بالضريرة ، ثم بالعنبر ، ثم بالكافور ، ثم بماء الورد ، وغسل بعد ذلك ثلاث مرات بالماء المقطر ، ونشّف بعد غسله بديبقي ثمنه خمسون دينارا ، أخذه الغاسل ، وهو قاضي الكوفة ، إلى جانب أجرته ، ثم دهن بالزعفران والكافور ، ووضع على خديه ورقبته مائة مثقال من الغالية ، وفي عينيه وأذنيه ثلاثون مثقالا من الكافور ، وبلغ ثمن كفنه ألف دينار ، ثم وضع في تابوته ، ورُشّ عليه الكافور) ؟! المصدر السابق ص ٢٢٨ .

وماذا يكون موقفنا من خليفة (كان جلساؤه يشربون بين يديه ، فلا يشرب معهم إلا الجلاب ، ولكن أصحابه لم يزالوا به ليشرب ، فكتب رقعة بلفظ يمينه ، وعرضها على الفقهاء ، فوجدوا له رخصة ، كالعادة ، فأعطى أستاذه ونديمه الصولي ألف دينار ، ليتصدق بها عنه ، وشرب) ؟! المصدر نفسه ص ٢٣٩ .

ألا يفسر لنا هذا التصرف علة إقبال (القادرين) على شراء قصور الجنان بأموالهم ؟!.

كيف يقيم الحد على من شرب ، إذا تبرع الشارب بقدر من المال ؟! .

وهذا الخليفة الذى حرم الغناء والخمر ، (وكان هو ـ مع ذلك يشرب المطبوخ ، ولا يكاد يصحو من السكر) ـ النجوم الزاهرة حـ ٢ص ٢٥٤ .

وهذا الوزير الذى كان يجتمع عنده جماعة من الكبراء (فى الأسبوع مرتين ، على اطّراح الحشمة والتبسط فى القصف والخلاعة ، منهم ثلاثة قضاة ، هم ابن قُريعة ، وابن معروف ، والتنوخى ، وما منهم إلا أبيض اللحية ، طويلها ، فإذا تكامل الأُنس ، وطاب المجلس ، ولذّ السماع ، وأخذ الطرب منهم مأخذه ، وضع فى يد كل منهم كأس ذهب ، وزنه ألف مثقال ، مملوء شرابا قُطْرُبليا أو عكبريا ، فيغمس لحيته فيه ، بل ينقعها فيه نقعا ، حتى تتشرب أكثره ، ويرشّ منه بعضهم على بعض ، ويرقصون أجمعهم ، وعليهم المصبغات ، ومخانق البرم ، فإذا أصبحوا عادوا عاداتهم من التزمت والتوقر والتحفظ بأبهة القضاة ، وحشمة المشايخ الكبراء) يتيمة الدهر حـ ٢ ص ١٠٦ .

يقول ابن طباطبا ، نقيب الطالبيين بمصر : ت ٣٥٢ هـ :

أأترك الشـــرب والأنوار دائمـــة ... والطل منهـا على الأشـجـار منشـور
والغـصن يهتـز كـالنشوان من طرب ... والورد في العـــود مطوى ومنشـــور
لا ، والتى تركـتنى يوم فـرقـتـهـا ... كـأنما الرمل في عـينى منشـور ؟!

الجواب : لا ، مادام في كل بيت من بيوت الكبراء (إلى جانب صاحب المطبخ رجل يسمى « الشّرابى » ، شأنه العناية بالشراب وآلته وبالفاكهة والروائح) ، أليس هذا من (الفرج بعد الشدة حـ٢ ص١١) ما دامت أركان الدولة تهتز بأيدى الأتراك والديلم والسلاجقة والروم وملوك الطوائف والقرامطة ؟! .

مـاذا تقول في دولـة تجـرأ فيهـا أمير اللصوص الـذى يسمى عمران بن شـاهين ، (واستفحل أمره حتى تضاعف طمعه في السلطان ، وتجرأ أصحابه على جند السلطان ، وصاروا يطالبـون من يمر بهم من قـواد السـلطان وعماله بحـق المرصد والخفـارة ، فإن أعطاهم وإلا ضربوه ، فلما غلب على تلك النواحـى ـ البطائح ـ سيّر معز الدولـة عام ٣٣٨هـ جيشـا لمحاربته ، وعلى رأسه الوزير العظيم ، المهلبى ، فكانت الوقعة عليه ، وأسر القائد ، ومن معه من الوجوه ، فلم يجد معز الدولة إلا مصالحة هذا اللص الثائر ، فأجابه إلى كل ما طلب ، وقلده البطائح عام ٣٣٩ هـ) ؟! آدم متز حـ٢ ص ٣٩٥ .

كيف لخلفاء وأمراء هذه صفاتهم يوجبون الطاعة والاستكانة والخضوع ؟! .

لصالح من يجلس هؤلاء في مجالس القيادة وتدبير أمور الدولة ؟! .

أيطمع أعداء الإسلام والمسلمين في أكثر من هذا ؟! .

ألم يكن هولاكو على حق وهو يلقى بسؤاله على (بقايا) دولة تداعت أركانها ، فانتقم منها أشنع انتقام ، لأنه لم يجـد من يقف في طريقـه ، أو يرفع سيفا أو عصا في وجهه ، وهو يجتـاح بعسكره من (البـدو) أوسع دولـة رقعـة ، وأشهر دولـة قامت على (مبادئ السمـاء) ؟! .

إن تخريب بغـداد ، وملء دجـلـة والفرات بكتب (الحضارة الإسلاميـة) ، لم يكن إلا احتقارا لورثة هذه العـلوم والمعـارف ، الذين يحملون سيوفا ودروعا وخوذات مزدانة بأغلى

الحلى ، ومع هذا لا يعرفون كيف يستعملونها ، ويحمون أنفسهم بها (!!) وإذا كان لهم أن يستعملوها فضد شعوبهم (!!).

إن شاعر العروبة يقول : (من يهن يسهل الهوان عليه) ، معبرا عن الحقيقة (الكونية) ﴿ نسوا الله فأنساهم أنفسهم ﴾ .. فكيف نرجو خيرا من أمة مطلوب منها أن تغض الطرف عن فساد تعفنت به القمة ، ورتعت فى المباذل والفسوق والعصيان ؟! .

أهذا هو المقصود بأن الناس على دين ملوكهم ، أو من أعمالكم سُلط عليكم ؟! .



صعوبــة التكفيـر ..

العقل قيد ، تقول : اعقل الدابـة ، أى قيدهـا ، وامنعها أن تشـرد أو تضل ، لكن هذا (العقل) يكون أحيانا سببا فى الشرود والضلال ، إذا لم تزود الدابـة بالماء والطعام ، وإذا أسيئت معاملتها .

كذلك العقــل الإنسـانى الذى يفترض فيـه تقييد النـوازع والأهـواء ، إذا لم يزود بالعلم والمعرفـة ، وبالحكمة والدين ـ على وجـه خـاص ـ كثيرا مـا يقـود صاحبـه إلى الهـلاك .

إن المفاهيم والعلوم الإنسانية تخضع فى كثير من نظرياتها ومسائلها وتطبيقاتها للعقول البشرية ، لأنها من صناعة هذه العقول ، ولأن العقول ثمرة تجارب ومعارف ، والتجارب والمعارف تختلف باختلاف الأفراد أولا ، والجماعات ثانيا ، والبيئات ثالثا ـ فقد صحّ ألا يلتقى اثنان عند رأى واحد ، ومن هنا جاءت المُلْحة التى تقول : التقى أزهريان ، فتجادلا فى أمور مختلفة ، وكلما سـأل أحدهما الآخـر سؤالاً ، أجاب : فيها قولان ، فأراد أن يقطع عليه الطريق ، وأن يكشف عن عقم هـذا الجدال ، فقــال : أ فى الله شـك ؟ فأسـرع الآخـر وقـال : فيها قولان ، ثم تبين خطورة المهوى الذى انزلق إليه ، فانصرف حسيرا .

والحقيقة الإنسانية فيها أقوال ، لا قولان فقط ، لكن صاحب (فيها قولان) كان ينطقها نطقا ببغاويا ، من كثرة ما تردد هذا التعبير فى الكتب الدينية واللغوية .

والاختلافات الواردة فى الكتب الدينية واللغوية مردُّها إلى (مدى) العلم بما جاء عن الرسول والصحابة فى الدين ، وبما جاء عن القبائل فى اللغة ، فمن كان رصيده أكثر وأصحّ اختلف عمن رصيده أقل أو مدخولا .

لهذا لا يسهل إصدار الأحكام القاطعة فى المجالات الإنسانية ، إلا فيما يخص الأصول الدينية فقط ، تلك التى وردت فيها نصوص (مُحكمة) قاطعـة ، ولهذا سـاغ قـولهم : (اختلافهم رحمة) فى الدين واللغة معا .

ومن ثم فمجال التكفير شديد الضيق ، (إذ التكفير أمر هائل عظيم الخطر ، لأن من كفر شخصا بعينه ، فكأنه أخبر أن عاقبته فى الآخرة الخلود فى النار ، أبد الآبدين ، وأنه فى الدنيا مباح الدم والمـال ، لا يمكّن من نكاح مسلمة ، ولا يجرى عليه أحكام المسلمين ، لا فى حياته ولا بعد مماته ، والخطأ فى ترك ألف كافر أهون من الخطأ فى سفك محجمة

من دم امرئ مسلم ، وفى الحديث : « لأن يخطئ الإمام فى العفو أحب إلىّ من أن يخطئ فى العقوبة » ، ثم إن تلك المسائل التى يفتى فيها بتكفير هؤلاء القوم فى غاية الدقة والغموض ، لكثرة شبهها ، واختلاف قرائنها ، وتفاوت دواعيها ، والاستقصاء فى معرفة الخطأ من سائر صنوف وجوهه ، والاطلاع على حقائق التأويل وشرائطه فى أماكنها ، ومعرفة الألفاظ المحتملة للتأويل وغير المحتملة ، وذلك يستدعى معرفة جميع طرق أهل اللسان من سائر قبائل العرب ، فى حقائقها ومجازاتها واستعاراتها ، ومعرفة دقائق التوحيد وغوامضه ، إلى غير ذلك مما هو متعذر جدا على أكابر علماء عصرنا ، فضلا عن غيرهم ، وإذا كان الإنسان يعجز عن تحرير معتقده فى عبارة ، فكيف يحرر اعتقاد غيره من عبارة ؟! فما بقى الحكم بالتكفير إلا لمن صرح بالكفر واختاره دينا ، وجحد الشهادتين ، وخرج عن دين الإسلام جملة ، وهذا نادر وقوعه ، فالأدب الوقوف عن تكفير أهل الأهواء والبدع ، والتسليم للقوم فى كل شيء قالوه مما يخالف صريح النصوص) .

هذا ما قرره شيخ الإسلام تقى الدين السبكى (ت ٧٧١هـ) فى (الطبقات الكبرى للشعرانى حـ١ ص ١٣) قبل سبعة قرون تقريبا ، ومن قبله قال الإمام الغزالى فى (فضائح الباطنية ص ١٤٩/١٥٠) .

(فإن قيل : فلو اعتقد معتقد فسق أبى بكر وعمر - رضى الله عنهما - وطائفة من الصحابة ، فلم يعتقد كفرهم ، فهل تحكمون بكفره ؟ قلنا : لا نحكم بكفره ، وإنما نحكم بفسقه وضلاله ومخالفته لإجماع الأمة .. وكيف نحكم بكفره ونحن نعلم أن الله تعالى لم يوجب على من قذف محصنا بالزنا إلا ثمانين جلدة ، ونعلم أن هذا الحكم يشتمل كافة الخلق ، ويعمهم على وتيرة واحدة) .

(إنه ورد فى حقهم من الوعد بالجنة والثناء عليهم ، والحكم بصحة دينهم وثبات يقينهم وتقدمهم على سائر الخلق أخبار كثيرة ، فقائل ذلك - إن بلغته الأخبار ، واعتقد مع ذلك كفرهم - فهو كافر ، لا بتكفيره إياهم ، ولكن بتكذيبه رسول الله ﷺ ، فمن كذبه بكلمة من أقواله فهو كافر بالإجماع) .

(فإن قيل : فما قولكم فيمن يكفّر مسلما ، أهو كافر ، أم لا ؟ قلنا : إن كان يعرف أن معتقده التوحيد وتصديق الرسول - ﷺ - إلى سائر االمعتقدات الصحيحة ، فمهما كفره بهذه المعتقدات فهو كافر ، لأنه رأى الدين الحق كفرا وباطلا ، فأما إذا ظن أنه يعتقد تكذيب الرسول ، أو نفى الصانع ، أو تثنيته ، أو شيئا مما يوجب التكفير ، فكفّره بناء على هذا

الظن ، فهو مخطئ فى ظنه المخصوص بالشخص ، صادق فى تكفير من يعتقد ما يظن أنه معتقد هـذا الشخص ، وظن الكفر بمسلم ليس بكفر ، كما أن ظن الإسلام بكافـر ليس بكفر ، فمثل هذه الظنون قد تخطئ وتصيب ، وهو جهل بحال شخص من الأشخاص ، وليس من شرط دين الرجل أن يعرف إسلام كل مسلم ، وكفر كل كافر ، بل ما من شخص يُفرض إلا ولو جهله لم يضره فى دينه ، بل إذا آمن شخص بالله ورسوله ، وواظب على العبادات ، ولم يسمع باسم أبى بكر وعمر ومات قبل السماع مات مسلما ، فليس الإيمان بهما من أركان الدين ، حتى يكون الغلط فى صفاتهما موجبا للانسلاخ من الدين) .

وبناء على هذا ، هل نبرئ الإمام الغزالى من المغالاة فى تعظيم صاحبه المستظهر بالله ، بحكم أنه كان مغلوبا على أمره (بالمراسيم المتبعة) ، كما كان مغلوبا على أمره بالرغبة الجامحة فى نقض دعاوى الباطنية ؟ .

وما ظنك بمن يرون فى أن الغزالى (الإمام) و (حجةُ الاسلام) ؟ ألا يخشى عليهم الزيغ ، لأن إمامهم خضع لهذه (المراسيم) التى اصطنعها المنافقون والمتسلقون ؟ ألا يخشى على العامة الذين يسهل انقيادهم أن ينقلبوا (من النقيض إلى النقيض) أو (من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار) ؟! .

وما ظنك بقول (الإمام) الغزالى فى (فضائح الباطنية ص ١٥٢/١٥٤) .

(زعم « الداعى الفاطمى » أن السعادة عبارة عن لذة روحانية تزيد لذتها على اللذة الجسمانية الحاصلة من المطعم والمنكح اللذين تشترك فيهما البهائم ، وتتعالى عنهما رتبة الملكية ، وإنما تلك السعادة اتصال بالجواهر العقلية الملكية ، وابتهاج بنيل ذلك الكمال ، واللذات الجسمانية محتقرة بالإضافة إليها ، وأن الشقاوة عبارة عن كون الشخص محجوبا عن ذلك الكمال العظيم محلُّه الرفيع شأنه مع التشوق إليه والشغف به ، وأن ألمَ ذلك يستحقر معه ألم النار الجسمانية ، وأن ماورد فى القرآن مثله ضُرِب لعوام الخلق ، لما قصر فهمهم عن درك تلك اللذات ـ فإنه لو تعدى النبى فى ترغيبه وترهيبه إلى غير ما ألفوه ، وتشوقوا إليه ، وفزعوا منه ، لم تنبعث دواعيهم للطلب والهرب ، فذكر من اللذات أشرفها عندهم ، وهى المدركات بالحواس من الحور والقصور ، إذ تحْظى بها حاسة البصر ، ومن المطاعم والمناكح ، إذ تحظى بها القوة الشهوانية ، وما عند الله لعباده الصالحين خير من جميع ما أعربت عنه العبارات ، ونبّهت عليه ، ولذلك قال تعالى فيما حكى عنه النبى ﷺ :

« أعددت لعبادى الصالحين ما لاعين رآت ولا آذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » ، وكل ما يُدرك من الجسمانيات ، فقد خطر على قلب بشر أو يمكن إخطاره بالقلب) .

فهذا (الزعم) ـ وفقا لما قرره الغزالى بشأن تكفير و تفسيق أبى بكر وعمر ـ مجرد ظن ، أو اجتهاد فى الفهم ، ومحاولة للارتقاء بمفهوم السعادة الأخروية ، وثمة علماء كثيرون يشاركون فى هذا الفهم ، فإذا كان (ظن الكفر بمسلم ليس بكفر) ، فإن (الظن) بأن تكون السعادة الروحية أرقى وأسمى لا يستدعى التكفير ، وبخاصة أن الآية الكريمة التى تقـول : ﴿ وننشئكم فى ما لا تعلمون ﴾ قد توحى بتكوين يختلف عن هذا التكوين الذى تغلبه الغرائز ومطالب الجسد ، ومتطلبات الجسد التى خصت الرجال بالحور العين قد تستدعى مطالبة النساء بالمساواة (!!) والقول بأن الثواب (ما خطر على قلب بشر) يرشح لذلك .

الأمر إذاً لا يجرؤ معه أحد على القطع ، فهو أدخل فى باب (ما اختص الله بعلمه) أو فى باب (المتشابهات) التى قد تزيغ فيها القلوب ، وإن كان (للراسخين فى العلم) مجال (التسليم) ، ومن ثم فمحاولات الفهم قائمة على اليقين بالقصور ، مع (التسليم) بالجهل بمراد الله ، جل شأنه .

ومن هنـا يمكن القـول : إن (حجـة الاسـلام) غالى فى قولـه : (والـذى نختاره ونقطع به أنه لا يجوز التوقف فى تكفير من يعتقد شيئا من ذلك ، لأنه تكذيب صريح لصاحب الشرع ، ولجميع كلمات القرآن ، من أولها إلى آخرها ، فوصف الجنة والنار لم يتفق ذكره مرة واحدة أو مرتين ، ولا جرى بطريق كفاية أو توسع وتجوز ، بل ألفاظ صريحة لا يُتمارى فيها ولا يستراب ، وأن صاحب الشرع أراد بها المفهوم من ظاهرها ، فالمصير إلى ما أشار إليه هذا القائل تكذيب وليس بتأويل ، فهو كفر صريح لا يتوقف فيه أصلا) ـ فضائح الباطنية ص ١٥٣/١٥٤ .

يقول الراغب الأصفهانى فى (مفرداته) : إن قوله تعالى : ﴿ زوجناهم بحور ﴾ أى قرناهم بهن ، ولم يجئ فى القرآن زوجناهم حورا ، كما يقال : زوجته امرأة ، تنبيها إلى أن ذلك لا يكون على حسب المتعارف بيننا من المناكحة ـ ص ٢١٦ .

والله سبحانه هو القائل : ﴿ فـلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جـزاء بما كـانوا يعـملون ﴾ ـ السجـدة ١٧ ـ ولا ريب فى أن ما تقرُّ به العيون البشـرية ، يختلف باختلاف الأفراد ، تكوينا وثقافة وبيئة ، وهذا ما لا يكون فى جنـات النعيم ، إذ تتحقق

المســاواة فى (التكوين الجديد) [1] ، وإن لم تتحقق المساواة فى الثواب ، وما دام ثمة تكوين جديد ، لا نعلم من أمره ، فقرة أعين هذا التكوين لا نعلم من أمرها ، وإن كان شوقنا إلى معرفتها يستدعى أن نعبر عن (مساحـة) هذا الشوق .

سمعت رابعـة العدوية قـارئا يتلو قولـه تعـالى : ﴿ **وفـاكهة ممـا يتخيرون ولحـم طير مما يشتهون** ﴾ ، فقالت : (نحن إذن صغار ، حتى نفرح بالفاكهة والطير) .

إننا لا نستطيع تكفير (رابعة) بزعم أنها تسخر من ثواب يوم القيامة ، بل نجلُّها ، لأنها ترتفع بعـلاقتها بالله فـوق مطالب الجسـد ، وهى القـائلة : مـا عبدتك رغبـة فى جنتك ولا رهبة من نارك ، ولكن حبا لذاتك ، أو كما قال الحلاج : (رؤية الثواب عند ذكر الله غفلة عن الله) .

وكان الشبلى يقول فى قوله تعالى : ﴿ **كلوا واشربوا** ﴾ : (إن كان ظاهره إنعاما فباطنه انتقام وابتلاء واختبار ، لينظر تعالى من هو معه ومن هو من حظ نفسه) .

هذا رأى المتصوفة الذين قال فيهم الإمام الغزالى ـ المنقذ من الضلال ص١٢٩ ـ (إنهم فى يقظتهم يشـاهدون الملائكة ، وأرواح الأنبيـاء ، ويسمعون منهـم أصواتـا ، ويقتبسـون منهـم فـوائد) .

وهذه شهادة (قاطعة) لا تستدعى الاستدلال بقول الفيلسوف الشاعر محمد إقبال : (أما الجنـة والنـار فهـما حالتـان ، لا مكانان ، ووصفـهـما فى القرآن تصوير حسّى لأمر نفسانى ، أى لصفة أو حال ، فالنار فى تعبير القرآن هى ﴿ **نار الله الموقـدة التى تطلع على الأفئـدة** ﴾ هى إدراك أليم لإخفاق الإنسان ، بوصفه إنسانا ، أما الجنة فهى سعادة الفوز على قوى الانحلال)[2] ـ تجديد التفكير الدينى فى الإسلام ص١٤١ .

ولابن عربى فى (فصوص الحكم) و (الفتوحات المكية) شطحات فى هذا المجال .

ولا ريب فى أن الأفق الفسيح للإمام الغزالى فى (إحياء علوم الدين) ، لا يقبل هذا المنطق (العدوانى) الذى حملته عليه (السياسة) فى (فضائح الباطنية) !! .

---

١ ـ قال الله تعالى : ﴿ إنا أنشأناهن إنشاء * فجعلناهن أبكارا * عُربا أترابا ﴾ ـ الواقعة ٣٥/٣٧ ـ ومُزحة الرسول ﷺ : (لا يدخل الجنة عجوز) معروفة .

٢ ـ انظر الفصل الثـانى من كتـابى (المنهج البيـانى فى التفسـير الحـديث للقـرآن الكريـم) ـ ط الأنجـلو المصرية .

☐ فى تفسـير القرطبى (جـ ٨ ص ٥٢٧٩ ط الشعب) ورد فى قـوله تعـالى : **﴿ ما كان محمدا أبا أحـد من رجالكم ولكن رسـول الله وخـاتم النبيين وكان الله بكل شىء عليما ﴾** ـ أن ابن عطية قـال : (وما ذكره الغـزالى فى هذه الآيـة ، وهذا المعنى ـ فى كتابه الذى سماه الاقتصاد ـ إلحاد عندى ، وتطرق خبيث إلى تشويش عقيدة المسلمين فى ختم محمد ﷺ للنبوة ، فالحذر الحذر منه) .

وبالرجوع إلى (كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد) ، وجدت الإمام الغزالى يقول (ص ١٥٩/١٦٠ ط بيروت) فى معرض إنكاره موقف (النظّام) من الإجماع ، إذ (أنكر كون الإجماع حجة قاطعة فى أصله ، وقال : ليس يدل على استحالة الخطأ على أهل الإجماع دليل عقلى قطعى ولا شرعى متواتر لا يحتمل التأويل ، فكل ما يستشهد به من الأخبار والآيات له تأويل بزعمه ، وهو فى قوله خارق لإجماع التابعين ، فإنا نعلم إجماعهم على أن ما أجمع عليه الصحابة حق مقطوع به ، لا يمكن خلافه ، فقد أنكر الإجماع ، وخرق الإجماع ، وهذا فى محل الاجتهاد ، ولى فيه نظر ، إذ الإشكالات كثيرة فى وجه الإجماع حجة ، فيكاد يكون ذلك الممهد للعذر ، ولكن لو فتح هذا الباب انجرّ إلى أمور شنيعة ، وهو أن قائلا لو قال : يجوز أن يبعث رسول بعد نبينا محمد ، ﷺ ، فيبعد التوقف فى تكفيره ، ومستند استحالة ذلك عند البحث تستمد من الإجماع لا محـالة ، فـإن العقل لايحيله ، وما نقل فيه قـولـه : « لا نبى بعـدى » ، ومن قوله تعالى : **﴿ خـاتم النبيين ﴾** ، فلا يعجـز هذا القائل عن تأويله ، فيقول : « خاتم النبيين » أراد به أولى العزم من الرسـل ، فإن قـالوا : « النبيّين » عام ، فلا يبعد تخصيص العام ، وقوله : « لا نبى بعدى » لم يرد به الرسول ، وفرق بين النبى والرسول ، والنبى أعلى رتبة من الرسول ، إلى غير ذلك من أنواع الهذيان) .

الجملة الأخيرة تفيد أن الإمام الغزالى يحكى عن (أنواع من الهذيان) ، يسوقها الانطلاق بالعقل فى مدارج الشك واالتأويل ، دون التقيد بالإجماع الذى التزم به التابعون عن الصحابة الذين قال الرسول فيهم : إنهم (كالنجوم ، بأيّهم اقتديتم اهتديتم) فكيف بإجماعهم ؟! والرسـول هو القائل : (لا تجتمع أمتى على ضلالـة) ، لأن (الأمـر بالمعروف والنهـى عن المنكر) حاجة اجتماعية ، فما أجمع المجتمع على صحته فهو (دين) ، ومـا أجمع على إنكاره فهو خـارج عن الدين .

ويؤكد الغزالى موقفه هذا بقوله : (ولكن الرد على هذا القائل أن الأمة فهمت بالإجماع من هذا اللفظ ، ومن قرائن أحواله ، أنه أفْهم عدم نبى بعده أبدا ، وعدم رسول الله أبدا ، وأنه ليس فيه تأويل ولا تخصيص) .

والمؤلم حقا أن الذى لم يحسن قراءة الغزالى مفسر كبير ، وأن الذى أورد كلام (ابن عطية) ولم يناقشه ، أو يتحرى صوابه ، مفسر كبير ، واكتفى القرطبى بإيراد أحاديث أخرى أصرح فى أنه لا نبى بعد رسول الله ، مثل قوله ﷺ : (مثلى ومثل الأنبياء كمثل رجل بنَى دارا فأتمّها ، وأكملها ، إلا موضع لبنة ، فجعل النّاسُ يدخلونها ، ويتعجبون منها ، ويقولون : لولا ، موضع اللبنة ، فأنا موضع اللبنة ، جئت ، فختمت الأنبياء) .

ولعل الآية الكريمة : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ ـ المائدة ٣ ـ تقطع بأنه لا حاجة إلى مزيد يستدعى وجود نبى .

والإمام الرازى يربط آخر الآية بأولها ، وهو واجب كل مفسر ، فيقول (حـ٢٥ ص٢١٥) (إن رسول الله كالأب للأمة فى الشفقة من جانبه ، وفى التعظيم من طرفهم ، بل أقوى ، فإن ﴿ **النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم** ﴾ ، والأب ليس كذلك ، ثم بين ما يفيد زيادة الشفقة من جانبه ، والتعظيم من جهتهم بقوله : ﴿ **وخاتم النبيين** ﴾ ، وذلك لأن النبى الذى يكون بعده نبى ، إن ترك شيئا من النصيحة والبيان يستدركه من يأتى بعده ، وأما من لا نبى بعده يكون أشفق على أمته ، وأهدى لهم ، وأجدى) .

□ يمكن القول : إن هذه المغالاة فى بعض أحكام (السلف الصالح) من العلماء الأفذاذ كانت لأسباب (سياسية) ، أو (مهنية) ، إذ أثر أن تنافس العلماء أقرب إلى (صراع التيوس فى الحظيرة) ، لأنهم يستخدمون (علمهم) فى الكيد والتآمر على منافسيهم ، وما أيسر الاتهام بالإلحاد والزندقة ، وهذه المغالاة (الجائرة) هى التى شجعت (الخلف الصالح) على الإغراق فى شهر أسلحة الإلحاد والزندقة فى وجه كل جديد ، متذرعين أحيانا بحديث يردده جميع خطباء المنابر ، يقول : (إياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة فى النار) .

وبمنطق (الظاهرية) التقليدية الغوغائية صارت العلوم الحديثة ـ وهى سليلة العلوم التى أقامت حضارة الإسلام إبّان النهضة الكبرى ـ علوم كفر ، ومن دعا إليها كالإمام محمد عبده صار كافرا ، وبهذا أمسكوا بسلاح خبيث أصم أعمى ، يحاربون به كل داعية إلى

التجديد والتطور والأخذ بالأسباب ، حتى أمسى فهم (الآخرين) للإسلام ـ مستشرقين وعلمانيين ـ أنه سبب تخلف المسلمين ، مع أن المفهوم الصحيح (للاجتهاد) يفسح مجالات التطور والابتكار ، وبخاصة أن القرآن الكريم والسنة النبوية لم يتناولا كل ما يهم البشرية (فى كل زمان ومكان) ، بل تركا للعقل البشرى ـ إيمانا بأن محمدا خاتم الأنبياء والرسل ، وبأن الوحى انقطع بموته ـ حقَّ النظر فيما يُصلح المسلمين ، بحيث يصبح الإسلام (صالحا لكل زمان ومكان) .

أليس (العقل) فى القرآن الكريم هو السبيل إلى معرفة الله سبحانه ؟ .

ألم يدعُ القرآن الكريم إلى النظر فى ملكوت السموات والأرض ، وفى (الأنفس) ، وفى أحداث السابقين ، لنتعرف إلى (القوانين) الكونية والطبيعية والسلوكية التى شرّعها ﴿ **الخالق البارئ المصور** ﴾ سبحانه ؟! .

ألم يجعل الله الإنسان خليفته فى الأرض بعد أن زوده بالقدرة على معرفة الأسماء والمسميات جميعا ؟! .

ولم سخر الله الشمس والقمر والنجوم والجبال والأنهار والبحار ، وجميع ما خلق الله لهذا الإنسان ؟! أليس لأنه يملك المعرفة والقدرة على التسخير وإعادة التشكيل وإجادة التثمير ؟! .

أمن المعقول أن يطول حديث القرآن الكريم عن العقل والتفكير والرأى والذكر والعلم والفقه ، وعن حركة الكواكب والنجوم ، وعما تكنّه البحار والفلك تجرى بأمره ، وعن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، وعن الدواب والأنعام ، وعن النحل وخواص حياته وعسله ، وعن النمل والذباب ، ونسيج العنكبوت .. إلخ إلخ .. من أجل أن يقف الإنسان عند حدود (التلقى) و (التقليد) ، أم لأن واجبه أن يأخذ بزمام المبادرة كشفا وبحثا وإبداعا وإتقانا ؟! ألا يكفى أن (من اجتهد فأخطأ فله أجر) ؟! ألا تصح الصلاة ـ وهى عماد الدين ـ إذا اتجه لغير القبلة بعد اجتهاد ؟! .

ماذا يريد هؤلاء الذين يحملون عِصِيّاً غليظة ، وهم يتيهون فى بحور الظلام ؟! .

أليس أجدى أن نضيء شمعة بدلا من أن نلعن الظلام ، وأن نترك المجال لألف زهرة تتفتح ؟! .

١٥ يناير ١٩٩٢

الفهـــرست

كتب للمؤلف

كتب مطبوعــة :

١ ـ المنهج البيانى فى التفسير الحديث للقرآن الكريم بمصر		الأنجلو المصرية
٢ ـ التراث .. واجبنا نحوه		،، ،،
٣ ـ أمين الخولى فى مناهج تجديده		المجلس الأعلى للفنون والآداب
٤ ـ أمين الخولى .. حياته وأعماله		الهيئة العامة للكتاب
٥ ـ سبحان الله		دار المعــارف
٦ ـ الذين يلحدون فى آيات الله		،، ،،
٧ ـ قراءة فى ديوان ابن الرومى		،، ،،
٨ ـ اليهود .. تاريخا وعقيدة		دار الاعتصام
٩ ـ دراسة فى التوراة والإنجيل		دار الفضيلة
١٠ ـ هوامش تراثية		دار الاعتصام
١١ ـ فى صحبة أبى العلاء		دار الأمين
١٢ ـ فى مرقص الظلال	(شعر)	توزيع دار المعارف
١٣ ـ حتى تعود الابتسامة	(شعر)	المجلس الأعلى للثقافة
١٤ ـ الأرض لا تنبت أغصانا جافة	(شعر)	توزيع دار المعارف
١٥ ـ قبل أن تفيض الكأس	(رواية)	،، ،،
١٦ ـ حتى مطلع الفجر	(رواية)	،، ،،
١٧ ـ عبر الأسلاك الشائكة	(رواية)	،، ،،
١٨ ـ الإدانة .. شاهد من أهلها	(رواية)	،، ،،
١٩ ـ محاكمة النص القرآنى		دار الفضيلة

كتب معدة للطبع :

١ ـ من تجارب الشعر والشعراء (حـ١ فى الجاهلية وفى الإسلام ـ حـ٢ فى العصر العباسى)		
٢ ـ هذا أبو الطيب .. شاعر المعاناة والتمرد		الزهراء
٣ ـ حالة مخاض	(رواية)	
٤ ـ الأرض والجرذان	(رواية)	
٥ ـ حين ينزعون اللحاء	(رواية)	
٦ ـ الذين قالوا ربنا الله، ثم استقاموا (دراسة مطولة فى الفكر الإسلامى)		
٧ ـ لله لا لقيصر ـ دراسة فى الإمامة		
٨ ـ آيات بينات من الهدى والفرقان		دار المعارف

هذا الكتاب ...

من المفارقات التراثية أن جميع كتب الرواية والرواة والتاريخ السياسى والدينى ، وكتب التفسير والحديث - لاتفتأ تحذر من الإسرائيليات ، بينما هى جميعا تستعين بالإسرائيليات ، وتعتمد نصوصا زائفة كثيرة ، لأنها تؤيد اتجاها ، أو تدحض رأيا مخالفا .

ولعل القضايا التى طرحها هذا الكتاب أريد بها - فى الدرجة الأولى -تصحيح هذا المنهج القائم على الثقة بالكلمة المكتوبة ، دون دراية بمحتواها ، أو دون وضع هذا المحتوى فى ميزان (الدراية) ، كما بينه علماء الحديث والتفسير والنقد الأدبى .

وفات الذين (يقدسون) كل ما جاء فى كتب (الصحاح) أن البخارى جمع أكثر من مائتى ألف رواية ، واستصفاها فى أقل من ثلاثة آلاف ، ولعل البخارى نفسه ، لو اتسع وقته للمراجعة مرة أخرى ، لما أبقى إلا على قدر محدود .

وكان يروج بين رجال (الرواية) الاهتمام بصحة (السند) . مع سهولة (صناعته) ، كما كان يروج (التساهل) فى الرواية ، إذا كانت تؤدى إلى العظة والاعتبار ، مما جعل الخطب (المنبرية) تنوء بأوزار من الأخبار (الغيبية) أو (الخرافية) ، التى أفسدت عقول أجيال من العامة والخاصة .

لهذا ينبغى مراعاة أن الهدف هو تصحيح المفاهيم ، ومحاكمة تلك (النصوص) التى شاع تداولها ، مؤيدة من قبَل نسبتها إلى رجال ذوى شهرة ، ومن قبَل وضعها بين نصوص موثَّقة ، ومن قبَل تورّع مشايخنا أن يقولوا فيها الرأى الذى يقيم الحق ويصلح الميزان .



دار الأمين

DAR AL AMEEN

طبع
نشر
توزيع

١٠ شارع بستان الدكة من شارع الألفى - القاهرة ت : ٩٣٢٧٠٦

١ ش سوهاج من ش الزقازيق خلف قاعة سيد درويش - الهرم - الجيزة